

الاستشهاد في المسيحية



نيافة الأنبا يوأنس

أسقف الغربية



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الاستشهاد

في المسيحية

الطبعة الرابعة

مزيـدة



الكتاب : الاستشهاد فى المسيحية .
المؤلف : نيافة الأنبا يؤانس أسقف الغربية .
الطبعة : الرابعة — مزيدة .
الجمع التصويرى : جى . سى. سنتر مصر الجديدة .
المطبعة : الأنبا رويس (الأفست) العباسية .
رقم الايداع بدار الكتب : ١٠٠٤ لسنة ١٩٦٩ .

لمسة وفاء
لمثلث الرحمات السراج المنير والبستان المثمر
نيافة الأنبا يوأنس

فى يوم الأربعاء ١٩٨٧/١١/٤ ودعت الكنيسة القبطية إلى المجد حبراً من أبرز أحبار الكنيسة الأجلاء ، أبينا الطوباوى نيافة الأنبا يوأنس . بعد حوالى ستة عشر عاماً قضاها فى خدمة الأسقفية بجهد كبير فى التعليم الكنسى . وبعد أن أثرى مكتبة الكنيسة بعدد وافر من المؤلفات القيمة فى الروحيات والعقيدة والتاريخ والطقس .

وبتوجيهات ورعاية صاحب الغبطة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث نتابع نشر هذه الكنوز تنفيذا لوصية أبينا الأنبا يوأنس الذى أوصى بأن يستمر نشر هذه الكتب بعد نياحته .

وفى هذه المرة نعيد طبع « الاستشهاد فى المسيحية » والذى كان نيافته قد سلمه للمطبعة قبل نياحته بعد أن أضاف إلى مادته الكثير . ونحن نثق ان نيافة الأنبا يوأنس سيفرح فى السماء حين يرى هذه الطبعة قد صدرت وتتداول بين أيدى الكثيرين فلقد قدم للكتاب فى طبعته الأولى « شهية جداً هى سير الشهداء وقصص بطولاتهم وتضحياتهم وروحانيتهم واذ نقدم نماذج منهم فى هذا الكتاب إنما نفعل ذلك حتى ما تكون معزياً لنا فى غربة الجسد ومبكتاً لنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور » .

نطلب لأبينا الحبيب الطوباوى كاتب هذا السفر النفيس الذى يفوح منه رائحة مسك سير الشهداء وعطر آلامهم وأريج جهادهم نياحاً فى أحضان القديسين والشهداء وأن يشفع من أجلنا دائما بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث أطال الله حياته .

تقديم

هذه الصفحات الرائعة من التاريخ ، ما أعمقها ، وما أبدعها . انها مثاليات عجيبة كلما نتأملها ، نرتفع الى قمم ، ونمتد الى آفاق ، ونغوص فى أعماق من الروحيات ، لا نظن ان العالم يمكن أن يصل اليها مرة ثانية فى أجياله ..

كان الروح القدس يعمل فى الكنيسة الاولى بقوة . وكانت الكنيسة آلة طيعة فى يد الروح ، فعمل بها عجبا .. وكان من ثمار عمله صفحة الاستشهاد المشرقة ، نقرأ هذه الصفحة العجيبة ، فنشعر بالحب العنيف الذى لم تقو عليه كل وسائل العنف ، ونرى الرسوخ والصلابة فى الايمان بوضع لم تستطع ان تزعزعه وحشية الاباطرة وقسوة الولاة ..

وندهش كيف احتمل آباؤنا عذابات نقشعر لمجرد سردها ولمجرد قراءتها ! كيف ثبتوا ، وانتصروا ؟ وكيف استطاع الدم المسفوك أن يحطم السيف المسلول ... ؟!

ستقرأ كثيرا فى الكتاب عن وصف الإستشهاد ، وسير الشهداء والمعترفين ، وسترى أمامك كما رأيت مائدة روحية تشبع نفسك .

ولقد قرأت كثيرا عن الاستشهاد ، وبين الكتب العديدة التى قرأتها اعجبت بهذا الكتاب الذى بين يديك ايما اعجاب .. انك ترى فيه روحا وحياة ... والاخبار لا تمر فيه عابرة ، بل يستوقفك الكاتب بين الحين والآخر فى روحيات الاستشهاد وفى قوة وعمق أقوال الآباء . وتشعر أنك أمام سير حية غير جامدة .

والكتاب يمتاز بطابعه العلمى الاصيل ... بكثرة مراجعه ، ودقة بحثه ، وتحرى الحقيقة خالصة ، نقية من شوائب القصص ..

ويتميز الكتاب أيضا بحسن الترتيب والتنسيق ...

ليس التاريخ فيه مجرد سرد لاسماء واخبار وأحداث وسير . وانما من شتات الاخبار المتفرقة المتناثرة فى السير ، يستنبط الكاتب معانى ثابتة ، يستخرجها ،

ويجمع متشابهاتها ، وينسقها تحت عناوين مناسبة ، تساعد القارىء على الفهم ، وتمكنه الالمام من بالموضوع ككل .

ليست فيه سير الشهداء وحدات مستقلة ، وانما هى مترابطة متعاونة على اخراج معنى عام هو لب الموضوع وجوهره ..

والكتاب ايضا يمتاز بالشمول ، يمكن ان تكتفى به فيغنيك عن قراءة كتب عديدة . وتستطيع ان تأخذ منه صورة متكاملة عن موضوع الاستشهاد ...

اننى اهنىء قداسة الاب الراهب القمص شنوده السريانى على ما بذله من مجهود مشكور فى هذا الكتاب القيم ، **وأقدم هذا الكتاب الى المكتبة القبطية كمرجع علمى سليم نافع طالما كنا ننتظره** ..

فليبارك الرب مواهب القمص شنوده وعلمه ، وليعطه الصحة والوقت لتزويد المكتبة القبطية وطلاب العلم بثمرات بحثه ، وبخاصة فى فرع التاريخ الكنسى .

ان تاريخ الكنيسة لم يكتب كله بعد بالطريقة العلمية المفصلة الشاملة . وانى اعتبر العمل القيم الذى قام به صديقى مؤلف هذا الكتاب الثمين ، هو بداءة لعمل كبير واسع هذه أولى ثماره ، وانها لثمرة ناضجة شهية .

والى اللقاء ان شاء الله فى الكتاب المقبل عن (العصر الرسولى) الذى يعكف المؤلف على اعداده ، والذى نطلب من الرب أن يقويه على اصداره . والهنا الصالح الذى بدأ معه هو أيضا يكمل ، له المجد فى كنيسته الى الابد آمين ...

شنوده
أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية

دير الانبا رويس فى ٢٢ من طوبه ١٦٨٥ / ٢٠ من يناير ١٩٦٩ تذكار القديس الانبا انطونيوس

تصدير

موضوع الاستشهاد هو قصة المسيحية المبكرة فى أبهى صورة لها ، حينما قدم المسيحيون ذواتهم نماذج للحب والبذل والايمان والاحتمال ومحبة الاعداء ، وكل فضيلة ...

وقصة الاستشهاد ، هى قصة الكرازة بالانجيل للعالم أجمع ، وللخليقة كلها ... فالايمان المسيحى كان ينتشر سريعا ، ويضرب بجذوره فى أعماق البشرية ، ويمتد داخلها طولا وعرضا وعمقا ، بشهادة الدم ، أكثر من انتشاره بالوعظ والتعليم .

والحق يقال أن فكرة الاستشهاد ظلت تعالج فى الكتب التى تناولت هذا الموضوع ، بطريقة ساذجة .. كأن يطلب من المسيحى مثلا أن يضحى للأوثان فيرفض ، فيعذب ويقتل .. لكن للاستشهاد فى المسيحية فلسفة عميقة تستند الى مبادىء روحية قوية ... وقد عالجنا هذه النقطة بالتفصيل وأبرزنا دوافع الاضطهاد ، ودوافع الاستشهاد وفلسفته العميقة .. وأنه لم يكن فكرة طارئة ، ساذجة ، اعتنقها بسطاء المسيحين .. لكنها فلسفة تعلق بها المسيحيون من جميع الطبقات والثقافات والفئات والاجناس والاعمار ..

لقد بدأت قصة هذا الكتاب بمذكرات متواضعة كنت أقوم بتدريسها لطلبة الكلية الاكليريكية بالقسم العالى . وسرعان ما استهوانى هذا الموضوع والبحث فيه ، فعكفت عليه حتى جاء فى الصورة التى ترى فى هذا الكتاب ...

شهية جدا هى سير الشهداء ، وقصص بطولاتهم وتضحياتهم وروحانياتهم . واذ نقدم نماذج منهم فى هذا الكتاب ، انما نفعل ذلك حتى ما تكون معزيا لنا فى غربة الجسد ، ومبكتا لنا نحن الذى انتهت الينا أواخر الدهور ... فحينما نعقد المقارنات بيننا وبينهم فى الايمان والحب والبذل ، تأخذنا رعدة ، ونعرف أين نحن من المسيحيين الحقيقيين الذين أحبوا الرب أكثر من ذواتهم ..

انى اشكر الرب الذى أعان ضعفى فى تصنيف هذا الكتاب ، فخرج فى صورته الحالية فريدا فى منهجه ، يجمع بين التاريخ العلمى والروحانية المسيحية الأصيلة ، فهو مزيج بين العلم والروح ...

اقدم شكرى لجميع الذين عاونونى — بصورة أو بأخرى — فى هذا البحث ، سواء بصلواتهم أو تشجيعهم أو آرائهم .. وفى مقدمتهم الحبر جزيل الاحترام الانبا شنوده أسقف التعليم الدينى والتربية الكنسية الذى أسهم بتوجيهاته وتحمل — فوق أعبائه — عبء طبع هذا الكتاب وتنسيقه ومراجعته ، وأنا مقيم بالدير ، بعيدا عن القاهرة ...

كما أشكر المربى الكبير الاستاذ عشم حبيب الذى قام بترجمة وتلخيص بعض أجزاء من كتاب The Historic Martyrs of the Primitive Church. الذى استعنا به كمرجع فى هذا البحث ...

واذ أضع هذا الكتاب بين يدى الرب الذى أحب شعبه وفداهم ، أسأله أن يتقبل هذه التقدمة المتواضعه ويشتمها رائحة سرور أمامه ، ويعين ضعفى ، ويرافق بروحه كلمات هذا الكتاب ، حتى ما يكون سبب بركة لكل من يقرأه ، بشفاعة العذراء الطاهرة القديسة مريم ملكة السمائيين والارضيين ، وكل سحابة الشهود القديسين المحيطين بنا ...

ولالهنا كل مجد فى كل حين آمين .

شنوده السريانى

٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٦٨ — تذكار شهادة مارمينا العجائبى
١٥ من هاتور سنة ١٦٨٥

مقدمة الطبعة الثانية

منذ نفاذ الطبعة الاولى لهذا الكتاب عقب صدوره فى أوائل سنة ١٩٦٩ بفترة وجيزة ، أخذ كثيرون يلحون فى اعادة طبعه ، كمرجع اساسى بالعربية لموضوع الاستشهاد الذى يمثل حقبة هامة فى تاريخ الكنيسة الجامعة ، خاصة فى تاريخها المبكر . نحو تسع سنوات مضت على نفاذ الكتاب ... وعلى الرغم من تقديرى لحيوية الموضوع الذى يعالجه ، لكنى وقفت عاجزا عن اعادة طبعه ، بسبب الاعباء الرعوية التى تتزايد يوما بعد يوم فى خدمة الاسقفية العجيبة والرهيبة فى آن معا !! لكن لعل السبب الرئيسى هو رغبتى فى اضافة مادة جديدة للكتاب ... لكن الحاجة تزايدت وصارت ملحة ، بعد التوسع فى التعليم اللاهوتى ، وافتتاح معاهد لاهوتية ، بلغ عددها سبعة ، فى القاهرة والاسكندرية والوجهين البحرى والقبلى .

كانت رغبتى أن أسلط مزيدا من الضوء على القسم الأول من الكتاب الخاص باضطهاد اليهودية للمسيحية ، ثم اضافة مادة جديدة تتناول شهداء المشرق فى العراق وبلاد فارس ... لكنى لم انجح الا فى كتابة فصل عن المذابح المروعة التى قام بها اليهود الذين ملكوا السلطان ضد النصارى الآمنين المسالمين فى بلاد اليمن . أما عن شهداء المشرق مع ما يستجد ، فأرجو أن أتمكن من اضافتها فى الطبعة القادمة ان أحب الرب وعشنا ... وسيجد القارى الجزء الخاص باضطهاد اليهود لنصارى اليمن فى آخر الكتاب ، بينما كان ينبغى أن يضاف فى الجزء الخاص به فى أول الكتاب . أما السبب فى ذلك فيرجع إلى إنى لما يأست من نفسى فى أمر اضافة جديد الى مادة الكتاب ــ نتيجة ضيق وقتى ، قدمته للمطبعة كما صدر فى طبعته الاولى . لكن الله سمح بعد أن طبع الجزء الاول من الكتاب ، أن تسنح فرصة لهذه الاضافة فكان أن أضيفت فى آخر الكتاب .

وأود أن ألفت نظر القادة فى كنيستنا الى ان الكتاب وان كان يعالج موضوعا تاريخيا بالدرجة الاولى ــ الا أنه مزيج من العلم والروح ... انه يقدم صورة مشرقة للمسيحية كديانة انتشرت بلا سند زمنى دنيوى بعد أن خاضت حربا

طويلة غير متكافئة ، خرجت منها ظافرة ... حرب الصليب ضد السيف المسلط ... حرب كُل جنودها من رافعى الأيدى بالتضرع والصلاة ضد جنود يحملون معاول الهدم ضد كنائس المسيح ليدكوها بما فيها على من فيها ... وتقدم صورة مشرقة أيضا لاتباع هذا الدين الذى استعذب أتباعه أن يتحملوا الآلام المبرحة والضيقات المرة ويحتقروا أمجاد العالم الزائفة ، على أن يفرطوا فى ايمانهم أو ينكروا مسيحهم ... وبعبارة مقتضبة نقول : ما هو هذا الدين الذى استحق من اتباعة كل هذا الحب والبذل والولاء !!

انى مدين لكثيرين عن محبتهم ومؤازرتهم الروحية والادبية ... يأتى فى المقدمة سحابة الشهود من الشهداء والمعترفين الذين وردت أسماؤهم وسطرت سيرهم فى هذا الكتاب ... انى أحس بشفاعتهم عنى وبركتهم لى ... أقدم لهم الكتاب فى طبعته الثانية المزيدة ، باقة حب لهم ووفاء لمبادئهم.واعترافا بفضلهم . أقدم الشكر الى الابوين المحبوبين القس صرابامون عزيز والقس ويصا سامى كاهنى الكنيسة المرقسية الكبرى بالقاهرة ، لاتعابهما فى تقديم الكتاب الى المطبعة واشرافهما على طباعته وقيامهما بتوزيعه ... واذ أسجل ذلك ، أطلب نعمة الصحة والعافية والشفاء للقس صرابامون عزيز من القادر على كل شىء ببركة وشفاعة هؤلاء القديسين .

واذ أضع هذا السفر النفيس ـــ الذى يفوح منه رائحة مسك سير الشهداء وعطر آلامهم وأريج جهادهم ، بين يدى الهنا الصالح المحب أسأله أن يجعله بركة لكل من يقرأونه ويدرسونه ، ثباتا فى الايمان وقوة وبنيانا لحياتهم الروحية المقدسة ، من أجل حياة حب أعمق لمن أحبنا الى المنتهى وبذل ذاته فداء عنا .

وبركة الشهداء الذين حفظوا لنا الايمان الأقدس وسلموه لنا خاليا من كل شائبة تكون معنا وتحفظنا وتهدى خطواتنا فى طريق الحق والنور والحب ، ولالهنا كل مجد وكرامة الى الابد آمين .

٢٢ من طوبة سنة ١٦٩٤ تذكار العظيم فى المجاهدين
٣٠ من يناير سنة ١٩٧٨ الانبا أنطونيوس أب الرهبان

+ بولس
بنعمة الله أسقف المنيا

بعض مراجع الكتاب

مطبوعات :

١ ــ **الكتاب المقدس** .
٢ ــ الصادق الامين فى أخبار القديسين (القاهرة ١٩١٢) .
٣ ــ السنكسار الجامع لاخبار الانبياء والرسل والشهداء والقديسين (القاهرة ١٩٣٥) .
٤ ــ **أوسابيوس القيصرى** : تاريخ الكنيسة ــ ترجمة القمص مرقس داود (القاهرة ١٩٦٠) .
٥ ــ **موسهيم** : تاريخ الكنيسة المسيحة القديمة والحديثة (بيروت ١٨٧٥) .
٦ ــ **الاسقف ايسيذوروس** : الخريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة (القاهرة ١٩٢٣) .
٧ ــ **منسى القمص** : تاريخ الكنيسة القبطية (القاهرة ١٩٢٤) .
٨ ــ **ايريس المصرى** : قصة الكنيسة القبطية الجزء الاول (القاهرة ١٩٥٢)
٩ ــ **أنبا اغريغوريوس** : مذكرات فى الفلسفة المسيحية لطلبة الكلية الاكليريكية .
١٠ ــ **مكسيموس مظلوم** : الكنز الثمين فى أخبار القديسين ــ ثلاثة أجزاء (بيروت ١٨٦٦) .
١١ ــ **بطرس فرماج اليسوعى** : مروج الاخبار فى تراجم الابرار (بيروت ١٨٨٠) .
١٢ ــ **محمد رمزى** : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ــ أربعة أجزاء (القاهرة ١٩٥٣ــ١٩٦٠) .

(13, 14) **Justin Martyr:** The first and second Apologies.
:Dialogue with Trypho.
(15, 16) **Origen:** Exhortation to Martyrdom.
: Contra Celsum.

(17 - 21) **Tertullian:** Ad Martyras.
: Apologeticus.
: De fuga in Persecutione.
: Ad Scapulam.
: De Idolatoria.
(22) **Lactantius:** De Mortibus Persecutorum.
(23) **Sévére d'Antioche:** Les Homiliae Catredrales - (Patrologia Orientalis).
(24) Le Synaxaire Arabe Jacobite par René Basset (Patrologia Orientalis).
(25) **Smith and Cheetham:** A Dictionary of Christian Antiquities, 2. Volumes (London 1875).
(26) **Smith and Wace:** Dictionary of Christian Antiquities, 2 Volumes (London 1887).
(27) The Oxford Dictionary of the Christian Church (Oxford 1958).
(28) The Writings of the Nicene and Post Nicene Fathers, Series 2, Vol. 14 (Michigan 1956).
(29) **Henry Bettenson:** Documents of the Christian Church (Oxford 1944).
(30) **Fustel de Coulanges:** La Cité Antique, Etude sur le Culte, le droit, des institutions de la Gréce et de Rome (Paris 1864).
(31) **E. de Pressensé:** The Early Years of Christianity, Vol. 2, (London 1879).
(32) **Schaff:** History of the Christian Church, fifth edition, (Michigan 1955).
(33) **Butcher:** The Story of the Church of Egypt, Vol. 1, (London 1897).
(34) **Watson:** Defenders of the Faith (London 1899).
(35) **A. J. Mason:** The Historic Martyrs of the Primitive Church (London 1905).
(36) **Paul Cheneau d'Orleans:** Les Saints d'Egypte, Tomes 1, 2 Jérusalem 1923).

مخطوطـات :

٣٧ ــ سيرة الشهيد أبالى بن يسطس ابن الملك نوماريوس ــ مخطوطة ٢٧٠ ميامر بدير السريان .
٣٨ ــ سيرة الشهيد مار بقطر بن رومانوس ــ مخطوطة ٢٥٩ ميامر بدير السريان .
٣٩ ــ سيرة الشهيد تادرس الاسفهسلار ــ مخطوطة ٤٢١ ميامر بدير السريان .

٤٠ ــ سيرة الشهيد تاوضروس المشرق ــ مخطوطة ٢٦٥ ميامر بدير السريان .

٤١ ــ سيرة الشهيد يوليوس الاقفهصى ــ مخطوطة ٢٦٦ ميامر بدير السريان .

٤٢ ــ سيرة الشهيد يعقوب المقطع ــ مخطوطة ٢٦٥ ميامر بدير السريان .

٤٣ ــ **٤٨ ميامر نشرها الاستاذ سليم المنقبادى** :

+ سيرة الشهيدين ديسقورس وسكلابيوس أخيه ــ مخطوطة ٩٥ــ٤٧٤ ميامر بالمتحف القبطى .

+ سيرة الشهيد مار يوحنا الهرقلى ــ مخطوطة ٢٠٨ــ٨٣ طقس بالمتحف القبطى .

+ سيرة الشهيد بفام الأوسيمى ــ مخطوطه ١٠٣ــ٤٨٠ تاريخ بالمتحف القبطى .

+ سيرة الشهيد أبا قسطور القس ، عن مخطوطة محفوظة بكنيسته بجهة بردنوها .

+ سيرة الشهيد أبا كلوج القس ــ مخطوطة ١٦ تاريخ بكنيسة العذراء الاثرية بزويلة .

+ سيرة الشهبدين أبا بجول الجندى وأبا بجول القس ، عن مخطوطة بكنيسة القديس أبا بجول بجهة تلا محافظة المنيا .

٤٩ ــ الشهداء الحميريون العرب فى الوثائق السريانية ــ نشر وتحقيق مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس (١٩٦٦) .

فهـــرس

مَنْ هوَ المسيحى ؟

« على نحو ما توجد الروح فى الجسد ، هكذا المسيحيون فى العالم ... الروح كائنة فى الجسد ، لكنها ليست منه ، والمسيحيون مقيمون فى العالم ، لكنهم ليسوا من العالم . الجسد المنظور يغلف الروح التى لا ترى ، والمسيحيون كائنون فى العالم ، لكن صلاحهم يظل مخفيا . الجسد يبغض الروح ويحاربها ، لكن الروح تحب الجسد الذى يبغضها ... وهكذا المسيحيون يحبون من يبغضونهم .

« الروح الخالدة تسكن فى خيمة مائتة ، والمسيحيون يحيون كغرباء فى أجساد قابلة للفساد ، متطلعين الى مسكن لا يفنى فى السموات ... بحرمان الانسان من المأكل والمشرب تتحسن حالة روحه ، والمسيحيون كلما تعرضوا للآلام والعذابات ، ازدادوا عددا .

« الا ترى المسيحيين يتعرضون للوحوش المفترسة لينكروا الههم ، ومع ذلك لم يقهروا ؟

« الا ترى أنه كلما كثر عدد من يعذب منهم كثرت البقية الباقية ؟

« يبدو أن هذا ليس من صنع الناس ، بل هى قوة الله »(*)

(*) من الرسالة الى ديوجنيتس Diognetus فصل ٥ ، ٦ ، وترجع الى أواخر القرن الاول أو أوائل الثانى .



الحب والألم :

المسيحية هى ديانة الحب ... الحب الخالص ، الحب الباذل ... الحب الذى يستهين بكل شيء ، ويتخطى كل الصعاب ، ويصبر على كل الضيقات .

والمسيحية هى ديانة الحب ... فالهها هو الحب ذاته (١يو٤:٨) ، ويتميز أتباعها عن غيرهم بالمحبة (يو١٣:٣٥) ، حتى أن من يثبت فى المحبة يثبت فى الله ، والله يثبت فيه . وكل من لم يعرف المحبة ، لم يعرف الله (١يو٤:٨) .

واذا كانت المسيحية هى المحبة فى أبهى صورها ، فهى أيضا الالم فى مفهوم جديد ، ومذاق جديد ، لغرض مجيد ...

هكذا صار الصليب علامة المسيحية وفخرها ، وعنوان التلمذة المسيحية ، وسر قوتها ومجدها . بل صار شرطا أساسيا للتلمذة للرب « ان اراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعنى » (مت١٦:٢٤) .

فى شخص رب المجد يسوع ، سعى الحب نحو الألم ، ليستخلص من براثنه من إقتنصهم ، ويحرر من سلطانه من سباهم وأذلهم ... وهكذا تغير مفهوم الألم فى المسيحية ، وتغيرت مذاقته ، وأصبح صليب الألم شعار المجد والغلبة والنصرة ، بل الموصل اليها . وصدق من قال « أينما وجد الصليب وجدت المحبة ، لأنه هو علامة الحب الذى غلب الموت وقهر الهاوية ، واستهان بالخزى والعار والألم » ...

الألم هبة روحية :

هكذا ـــ بالمسيح وفيه ـــ تبدلت صورة الألم وفعاليته ومذاقته ، فارتفع الى مستوى الهبة الروحية « **وهب لكم** لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أن تتألموا أيضا » (فى١:٢٩) ... والرب يسوع يحصى **الضيقات** ضمن

البركات التى يعوض بها ، كل من ترك مقتنياته وتبعه (مر ١٠:٢٨ــ٣٠) .

شركة مع الرب :

لقد غدا الألم فى مفهومه الجديد ، شركة مع الرب المتألم « ان كنا **نتألم معه** ، لكى نتمجد أيضا معه » (رو٨:١٧) ... « لأعرفة وقوة قيامته ، وشركة آلامه متشبها بموته » (فى٣:١٠) ... وأيضا قول الرسول بولس « **أكمل نقائص شدائد المسيح** فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة » (كو١:٢٤) .

لــذة الألــم :

وهكذا أضحى الألم متعة روحية ، وغدا الموت كأسا لذيذا يرتشفها المؤمن سعيدا راضيا ، ويسعى اليها جاهدا عن حب ، بل ويسأل الله مصليا يتعجلها ... ولا عجب ، فقد تحول الموت من شيء مرعب مخيف ، الى صديق محبوب أليف ...

وفى مجال تغير المفاهيم الروحية ، أضحت الحياة الدنيا قصيرة المدى ، غربة وقتية ، وثوبا باليا يرنو المؤمن الى خلعة ليلبس عوضا عنه ثوبا لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل (١بط١:٤) .

قمة الحب :

لا عجب اذن ، ان ظفرت المسيحية بسجل حب حافل ، حوى أسماء لا تحصى من المؤمنين المحبين ... وقد عبر كل عن حبه بطريقته الخاصة ، وبقدر ما استطاع الى ذلك سبيلا ... ونستطيع أن نميز من هؤلاء صنفين صنفا حمل صليبه وسار فى طريق الجلجثة ، والصنف الآخر أبى الا أن يعتلى صليبه متشبها بسيدة ، مقدما ذاته قرباناً طاهرا مقبولا على مذبح الحب والبذل ، فاستحق أن تعلو صليبه كلمات حبيبه ومخلصه « ليس حب أعظم من هذا » (يو١٥:١٣) .

واذا كانت المسيحية هى الحب ، فالموت فى سبيلها هو قمة الحب والبذل ... بهذه النظرة المقدسة الفاحصة نظر المؤمنين فى كل أجيال المسيحية إلى الموت ..

وبهذه النظرة التى ملؤها التقدير والتقديس والتكريم ، نظرت **الكنيسة المسيحية** الى الاستشهاد والشهداء فى كل تاريخها ...

المسيحية والاضطهاد صنوان :

والاضطهاد يسير مع المسيحية جنبا الى جنب ... يسير فى ركابها ، بل ويتصدى لها ، محاولا عرقلة طريقها ، ككنيسة وكأفراد ...

وليس الاضطهاد مُنصباً على فئة معينة أو زمان معين ، فجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون (٢تى٣:١٢) .

« للرب حرب مع عماليق من دور الى دور » (خر١٧:١٦) ... هذا الاضطهاد يصل أحيانا الى الذروة ــ الى الموت ــ وهو ما يعبر عنه بالاستشهاد ...

من هو الشهيد ؟

الكلمة اليونانية μάρτυς التى يقابلها فى العربية « شهيد » ، استخدمت فى أصلها اللغوى للتعبير عن انسان لديه معلومات عن أحداث سابقة مستقاة عن طريق الاشتراك فيها ، لكنه لا يحتفظ بهذه المعلومات لنفسه ، بل يشهد بها ...

وقد أطلقت هذه الكلمة أولا على الرسل كشهود لحياة السيد المسيح وقيامته (اع١:٨ ، ٢٢) . لكنها استخدمت فيما بعد ــ مع اتساع دائرة الاضطهاد ــ للتعبير عن أولئك الذى احتملوا شدائد من أجل الايمان . وهؤلاء هم من تعبر عنهم الكنيسة حاليا بكلمة « المعترفين » . وأخيرا خصصت فقط للذين أقتبلوا الموت لأجل الايمان . وهذا الاستخدام الأخير هو المعروف الآن[1] .

وفى اللغة العربية ، نجد أن الفعل « استشهد » فى معناه الاصطلاحى ، يعنى انسانا قتل فى سبيل الله . أما المعنى الاشتقاقى الفقهى ، فالاستشهاد مشتق من

(1) The Oxford Dictionary of the Christian Church, P. 866.

الشهادة . واستشهد بمعنى سئل الشهادة ، أو طلب للشهادة . والمقصود بالشهادة هنا : هى الشهادة للايمان الذى يدين به ، ويذود عنه .

مأساة طويلة ...

وتؤلف الاضطهادات التى حاقت بالمسيحية منذ ظهورها مأساة طويلة بدأت بالسيد المسيح نفسه وامتدت الى اتباعه ... وكان وسط مشاهد الكراهية الشيطانية ، والقسوة البالغة ، تظهر الفضيلة المحتملة تشع ببريق أصالتها ... وكان بين الحين والحين يتخلل هذه المشاهد فترات هدوء أو راحة قصيرة . وأخيرا شنت الوثنية هجمات مرعبة ، وابدت مقاومة يائسة للحياة أو الموت ، انتهت بالظفر النهائى للمسيحية ... وكأنى بالكنيسة قد اصطبغت بهذه المعمودية الدموية ، بعد أن ولدت فى العالم ...!

ولسهولة الدراسة سنقسم الاضطهادات التى حاقت بالكنيسة المسيحية ــ وهو ما يعنينا فى هذا البحث ــ الى مرحلتين :

أ ــ اضطهاد اليهودية للمسيحية ، فى فصل واحد .

ب ــ اضطهاد الوثنية للمسيحية ، فى ثلاثة أبواب على النحو الاتى :

ــ روما الامبراطورية الوثنية .
ــ مع الشهداء الأبطال .
ــ مع الكنيسة الساهرة .

اضطهاد اليهودية للمسيحية

« اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم ، وأضطهدونا نحن . وهم غير مرضين لله و واضداد لجميع الناس ... قد أدركهم الغضب إلى النهاية » .

(١تس ٢ : ١٥ ، ١٦) .

لم يقبل اليهود المسيح الها ومخلصا وملكا ، على الرغم من انتظارهم اياه وتوقعهم مجيئه ... لم يستطيعوا التعرف عليه وهو بالجسد ، اذ رأوه وديعا متواضعا ، لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ... وعلى الرغم من أن أنبياءهم سبقوا وأنبأوا بسلوكه الوديع الهادىء المتواضع ، وبكل صفاته (أش٤٢:٢،٣، ص٥٣، زك٩:٩) . لكن روح التمرد والكبرياء كانت تعتمل فى داخلهم ، فأعمت عيونهم ، وأصمت آذانهم ، واثقلت قلوبهم ، فقتلوا الانبياء ورجموا المرسلين اليهم (مت٢٣:٣٧) ، ولم يستطيعوا أن يروا فى المسيح بالجسد ملك اسرائيل ... لقد كانت أفكارهم متعلقة بالزمنيات والماديات . هم ارادوا زعيما يحررهم من نير الرومان ، ويملك عليهم ملكا زمنيا كملك داود . ولذا ، فحينما كلمهم المسيح عن شخصه المبارك ، وأنه يحررهم من عبودية الخطية ، ويملك عليهم ملكا روحيا ... رفضوه ، ولم يحاولوا أن يفهموه ، واستمروا فى عنجهيتهم ، انهم ذرية ابراهيم ولم يستعبدوا لأحد قط (يو٨:٣٣) ... ولعل هذه هى مشكلة اسرائيل حتى اليوم ... الملك المادى الزمنى !!.. وأخيرا قام اليهود على المسيح وقتلوه متحملين قصاص جريمتهم ، هم ونسلهم من بعدهم « دمه علينا وعلى أولادنا » (مت٢٧:٢٥) .

لا عجب ان تصدى اليهود لاتباع السيد المسيح ، محاولين استئصال شأفتهم . وقد سلكوا فى سبيل اشباع روحهم العدائية ، ثلاثة سبل ، واتبعوا ثلاثة أساليب ، تتمشى مع تاريخهم ... فحين كانوا يملكون القوة والسلطان سلكوا السبيل الانتقامى ، بالتعذيب والقتل . وحيث كانت تعوزهم القوة والسلطان ، كانوا يسلكون مسلكا دنيئا بالوشاية لدى السلطات ، واثارة الجماهير . وبعد أن ولت عنهم هذه وتلك لجأوا للأسلوب الخداعى عن طريق المقاومة الفكرية ...

ونود الاشارة الى انه نظرا لندرة المصادر التاريخية الموثوق بها — خلاف كتاب العهد الجديد — عن العصر الرسولى ، فان اعتمادنا الاكبر سيكون على أسفاره ..

أولا : المسلك الانتقامى

وأسفار العهد الجديد مشحونة بأمثلة تعذيب اليهود للمسيحيين وقتلهم :

مـع الرسـل :

● قبض الكهنة والصدوقيون على بطرس ويوحنا عقب شفاء المقعد من بطن أمه ، وحبسوهما ثم اطلقوهما بعد أن هددوهما (أع٣،٤) .

● مرة أخرى قام رئيس الكهنة ومعه الصدوقيون وحبسوا الرسل جميعا ، لكن ملاك الرب فتح أبواب السجن ليلا وأخرجهم ، وانطلقوا الى الهيكل وبشروا الشعب . فاغتاظوا واخذوا يتشاورون ليقتلونهم . لكنهم اكتفوا بجلدهم وتهديدهم بعد تدخل غمالائيل ، وكان فريسيا معتدلا (أع٥) .

شاول الطرسوسى وجهوده ضد المسيحيين :

● ولعل شاول الطرسوسى (بولس الرسول قبل اهتدائه) ، يمثل لنا اليهودى المتعصب أصدق تمثيل ... استعرض هو بنفسه سيرته الاولى ، وغيرته الهوجاء أمام الملك أغريباس فى قيصرية ، بينما كان مسجونا فيها لاجل المسيح ، قال « أنا ارتأيت فى نفسى انه ينبغى أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى . وفعلت ذلك أيضا فى أورشليم . فحبست فى سجون كثيرين من القديسين ، آخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة . ولما كانوا يقتلون ، القيت قرعة بذلك . وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مرارا كثيرة وأضطرهم الى التجديف . واذ أفرط حنقى عليهم كنت اطردهم الى المدن فى الخارج ... » (أع٢٦: ٩ـــ١١) .

● وفى أورشليم قال بولس للجمع الهائج ضده « أيها الرجال الاخوة والآباء ... كنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم . **واضطهدت هذا الطريق حتى الموت ، مقيدا ومسلما الى السجون رجالا ونساءً** كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة ، الذين اذ اخذت أيضا منهم رسائل للأخوة الى دمشق

ذهبت لآتى بالذين هناك الى أورشليم ، مقيدين لكى يعاقبوا » (اع٢٢:١ـ٥) ... ولقد اشترك أيضا فى قتل اسطفانوس أول شهداء المسيحية (أع٨:١، ٢٢: ٢٠) .

بولس المضطهد :

• ولما تحول شاول المقاوم الى بولس أسير يسوع المسيح ، اقتبل من اليهود خمس مرات ، أربعين جلده الا واحدة (٢كو١١: ٢٤) .

• وفى احدى المرات امسكه اليهود وجروه خارج الهيكل لكى يقتلوه ، لولا أن ليسياس أمير الكتيبة الرومانية التى فى أورشليم ، أنقذه من أيديهم ، وقيده بسلسلتين (أع٢١: ٣٠ـ٣٣) .

• ولقد بلغت كراهية اليهود للمسيحيين عامة ، وله هو خاصة ، حدا دفع أكثر من أربعين يهوديا أن يتعاهدوا ألا يذوقوا طعاما أو شرابا حتى يقتلوا بولس . وتم هذا التعاقد بالاتفاق مع رؤساء الكهنة (أع٢٣) .

باكورة من الشهداء :

ومن أشهر شهداء هذه الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، الذين قتلهم اليهود : استفانوس رئيس الشمامسة الذى رجموه حوالى سنة ٣٦ أو سنة ٣٧م (أع٨) ، ويعقوب الكبير (ابن زبدى) الذى قتله هيرودس بالسيف سنة ٤٤م (أع١٢: ٢) ، ويعقوب الصغير أسقف أورشليم (أخو الرب) الذى رجموه حوالى سنة ٦٣م ، وسمعان أسقف أورشليم الذى صلب سنة ١٠٧م .

عصيان باركوكبا :

على ان هناك مصائب واضطهادات حلت بالمسيحيين أثناء ثورة باركوكبا Bar-Cochba (أى ابن الكوكب) ، وهو مسيح كذاب أعلن عصيانا مسلحا قويا ضد الدولة الرومانية فى الفترة من (١٣٢ـ١٣٥م) على عهد الامبراطور هدريان . وقد قتل جميع المسيحيين الذين لم يشتركوا فى حركته . وقد انتهى امره بالهزيمة الشنيعة بعد مقاومة يائسة ، ذبح منها نحو نصف مليون يهودى . كما سيقت أعداد ضخمة منهم عبيدا الى روما ، وهدمت ٩٨٥ قرية يهودية ،

وخمسون قلعة ، وخربت معظم فلسطين ، وتحطمت أورشليم ثانية . ومحى اسمها . وأقيمت على أنقاضها المستعمرة الرومانية آلياكابتولينا Aelia Capitolina بصورة الاله جوبتر ومعبد للالهة فينوس وكنتيجة لهذا العصيان منع اليهود من زيارة هذه البقعة المقدسة . والا عرضوا أنفسهم لعقوبة الموت . وكان يسمح لهم بالنظر اليها من مسافة بعيدة وينتحبون عليها فى التذكار السنوى لهدمها .[1]

ثانيا : مسلك الوشاية واثارة الجماهير

وهو مسلك دنىء تميزوا به فى أسفار العهد الجديد ، وكانوا يلجأون اليه حينما كانت تعوزهم الفرصة للفتك بخصومهم واضطهادهم :

من أمثلة الوشاية :

- ما فعلوه مع استفانوس رئيس الشمامسة . اذ لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به ، حينئذ دسوا لرجال يقولون اننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله ، وهيجوا الشعب والشيوخ والكتبة ... وأقاموا شهودا كذبة يقولون عن استفانوس انه لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا ضد هذا الموضع المقدس والناموس (أع٦:٩ــ١٤) .
- كما سعوا بالقديس بولس لدى والى الحارث الملك فى دمشق ، فأحكم مراقبة أبواب المدينة نهارا وليلا بقصد القبض عليه وقتله ، لولا أن الاخوة المؤمنين دلوه من طاقة فى زنبيل من سور المدينة (أع٩:٢٣ــ٢٥، ٢كو١١:٣٢، ٣٣) .
- وفى انطاكية بيسيديه ــ بعد ان آمن كثيرون بسبب كرازة بولس وبرنابا ــ حرك اليهود ، النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة ، ضد الرسولين وأخرجوهما من تخومهم (أع١٣:٥٠) .
- وفى تسالونيكى تقدم اليهود الى الوالى بوشاية ضد المسيحيين قائلين

(1) Schaff, vol. 2, P. 37.

« المسيحيون الذين فتنوا المسكونة ، حضروا الى هنا أيضا ... وهؤلاء كلهم يعلمونْ ضد أحكام قيصر ، قائلين انه يوجد ملك آخر اسمه يسوع . فأزعجوا الجمع وحكام المدينة اذ سمعوا هذا » (أع١٧: ٦ــ٨) .

● وفى عهد الامبراطور دومتيان (٨١ــ٩٦) أطلقوا اشاعة مؤداها ، ان المسيحيين لهم أطماع سياسية ، الامر الذى دفع الامبراطور الى التفكير فى ابادة ذرية داود الاحياء . فأرسل وأحضر من فلسطين اثنين من أقارب الرب يسوع بالجسد ، وهما حفيدا يهوذا المدعو أخا الرب . لكن ما أن اطلع الامبراطور على فقرهم ، ولمس بساطتهم وسمع منهم عن معنى ملك المسيح وأنه ليس ملكا أرضيا عالميا بل سماويا روحيا حتى أخلى سبيلهم[٢] .

● وبعض الاتهامات الخطيرة التى راجت ضد المسيحيين فى القرون الثلاثة الأولى (قتل طفل وزنا بالمحارم فى اجتماعات المسيحيين السرية المسائية) والتى كانت سببا فى ثورة جماهير الوثنيين ضدهم كان اليهود هم مصدرها[٣] .

من أمثلة اثارة الجماهير :

● فى ايقونية ــ بعد ان آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين ــ هيج اليهود غير المؤمنين المدينة كلها ، ورتبوا هجوما لرجم بولس وبرنابا ، فهرب الرسولان الى مدينتى ليكأونية لسترة ودربة والى الكورة المحيطة . (أع١٤: ١ــ٦) .

● وفى مدينة لسترة بعد ان شفى بولس المقعد من بطن أمه ، اندفع الناس بحماس شديد ليكرموه هو وبرنابا . ووصل الامر بالناس الى القول ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا الينا . لكن بعض اليهود الذين أتوا من انطاكية وايقونية ، هيجوا الناس ضد بولس فرجموه ، وجروه خارج المدينة ظانين انه قد مات (أع١٤: ٨ــ١٩) .

● وبلغوا من حماسهم ضد بولس أو ضد المسيحية فى شخصه ، انهم كانوا

---

(2) Watson: Defenders of the Faith, PP. 15, 16.

(3) Justin Martyr: Dialogue C. 17; Origen: Contra Celsum 6:27.

ينتقلون من مدينة الى أخرى ليثيروا الناس ضده ، كما حدث حينما انتقل بعض اليهود من تسالونيكى الى بيريه لهذا الغرض (أع١٧:١٣) .

- كما قاموا فى مدينة كورنثوس بشغب عظيم ضد بولس واقتادوه الى كرسى الولاية (أع١٨:١٢) .
- وكان لهم نشاط خاص فى حرق بوليكاربوس أسقف أزمير حينما حرضوا الوثنيين ضده وزادوا من عنفهم بافترائهم على المسيحيين .
- وعلى مر العصور كانوا لا يتركون فرصة تسنح لهم الا وينتهزونها لأعمال الاثارة ضد المسيحيين . ومن أمثلة ذلك دورهم الذى قاموا به فى الاسكندرية تحت حكم الامبراطور ديسيوس (٢٤٩ــ٢٥١) فى مدة رئاسة البابا ديونيسيوس الاسكندرى الرابع عشر .[٤]

ثالثا : المقاومة الفكرية

بعد حريق الهيكل وخراب أورشليم مرتين على يد الرومان على نحو ما ذكرنا ، لم تسنح لليهود فرصة لاضطهاد المسيحيين اضطهادا قائما بذاته . على أن هذه الكوارث التى حلت بهم حطمت قوتهم القومية ، لكنها لم تحطم كراهيتهم للمسيحية . فاستمروا فى اثارة الافتراءات على الرب يسوع وأتباعه ... أما الوسيلة التى اتبعوها فهى التعليم عن طريق المدارس وقد قامت هذه المدارس بدور فعال فى تشويه المسيحية ومسخها وتوجيه المطاعن اليها . ومن أمثلة ذلك ، ما قامت به مدارس اليهود فى طبرية وبابل فى تغذية الروح العدائية ضد المسيحية ...

وهكذا نجد التلمود فى جزئة الاول المعروف باسم « المشنا Mishna » ، والذى جمع أواخر القرن الثانى الميلادى ، فى جزئه الثانى المعروف باسم « الجمارا

---

(٤) منسى القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٣

« Gemara » والذى جمع فى القرن الرابع المسيحى ، يعكس لنا فى وضوح يهودية تلك الايام ، وكيف أنها قاومت المسيحية عن طريق التعليم(٥)

وقد اهتمت الكنيسة بمقاومة هذا المسلك الفكرى العدائى اليهودى . وأقدم ما وصل الينا عن هذا الخصوص :

أ ـــ ما كتبه أحد اليهود المتنصرين ويدعى ارسطو من قرية بلا Pellaوهى التى لجأ اليها المسيحيون من أورشليم قبيل خرابها الاول سنة ٧٠م ، وسماه « حوار جاسون وبابسكوس Jason and Papiscus بخصوص المسيح » . ويرجع الى النصف الأول من القرن الثانى . وينتهى باقتناع بابسكوس اليهودى وعماده على يد جاسون المسيحى .

ب ـــ حوار يوستينوس الشهيد مع تريفو Trypho اليهودى فى مدينة أفسس ويقع فى ١٤٢ فصلا . كتبه حوالى منتصف القرن الثانى . وفيه يفند يوستينوس كل ادعاءات اليهود وافتراءاتهم . ويبين أن اليهودية لم تكن سوى مقدمة للمسيحية وأن اليهود وفقا للعهد القديم عليهم أن يؤمنوا بالمسيح(٦) .

جـ ـــ ما كتبه ترتليانوس ضد اليهود Adversus Judoeos والاتهامات الأخلاقية التى راجت ضد المسيحيين فى القرون الثلاثة الأولى (قتل طفل ـــ وزنا المحارم فى اجتماعاتهم) والتى كانت سبباً فى ثورة جماهير الوثنيين ضدهم ، كان اليهود هم مصدرها . وقد ذكر ذلك اوريجينوس ويوستينوس(٧) .

ومن أساليب الخداع التى انتهجتها اليهودية عبر الاجيال ، محاولتها الاساءة الى المسيحية والنيل منها ليس عن طريق مهاجمتها من الخارج هجوما سافرا ، بل باستحداث بدع فى اطار المسيحية ، تنادى بتعاليم هرطقية تهدم بها المسيحية وتنال منها . وفى أمثال هذه الحالات يكون خصم المسيحية الذى يسىء اليها يهوديا يلبس ثيابا مسيحية ، حتى ما يسهل عليه التسلل الى داخل الكنيسة فى

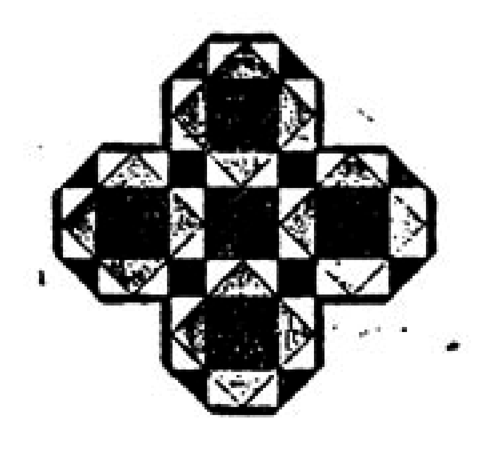
---

(5) Schaff, vol. 2, P. 38, 39.

(6) Schaff, vol. 2, p. 107 - 109.

(7) Origen; contra Celsum 6: 27; Justin Martyr, Dialogue C. 17.

هدوء .. وكتجسيد لهذا الاسلوب الخداعى فى العصر الحالى ، ظهر السبتيون وشهود يهوه وغيرهم .



الشهداء الحميريُون العَربُ

فى القسم الاول من هذا الكتاب عرضنا لاضطهاد اليهودية للمسيحية ويكاد يكون ما عرضنا له قاصرا على ما دونه القديس لوقا فى سفر أعمال الرسل بالاضافة الى ما جاء برسائل القديس بولس الرسول من اشارات مقتضبه . لكن بعد أن أهدانا غبطة مار اغناطيوس يعقوب الثالث كتابه القيم « الشهداء الحميريين العرب » وهو نشر وتحقيق لبعض المخطوطات والوثائق باللغة السريانية — رأينا أن نضيفه الى الكتاب اتماما للفائدة ...

وحمير أو بلاد الحميرين هى المعروفة حاليا ببلاد اليمن ، وتقع فى جنوبى شبه الجزيرة العربية . عرفت بعدة أسماء . دعيت بلاد « سبأ » كما دلت على ذلك الآثار المكتشفة بها . ودعيت بلاد الهند (**الهند**) كما يذكر ذلك المؤرخ الكنسى يوسابيوس القيصرى . كما دعيت باسم بلاد « **الحبشة** » أما السبب فى هذه التسميات فترجع الى لون بشرة سكانها التى تميل الى السواد . ومن أشهر مدنها : سبأ ، ومأرب ، وظفار ، ونجران ، وحضرموت ، وذى ريدان . وقد لقب ملوك الحميريين بملوك سبأ .

المسيحية فى بلاد حمير (اليمن)

دخلت المسيحية تلك البلاد فى بداية ظهورها . فقد ذكر بعض آباء ومعلمى السريان ، أن الخصى الذى عمده فيلبس المبشر (أع٨) ، كان وزيرا لكنداكة ملكة الحبشة . والمقصود ملكة سبأ . وهكذا فان ذلك الوزير كان حميريا لا حبشيا . ويقول بعض المؤرخين — ومنهم يوسابيوس القيصرى — أن القديس برثولماوس الرسول كان أول من بشر بها وببلاد الحجاز ، وعمد كثيرين من سكانها خاصة من اليهود ، وترك لهم نسخة من أنجيل متى ، وجدها عندهم بنتينوس مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية حينما زار تلك البلاد فى القرن الثانى الميلادى . وقد انتشرت المسيحية فى تلك البلاد ، لا سيما فى نجران وظفار

ومأرب وحضرموت . بل أصبحت مركز ايبارشية فى أوائل القرن السادس . وكان الحميريون المسيحيون على العقيدة الارثوذكسية .

اضطهاد المسيحيين الحميريين (اليمنيين) :

اثار هذا الاضطهاد سنة ٥٢٣م مسروق أو ذونواس الذى اعتنق الديانة اليهودية وارتقى الى منصب الملك .وفتك ببضعة آلاف من المسيحيين الآمنين . أما أسلوبه فى تعذيب المسيحيين فيذكره الطبرى المؤرخ المسلم بقوله « خد لهم الاخدود ، وحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثل بهم كل مثلة » هذه العبارة المقتضبة ، ذكرت مفصلة فى المخطوطات السريانية .

شهداء نجران :

لما تملك ذونواس اليهودى كتب لرؤساء القبائل المسيحيين فى حضرموت وسبأ وحزيه وتيمنه ونجران وغيرها من البلاد الخاضعة لسلطانه أن يحضروا لمدينة دياريدن ، وتوجه هو لمدينة ظفار ريثما يجتمعون .

ثم حارب الاحباش (الارثوذكسيين) الذين كانوا فى ظفار واذ رأى انه لن يستطيع هزيمتهم فكر فى خداعهم بأن أرسل لهم كاهنا يهوديا واثنين من المسيحيين اسما . وحملهم رسائل الامان للاحباش انه سيأمنهم على أرواحهم ان سلموا له مدينة ظفار دون حرب واعداً اياهم بارسالهم احياء الى ملك الحبشة . واذ خدعوا بوعده خرجوا اليه ، وكان عددهم ٣٠٠ رجلا ، مع رئيس كهنة الاحباش أبابوت . رحب بهم الملك اليهودى وفرقهم على عظمائه ليقتل كل منهم الحبشى الذى فى حوزته . وأجهز على الجميع فى تلك الليلة .

وفى الصباح أرسل رجالا لحرق الاحباش الباقين المعتصمين بكنيسة ظفار . فأحرق الكنيسة ومن فيها وكان بها ٢٠٠ رجلا من الاكليروس والعلمانيين . وبعد أن تم له ذلك أعلن الاضطهاد العام على مسيحى اليمن .

أوفد رسلا مع كهنة اليهود الى جميع البلاد الخاضعة لسلطانه لقتل المسيحيين أينما وجدوا الا اذا انكروا المسيح وتهودوا . كما أمر أن يحرق مع بيته كل من يخفى مسيحيا فضلا عن مصادرة أمواله .

وكان باكورة من استشهدوا فى حضرموت القس ايليا وأمه وأخوها ، والقس توما الذى كان قد بتر ذراعه الايسر بسبب اعترافه بالمسيح .

وأرسل الملك ثلاثة من كبار قواده على رأس كتيبة من الجنود لمحاربة أهل نجران المسيحيين فبارزوهم النجرانيون وطردوهم بقوة السيد المسيح . ثم عاد فجرد حملة أخرى فتعرضت ثانية للهزيمة . ثم قاد الملك بنفسه جيشا قوامه ١٢٠,٠٠٠ من الجند وحاصر مدينة نجران أياما كثيرة ولما عجز عن فتحها بالحرب أوفد اليهم كهنة اليهود الذين من طبرية حاملين توراة موسى وكتاب الايمان مختوما بخاتم الملك اليهودى فحلفوا لهم بالتوراه ولوحى موسى وتابوت العهد واله ابراهيم واسحق واسرائيل بأنه لن ينالهم اذى اذا سلموا المدينة طوعا وخرجوا اليه .

فوثق النجرانيون بهذه الوعود وخرج اليه ثلثمائة شخص من الاشراف فرحب بهم فى بشاشة وتودد واكد انه سينفذ وعده ولن يضطهد احد بسبب مسيحيته وتناولوا الطعام أمامه ، وأمرهم أن يخرجوا اليه فى اليوم التالى ألف شخص . فلما فعلوا فرقهم على قواده خمسين خمسين وامر كل منهم بأن يحتفظ بالاشخاص الذين يصلون اليه حتى اذا انتهوا من طعامهم اوثقوهم من ايديهم وارجلهم وجردوهم من سلاحهم . واذ اطمئن لتنفيذ خطته ارسل الجنود اليهود للمدينة للقبض على جميع المسيحيين الذين فى المدينة ليريهم عظام الشهداء الـ ١٣٠٠ الذين نكل بهم ومن بينهم عظام مار بولس أول اسقف لمدينة نجران الذى سامه مار فلكسينوس اسقف منبج .

وكان بولس هذا قد استشهد على أيدى يهود طبريه رجما بالحجارة فى ظفار عاصمة بلاد اليمن فقد أدخل اليهود عظام الشهداء للكنيسة وكوموها فى الوسط ثم ادخلوا القسوس والشمامسة والايبذياقونيين والاناغنوسطسيين والنذراء والنذيرات والشبان والشابات وملأوا الكنيسة عن آخرها حتى بلغ عددهم الفين ثم جاءوا بالحطب ووضعوه حول الكنيسة واضرموا فيه النار فاحرقت الكنيسة ومن فيها .

استشهاد نساء نجران :

أما النساء لما شاهدن احتراق الكنيسة والكهنة سارعن قائلات هيا بنا لنتمتع برائحة الكهنة فكن يدخلن النار ويحترقن أما الشماسة اليشبع أخت مار بولس الاسقف الشهيد التى كان بعض المسيحيين قد أخفوها قسرا اذ علمت باحتراق الكنيسة والكهنة وعظام أخيها بالنار سارعت الى الكنيسة تنادى بصوت عال « ها اننى معك يا أخى أمضى الى المسيح » واندفعت الى فناء الكنيسة فاذ رآها اليهود ظنوا انها لم تحتمل النار فخرجت الى خارج الكنيسة أما هى فأجابت كلا لم اخرج من الداخل بل جئت لأدخل واحترق مع عظام أخى ورفاقه الكهنة ، فانى اشتهى أن احترق مع عظام أخى الاسقف فى الكنيسة التى حرقت فيها وكانت فى السابعة والاربعين من عمرها .

فقبض عليها اليهود وجاءوا بحبال رفيعة وعكفوا رأسها وركبتيها كالجمل ولفوا عليها الحبال ووضعوا تحتها أوتادا خشبية وفتلوها بشدة حتى انغرزت الحبال فى جسمها وعملوا شبه اكليل من الطين ووضعوه على رأسها مستهزئين قائلين « اقبلى اكليلك يا شماسة ابن النجارين » ثم عملوا الطين شبه قصعة وغلوا زيتا وسكبوه على رأسها ولما احترق رأسها كله قال لها اليهود « قد يكون باردا أنغليه ثانية . أما القديسة فاذا تعذر عليها الكلام من فرط الالم أومأت اليهم وقالت أريد المزيد ثم اخذوها الى خارج المدن وعروها من ثيابها وربطوا حبالا برجليها وجاءوا بجمل من الابل الصعاب واخذوها الى البرية حيث ربطوا الحبال بالجمل وعلقوا به اجراسا خشبية لتدق فيثور الجمل ثم تركوا الجمل فى البرية فخطفها بحدة وعلى هذه الصورة استشهدت الطوباوية اليشبع الشماسة .

وقد روى الوافدين من نجران أن ثلاثة شبان من عشيرتها تدلوا من سور المدينة فى الليل وترسموا خطى الابل وساروا حتى التاسعة من النهار فوجدوا الطوباوية عند جزع شجرة قديم اتفق أن علقت به الحبال المربوطة برجليها فتوقف الجمل بعد أن التفت الحبال حول عنقه وخنق وهكذا استطاعوا ان يدخلوا جسدها من المبذل (الذى يخرج منه ماء المدينة فى الشتاء) وأخذوا كتانا نقيا وبخورا وحنوطا ووضعوها فى حفرته ووضعوا عليها علامة .

الشهيدة تهنـه :

هذه اذ سمعت باحتراق الكنيسة أمسكت ابنتها أمه وهى نذيره وذهبتا للكنيسة للاستشهاد واذ رأتهما أمتها حزية سألتها الى أين أنت ذاهبة ياسيدتى فاذ علمت قصدها صاحبتها ودخلن الثلاثة الى الكنيسة فاحترقوا بالنار .

وقد تم احتراق الكنيسة وعظام الشهداء والاسقف مار بولس والكهنة وجميع الشعب فى ١٥ تشرين الثانى اليوم الذى استشهدت فيه الشماسة اليشبع ورفيقاتها .

استشهاد رئيس قبائل نجران (الحارث بن كعب) :

وبعد احتراق الكنيسة أحضر الملك الاعيان والاشراف الذين وقفوا أمامه مكبلين فسألهم لماذا تمردتم و لم تسلموا المدينة واتكلتم على ذلك الساحر المضل ابن الفجور (المسيح له المجد) وعلى هذا الشيخ الحارث ابن كعب الذى صار لكم رئيسا .

ثم قام الملك فنزع ثياب الحارث وأوقفه عريانا أمام شعبه وقال له الا تخجل من شيخوختك وانت الآن فى خزى عريك اجابه قائلا : أنا لا أخجل بعرى جسمى لان المسيح الذى اعبده يعلم اننى خير منك باطنا وظاهرا لم يحمل ظهرى اثر للسيف أو الرمح مثله انما ذاك فى صدرى وقد انتصرت بقوة المسيح فى حروب كثيرة وقتلت فى الحرب اخا الجالس عن يمينك وهو ابن عمك .

فقال له الملك : انى اشير عليك ان تكفر بالمسيح والصليب رحمة بشيخوختك والامت اشر ميتة .

اجاب الحارث : تذكر ايمانك باله ابراهيم واسحق واسرائيل وبتوراتك واللوحين وتابوت العهد .

قال الملك : دع هذه جانبا واكفر بالمسيح والصليب .

أجاب الحارث : انى متألم اكثر من جميع المسيحيين رفاقى لانى قلت لهم ولم يسمعوا لى فقد كنت متأهبا لمنازلتك فى الحرب من أجل شعب المسيح

فاما قتلتنى أو قتلتك وكنت واثقا بالمسيح بانى أظفر بك بيد أن رفاقى منعونى فنويت أن اخذ بنى عشيرتى وعبيدى وحدهم وأخرج لمنازلتك فأوصد المسيحيون رفاقى أبواب المدينة ولم يسمحوا لى بالخروج فقلت لهم ان يحتفظوا بالمدينة والا يفتحوا لك الابواب وكنت واثقا بالمسيح بأن المدينة لن تفتح . ولما أرسلت اليهم كلمة القسم نصحتهم الا يصدقوك .

ولم يسمع رفاقى لى ، والآن تعرض على فى شيخوختى أن اكفر بالمسيح . أتريد بعد هذه السن أن أعيش غريبا عن المسيح . أرى انك لم تتكلم كملك ولم تفعل كملك لان الملك لا يكذب ، لقد رأيت ملوكا كثيرين ولكننى لم أر ملوكا يكذبون . أما أنا فلى سلطان على نفسى ، وبسلطانى هذا لا أكذب أمام المسيح ، **حاشا لى أن أنكر المسيح الاله الذى آمنت به منذ صباى واعتمدت باسمه بل اسجد لصليبه ، وأموت من أجله** . حقا انى مغتبط اذ اهلنى المسيح فى شيخوختى أن أموت من أجله ، الآن علمت انه يحبنى ، اذ عشت طويلا فى العالم بنعمته ، وقد أكثر لى المسيح فى هذا العالم بنين وأحفادا وعشيرة وبقوته انتصرت فى حروب كثيرة وفى هذا أيضا سأنتصر بقوة الصليب ... الآن علمت حقا انى لن أموت الى الأبد ... ثم التفت للمؤمنين الواقفين ورائه وقال أسمعتم فصرخ الشعب وقالوا لقد سمعنا فقال لهم أحق هو قالوا انه حق وعاد يكلمهم أبينكم من يخاف السيف ويكفر بالمسيح اذن فلينفصل من بيننا فصرخ الشعب : **حاشا لنا أن نكفر بالمسيح ، تشجع ولا تتألم بهذا ، أننا جميعا مثلك بل معك نموت من أجل المسيح** .

ثم نادى أيها المسيحيون واليهود اسمعوا :

« اذا كفر أحد بالمسيح وعاش مع هذا اليهودى سواء كانت زوجتى أم أحد من أبنائى أو بناتى أم من جنسى وعشيرتى فالكفر به أولى وليست لى **شركة معه . ليكن كل ما أملكة للكنيسة التى ستبنى بعدنا** فى هذه المدينة واذا عاشت زوجتى أو أحد أبنائى وبناتى بأية وسيلة كانت ولم يكفروا يالمسيح فليكن كل ما أملكه لهم . ولتخصص للكنيسة ثلاث قرى من ملكى تختارها الكنيسة نفسها .

ولما قال الشيخ هذا أمام الشعب التفت الى الملك اليهودى وقال :

حاشا لنا أن نكفر بالمسيح ربنا والهنا .
لا مانع من جهتنا أن نموت من أجل المسيح .
كفرا بكل من يكفر بالمسيح .
كفرا بكل من لا يعترف بأن المسيح هو الاله ابن الاله .
كفرا بكل من لا يعترف بصليب المسيح .
كفرا بك وبكل من يذعن لك ولليهود رفاقك .
ها أننا واقفون امامك فأفعل بنا مهما شئت أن تفعل .
ها انى اسم نفسى وجميع رفاق كعادتنا بسمة الصليب الحية ،
باسم الآب والابن والروح القدس .

فصرخوا جميعهم آمين فآمين ، ثم رسموا على أنفسهم علامة الصليب وقالوا :

« تشجع يا أبانا ولا تجزع ها ان ابراهيم رئيس الآباء ينتظرك وايانا معك »

فلما رأى الملك أنه لا سبيل لكفرهم بالمسيح أمر أن يساقوا الى الوادى حيث تحز رؤوسهم وتلقى اشلاؤهم ، وفى الوادى بسطوا أيديهم للسماء وصلوا قائلين :

« أيها المسيح الهنا هلم الى معونتنا وقونا وتقبل نفوسنا ، ليطب لك دم عبيدك الذى يسفك من اجلك ، أهلنا لمشاهدتك ، ها اننا قد اعترفنا بك كما علمتنا فاعترف بنا أنت أيضا أمام أبيك حسب وعدك . وابن هذه الكنيسة التى احرقها اليوم هذا اليهودى .

وبعدما عانقوا بعضهم بسط الشيخ الحارث بن كعب يده وصرخ :

« سلام المسيح الذى أعطى الى اللص فى الصليب ليكن معنا أيها الاخوة » .

وجثا الشيخ على ركبتيه وقد أمسك به رفاقه يسندون يديه كموسى فى قمة الجبل فضربه القاتل وحز رأسه وهكذا استشهدوا جميعا .

استشهاد طفل فى الثالثة من عمره :

وكانت أمه خارجة للاستشهاد وكانت ممسكة بيده فلما عاين الطفل الملك جالسا لابسا ثيابا ملكية ترك أمه وجرى فقبل ركبتى الملك واخذ يهش له فقال الملك للطفل : ماذا تريد ؟

الطفل : أريد أن أموت مع أمى اذ قالت : هلم نمضى ونموت من أجل المسيح لان ملك اليهود أمر أن يموت كل من لاينكر المسيح .

الملك : ومن أين تعرف المسيح ؟

الطفل : **أنا وأمى نراه كل يوم فى الكنيسة واذا جئت الى الكنيسة فساريك اياه .**

الملك : اتحبنى أم تحب امك ؟

الطفل : انى أحب أمى أكثر منك .

الملك : اتحبنى أم المسيح ؟

الطفل : انى احب المسيح أكثر منك لانه خير منك .

الملك : ابق عندى فأعطيك جوز لوزا وتينا ومهما طلبت .

الطفل : لا والمسيح لا آكل جوز اليهود ولا أمى تأكله .

الملك : لماذا ؟

الطفل : لان جوز اليهود هو نجس .

الملك : أنا خير لك من المسيح .

الطفل : لا وحياة سيدنا لن أكفر بالمسيح ماذا تكون انت ؟

الملك : أنا أكفر بالمسيح .

الطفل : انت اذن يهودى دعنى أمضى الى أمى قبل أن تموت وتتركنى فيأتى اليهود ويأخذونى دعنى أمضى والا ضربتك وقلت لامى انك كفرت بالمسيح فتضربك هى الاخرى .

الملك : ولما اتيت وقبلت ركبتى ؟

الطفل : لانى ظننت انك الملك المسيحى الذى رأيته فى الكنيسة فلو عرفت انك يهودى لما أتيت اليك .

الملك : ابق عندى وستكون لى ابنا .

الطفل : لا .. والمسيح لا ابق عندك لان رائحتك كريهة وأن رائحة أمى لاذكى من رائحتك .

فقال الملك للواقفين : تأملوا هذا الاصل الردىء ، كيف يتكلم منذ طفولته تبصروا كيف استطاع ذلك الساحر المضل أن يضل حتى الاطفال ، فقال احد الوزراء للطفل :

الوزير : تعال معى فآخذك الى الملكة فتصير لك أما .

الطفل : تبالك .. وحياة سيدنا المسيح ان أمى خير لى من الملكة ، لانها تأخذنى الى الكنيسة ، أما الملكة فلا تأخذنى الى الكنيسة . ولما رأى الصبى ان الملك لا يدعه ، عضه على فخذه وقال له اتركنى ايها اليهودى الشرير ، اتركنى لأذهب الى امى أتركنى فها ان أمى تموت وأريد أن أموت معها .

فأخذه الملك وسلمه الى أحد الوزراء قائلا له : احتفظ به ومتى بلغ أشده فاذا كفر بالمسيح عاش والا مات فحمله خادم ذلك الوزير وهو يبكى ويرفس برجليه وينادى أمه قائلا :

سيدتى سيدتى هوذا اليهود يأخذوننى ، هلمى وخذينى لارافقك الى الكنيسة . وكانت أمه تتطلع اليه فنادته قائلة :

اذهب يا ابنى اننى استودعك المسيح ، لاتبك ، سآتى اليك ، اذهب وانتظرنى فى الكنيسة عند المسيح حتى آتى .

وعندما قالت هذا قبض عليها يهودى بيدها وأدارها والقى بها بين النساء ثم ضربها بكعب الرمح بين ثدييها فسقطت على الارض وماتت .

استشهاد نساء نجران :

ثم قال الملك للنساء :

الملك : لقد عاينتن ان ازواجكن قد قتلوا جميعا لانهم رفضوا انكار المسيح وجدفوا قائلين ان المسيح اله وابن ادوناى فاشفقن على أنفسكن

وبنينكن وبناتكن واكفرن بالمسيح والصليب فتصبحن يهوديات والا متن موتا .

النساء : **ان المسيح هو الاله وابن الرحمن به نؤمن وله نسجد ومن أجله نموت حاشا لنا أن نكفر به أو نعيش بعد أزواجنا لكننا نظيرهم ومعهم نموت من أجل المسيح .**

فأمر الملك أن يأخذوهن الى الوادى ليقتلن هناك ، فكن يركعن ويزحمن بعضهن بعضا وكل منهن تريد أن تموت أولا ، أما الملك المنافق فكان يسخر منهن ، وهكذا تكللن جميعا بالسيف يوم الاربعاء ١٦ من تشرين الثانى سنة ٥٢٣م .

استشهاد الاماء :

وبعد استشهاد كل النساء بقيت الاماء ، حاول الملك أن يردهن عن عبادة المسيح وحدث بينهم الحوار الاتى :

الملك : لقد رأيتن أن اسيادكن وسيداتكن وانسبائكن قد ماتوا شر ميته لانهم أبوا الكفر بالمسيح والصليب فاشفقن أنتن الآن على أنفسكن واسمعن لى فتصبحن شريفات وأزوجكن من رجال أشراف .

الاماء : حاشا لنا أن نكفر بالمسيح وبالصليب وحاشا لنا أن نبقى فى الحياة بعد أسيادنا ورفاقنا أننا لنموتن معهم ومثلهم من أجل المسيح وحاشا لنا أن نزعن لكلامك .

فلما رأى الملك ذلك أمر أن يذهبوا بهن الى الوادى وهناك يقّتلن فتكللن جميعا بالسيف .

استشهاد مانحة أمة الشريف الحارث بن كعب :

كانت **مانحة** شريرة فى حياتها منبوذة من الجميع وكانت جريئة بحيث خافها أسيادها أنفسهم بسبب شرها ، ولما سمعت عن هذه المذبحة هرولت الى الشارع وانزرت كالرجال وصاحت :

أيها الرجال والنساء المسيحيين « انه لوقت أن توفوا فيه للمسيح ما أنتم

مديونين به له ، فاخرجوا وموتوا من أجل المسيح كما مات هو من أجلكم ، فمن لا يخرج اليوم الى المسيح فليس هو له ومن لا يستجيب اليوم للمسيح فلن يستجاب له غدا فغدا يغلق الباب ولن تدخلوا اليه ، انى اعلم أنكم تبغضوننى لا والمسيح لن أكون لكم عدوة منذ اليوم تطلعوا الى وأنظروا فانه ليس حولى شر ولا خلفى » وظلت هكذا حتى مثلت أمام الملك .

فلما رآها اليهود الذين كانوا يعرفونها قالوا للملك هوذا شيطان المسيحيين .

مانحة : لك أقول **أيها اليهودى الذابح للمسيحيين** قم واذبحنى أنا أيضا لانى مسيحية ؟ اننى أمة الحارث بن كعب الذى قتلته قبل يوم لا تظن انك قد غلبت سيدى بل سيدى هو الذى غلبك . اجل .. انك غلبت لانك كذبت أما سيدى فقد غلب اذ لم يكذب ويكفر بالمسيح . انى أقول لك لو شاء سيدى لمعسك كالذباب .

فأمر الملك بأن يعروها من ثيابها ، فقالت للملك :

أنك فعلت هذا لخزيك ولخزى اليهود رفاقك ، أما أنا فلا استحى اذ كنت قد أتيت هذا الامر مرات عديدة من تلقاء نفسى لاننى امرأة كما خلقنى الله أما أنت اذ تعرضت للحرب مع الاحباش استنجدت بجحشون التاجر الذى انبرى يحلف بدلا منك بالانجيل المقدس انك مسيحى وبهذه الوسيلة نجيت أيها اليهودى من الموت ، هكذا عيرت هذه الامة الملك وأمر الملك فجاءوا بثور وحمار ثم ربطوا برجليها حبالا وربطوا الرجل الواحد بالثور والاخرى بالحمار ثم تناول اليهود عصيا وأخذوا يضربون الثور والحمار معا وطافوا بها شوارع المدينة ثلاثا حتى اسلمت روحها بالشهادة من اجل المسيح ، ثم جاءوا بها مقابل باب المدينة الشمالى تجاه قصر سيدها الحارث حيث كانت شجرة ضخمة علقوها بها منكسة الرأس حتى المساء وكان اليهود يرشقونها بالحجارة والسهام ، وفى المساء أنزلوها عن الشجرة وسحلوها ثم طرحوها فى الوادى .

استشهاد الشريفة روهوم بنت أزمع :

وبعد ثلاثة ايام من مقتل الشريفات والاماء أى يوم الاحد أرسل الملك الى

روهوم بنت أزمع زوجة الشريف الحارث بن كعب يقول لها اذا كفرت بالمسيح عشت والا مت فلما سمعت كلماته نزلت الى الشارع صارخة قائلة « اسمعن أيتها النساء النجرانيات المسيحيات رفيقاتى وغيرهن من اليهوديات والوثنيات انكن تعلمن انني مسيحية وتعرفن جنسى وعشيرتى ومن أنا وأن لى ذهبا وفضة وعبيدا واماء وغلات ولا يعوزنى شيء والآن وقد قتل بعلى من أجل المسيح فاذا شئت أن أصير لرجل لا يعسر على ايجاد رجل وانه عندى اليوم أربعين الف دينار فى خزينتى ما عدا خزينة زوجى وحلى وجواهر وحجارة كريمة رآها بعض منكن فى بيتى ، **وانتن تعرفن انه ليس للمرأة ايام فرح مثل يوم زفافها ومنذ ذلك الحين تلازمها الضيقات والآلام فحين تلد أولادا تلدهم بالبكاء وحين تحرم من ولادة أولاد تكون فى ضيق وحزن وكذلك حين تدفن أولادها أما أنا فمنذ اليوم سأبقى فى فرح أيام** عرسى الاول وهوذا بناتى الثلاث قد زينتهن للمسيح بدلا من زواجهن فانظرن الى انكن ترين وجهى مرتين اى فى زفافى الاول وفى هذا الثانى ايضا فقد دخلت مرفوعة الجبين . أمام جميعكن الى خطيبى الاول والآن ايضا أذهب مرفوعة الجبين الى المسيح ربى والهى واله بناتى . وها أنا أذهب للمسيح ربى دون أن ادنس بكفر اليهود .

وليكن جمالى وذهبى وفضتى وعبيدى — وامائى وكل مالى شهودا بانى لم أفضل محبتها على الكفر بالمسيح ، وحاشا لى أن أكفر بالمسيح الهى الذى آمنت به واعتمدت وعمدت بناتى باسمه وأنا أسجد لصليبه ومن أجله أموت أنا وبناتى مثلما مات هو من أجلنا ها انى أترك ذهب الارض للارض ...

وليكن دم اخوتى واخواتى الذين قتلوا من أجل المسيح سورا لهذه المدينة. اذا ثبتت مع المسيح ربى . صلين من اجلى . ثم خرجت من المدينة ووقفت أمام الملك وهى تمسك بنتاها بيديها ثم صاحت روهوم للملك : اننى وبناتى مسيحيات ومن أجل المسيح نموت فاقطع رؤوسنا .

الملك : قولى فقط أن المسيح هو انسان وابصقى فى الصليب وامضى الى بيتك انت وبناتك .

أما حفيدة الطوباوية روهوم وكانت فى التاسعة من عمرها اذ سمعت هذا

الكلام ملأت فاها بصاقا وتفلت على الملك وقالت للملك : يعلم المسيح أن جدتى أشرف من أمك وعشيرتى أنبل من عشيرتك الا فليسد فوك أيها اليهودى القاتل ربه .

ثم أمر الملك فألقوا جدتها على الارض ولتخويف جميع المسيحيين ذبحت عليها هذه الفتاة فسال دمها فى فم جدتها ثم ذبحت ابنة الطوباوية واسمها آمه وسال دمها أيضا فى فم أمها ثم أقامها الملك من على الارض وسألها .

كيف تذوقت دم ابنتيك أجابت **أنى تذوقته كقربان طاهر لا عيب فيه** فأمر فحز رأسها فى الحال وقد نالت اكليل الشهادة وابنتها وابنة ابنها يوم الاحد ٢٠ تشرين الثانى .

استشهاد عربى :

وفى يوم الأحد ٢٠ تشرين الثانى ٥٢٣م حفر اليهود حفره فى الأرض ووضعوا فيها رجلا اسمه **عربى بن دويل من عشيرة جو** ولما أبى أن ينكر المسيح طمروه بالتراب حتى صدره وأخذ اليهود يرشقونه بالسهام فى كل الاتجاهات حتى ملأوا صدره ووجهه وظهره . وهو يعلن تمسكه بالمسيح الى أن أسلم الروح .

استشهاد ثلاث نساء نجرانيات :

وفى يوم الاثنين ٢١ تشرين الثانى ٥٢٣م استشهدت حبصه ابنة حيان ابن حيان الكبير الذى نشر المسيحية فى بلاد نجران ومن أمر هذه الطوباوية انها اذ علمت بما حدث للنساء النجرانيات بواسطة اليهود الصالبين من أجل اعلانهن الايمان بالمسيح . حزنت جدا اذ أنها لم تكن معهن وتضرعت الى ربنا يسوع المسيح ان يجعلها أهلا لتكون واحدة من هؤلاء الذين أحبوه واستشهدوا من أجل اسمه . وفى اليوم التالى لشهادة النساء النجرانيات قامت الطوباوية حبصه وأخذت صليبها النحاس الصغير وخاطته فوق مفرقها (رداء للرأس عند الاعرابيات) ونزلت الى الشارع وأخذت تصيح أنها مسيحية . ثم تبعتها امرأتان شريفتان عجوز وشابة اسم كل منهما حيه كما اجتمع حولهن كثيرون من أهل نجران رجالا ونساء .

فتطلعت اليهن حبصه ورأت جارا لها كان يهوديا فنادته قائلة : « **أيها اليهودى الصالب ، انتم تكفرون بالمسيح وتقولون انه ليس الها لكنى آمنت بسيدى يسوع المسيح ربا والها وارجو أن تبلغ مسروق ملكك الصالب ربه** » .

واذ بلغ الملك ما قالته استدعاها واذ سألها عن ايمانها أجابته « أنا ابنة الشريف حيان الذى نشر المسيحية فى بلادنا » فقال لها الملك وهل أنت مسيحية مثل أبيك . ام انك تتعقلين وتكفرين بالمسيح وتهودى مثلنا .

اجابت الطوباوية لنا وطيد الأمل فى عدل يسوع المسيح ربنا والهنا انه سيقضى على سلطانك عاجلا ويذل كبريائك ويستأصل مجامعكم من بلادنا وتبنى فيها كنائس مقدسة فتزدهر المسيحية ويعلو الصليب .

فتميز الملك اليهودى غيظ **وأمر فالقوا صليبا أمامه ووضعوا الى جانبه اناء ملىء بالدم وقال لها اجحدى المسيح وابصقى فى هذا الصليب وخذى من هذا الدم وقولى : ان المسيح انسان مات مثل جميع الناس ، وتهودى مثلنا فأزوجك رجلا شريفا واسامحك عن كل ما نطقت به .**

قالت حبصه : ليستد فمك يا من جدف على خالقه لا يكون لك وارث ليشتم خالقه ، أيها الصالب ربه . هل تظن بأعمالك هذه أنك تستطيع أن تفنى المسيحية فى بلادنا . اسمع انى أعلن أن المسيح ليس انسانا لكن **هو الاله المتأنس انى أسجد له وأشكره من أجل كل احساناته لى انى أومن أنه الله خالق كل البرية وانى احتمى بصليبه وأعلم انى لا أهتم بعذاب ، فهات ما عندك** ونظرت الى رفيقتيها فأمنا على كلامها .

فأمر مسروق الملك اليهودى أن تربط سيقانهن بأفخاذهن وربطت أجسادهن بالحبال حتى سمع صوت عظامهن التى كانت تتخلع . ثم رفعوا الصليب الذى كان على رأس حبصه وقال لها الملك اليهودى الاثيم :

هل ظننت أن هذا الصليب سيخلصك من يدى ولطمهن على وجوههن بكل عنف وشدة وصاروا يضربون على افواههن حتى تعذر عليهن الكلام . واذ لم تستطع العجوز أن تقاوم طويلا سقطت ميتة .

ثم اتى بالشريفتين **حبصه وحيه** وجلدهن على ظهورهن ثم أتوا بجملين ربطوا كل منهما بحبل وأطلقوهما فى البرية فسار الجملان نحو اثنتى عشر ميلا وقد انقطعت الحبال وظلت الاجساد ملقاه فى البرية بعد أن فارقتا الحياة .

ولم يكتف مسروق عدو الحق بهذا **فقد صمم ألا يترك فى نجران امرأة مسيحية الا وقتلها** فأمر قائده ذايزن أن يدخل نجران ويجمعهن اليه وتمكن من جمع نحو مائة واثنين وعشرين سيدة استشهدن جميعا بعد اعترافهن بالسيد المسيح .

تعداد شهداء هذا الاضطهاد :

ذكر الطبرى المؤرخ الاسلامى نقلا عن ابن اسحق أن ذانواس قتل من أهل حمير وقبائل اليمن المسيحيين ما يقرب من **عشرين الفا** ولكن الوثائق السريانية التى سجلت هذا الاضطهاد تقول ان عدد الشهداء بلغ ٤٠٠٠ نفس من الاكليروس والعلمانيون والشبان والشابات والرجال والنساء والاطفال **وهؤلاء الشهداء هم الذين عناهم القرآن بأنهم أصحاب الاخدود وجاء ذكرهم فى سورة البروج** وقد سماهم مؤمنين وقد نظم مار يوحنا بسلطوس رئيس دير قنسرين (٦٠٠م) نظم نشيدا كنسيا « فى الشهداء الحميريين القديسيين الذين استشهدوا فى نجران جنوب بلاد العرب حيث كان مسروق اليهودى ملك العرب يضطهد مسيحيى تلك البلاد ويضيق عليهم ليكفروا بالمسيح وفيما يلى النشيد الكنسى الذى كتبه :

« ليقل مخلصوا الرب انك عظيم وصانع العجائب من يقدر أن يصف عجائبك أيها المسيح الاله فها ان بلد الحميرين اذ اقتدت بمخافتك تطلع فاقتدى بايمان القبدوقيين لان سبسطية فى جهاد واحد فى بحيرة الماء أثناء البرد القارس كملت بالشهادة أربعين شخصا ، ونجران اقتدت بها وفاقتها خمسة أضعاف وأنجبت لنا أكثر من مئتى مجاهد تشرفوا فى الاستشهاد كان أولهم المعلم الحارث فبصلواتهم امنع يارب الشكوك والعثرات من الكنيسة وادحض جميع الهرطقات وثبتنا فى الايمان بك واحصنا بين مختاريك ونجنا ياربنا يالطيفا بالعباد » .

وهذا نذر يسير مما نقله الاشراف المؤمنون القادمون من نجران اما هذه فقد كتبت لتسبيح الثالوث الاقدس والى تشجيع المؤمنين وتثبيتهم ابان الشدة فقد صار البرابره قريبون للمسيح وزهدوا فى ذهبهم وفضتهم وكل مالهم واذ رأينا النساء يسارعن للاستشهاد بشجاعة منقطعة النظير من أجل المسيح **فبالاحرى يجب علينا أن نترك مقتنياتنا متطلعين للأبدية لان الاشياء التى ترى وقتية أما التى لا ترى فأبدية** لتنقل الى بلاد المؤمنين الارثوذكسيين .

روما الإمبراطورية الوثنية

+ أثر الديانة الوثنية على العقلية الرومانية .
+ اليهودية فى روما .
+ وصول المسيحية الى روما .
+ أسباب اضطهاد الدولة للمسيحيين .
+ المسيحى فى الدولة فى عصور الاضطهاد .
+ حلقات الاضطهاد العشرة .
+ مراسيم التسامح الدينى .

تمهيد

دخلت المسيحية الناشئة مع الوثنية العجوز العاتية فى صراع طويل مرير قرابة ثلاثة قرون من الزمان . ونعنى بالوثنية هنا الامبراطورية الرومانية التى كانت اكبر دولة منظمة وأكبر قوة عسكرية وقتئذ ، وشملت ممتلكاتها الشاسعة معظم العالم القديم المعروف .

كانت الوثنية هى العدو الاكبر الذى تصدى للمسيحية ، وقاومها مقاومة المستميت ، وحاربها حرب الابادة ، حرب الحياة أو الموت . ولا يسجل التاريخ صداما أقوى وأطول وأكثر وحشية من ذلك الصراع الذى احتدم بين روما الامبراطورية الوثنية بآلهتها وأباطرتها وجحافلها ، وبين المسيحية التى ظهرت على مسرح العالم بلا سند من قوة زمنية ، وبلا سلاح حربى ، اللهم الا ترس الايمان ، ودرع البر ، وخوذة الخلاص ، وسيف الروح ... (أف٦) .

كانت المعركة تبدو غير متكافئة ... معركة السيف مع الصليب ، والقوة المادية مع المثاليات الادبية الروحية ... ويستتر خلف هذه المعارك المنظورة ، قوات العالم غير المنظور ــ الله فى ناحية وسلطان الظلمة وجنوده فى ناحية أخرى ... كانت معركة حياة أو موت لأى من الطرفين ... كان التراخى أمرا يستحيل تحقيقه ... وكان لابد لطرف أن يخضع للطرف الآخر وهكذا ظلت هذه الحرب قائمة حتى أوائل القرن الرابع المسيحى حين اندحرت الوثنية ــ ممثلة فى الدولة الرومانية ــ نهائيا ، وارتفع الصليب .

لقد بدأت سلسلة هذه الحروب فى روما ذاتها تحت قيادة نيرون ، وانتهت عند قنطرة ملفيا ، على بعد ميل واحد من روما ، على يد قسطنطين . كان القصد من تلك السلسلة الطويلة من الحروب . ابادة المسيحية وملاشاتها ، لكنها ــ على العكس ــ كانت سببا فى تنقيتها واظهار فضائلها ، ونماذج من بطولة أتباعها ، الأمر الذى أدى الى انتشارها أكثر ، بدخول كثيرين من الوثنيين فى الايمان المسيحى . وقد عبر عن ذلك العلامة ترتليانوس ــ وهو الذى عاصر الاضطهادات دون أن يرى نهايتها ــ بقوله « **دماء الشهداء بذار الكنيسة** » .

أثر الديانة الوثنية على العقلية الرومانية

لا يمكن فهم موضوع تحدى الامبراطورية الرومانية الوثنية الضاربة فى القدم ، للديانة المسيحية الناشئة ابان ظهورها وفى طور طفولتها ، مالم نفهم نفسية الانسان الرومانى من جهة الدين والآلهة التى كان يتعبد لها وأثرها فى حياته .

ان موضوع الاستشهاد فى المسيحية على يد الدولة الوثنية يبدو غريبا . وغالبا ما تصور سير الشهداء أن سبب استشهادهم هو رفضهم السجود لتمثال الامبراطور أو الاشتراك فى التبخير للآلهة ... الخ . لكن هذه الاشارة وحدها غير كافية لفهم هذه القضية ، اذ أنها تقدم لنا صور ساذجة لتصرفات دولة عظيمة وأباطرة عظام !! وخير ما يعيننا على فهمها كما قلنا ـــ هو الوقوف على التأثيرات النفسية للديانة الوثنية على الانسان الرومانى القديم . هذا هو رأى العلامة فوستيل دى كولانج فى كتابه « المدينة العتيقة » دراسة لعبادة الاغريق والرومان وشرعهم وأنظمتهم[1] . وهو يعتبر حجة فى هذا الموضوع ـــ يقول :

« **تأمل أنظمة الأقدمين دون أن تفكر فى معتقداتهم تجدها غامضة ، شاذة ، غريبة ، لا تفسر ... ولكن بوضع المعتقدات قبالة هذه الانظمة وهذه القوانين فسرعان ما تصبح الوقائع أكثر جلاء ، ويعرض تفسيرها من تلقاء نفسه** » .[2] والآن نعرض لأثر الدين على الرومان فى مختلف نواحى حياتهم :

فى الحياة الخاصة :

كان الدين هو كل شىء فى حياة الانسان القديم ، كما كان هو المحرك الأول

---

(1) Faustel de Coulanges: La Cité Antique, Etude sur le culte, le droit, les institutions de la Gréce et de Rome.

(٢) المدينة العتيقة ص ٥،٤ ، ص ٢٢٠

والاخير له فى حياته وكل تصرفاته . يقول : Fustel de Coulanges « **كان الدين يتدخل فى كل علاقة وحركة فى حياة الانسان الوثنى وأسرته وحياته العامة . حينما يولد الانسان ، وحينما يتزوج ، وحينما يموت ، يجب عليه أن يستعطف الآلهة ويسترضيهم لئلا يؤذونه ، أو فى القليل لا يسببون له حزنا . فى زوايا الشوارع ، وعند أبواب البيوت ، فى الصالات ، وحجرات النوم ، بل وفى كل مكان كانت العين تصطدم بصور الآلهة الوثنية . ويتبع ذلك الاحتفالات وما فيها من تقدمات دينية للآلهة ...** »[٣]

فى الحياة العامة :

« ... لم يكن هناك عمل واحد من أعمال الحياة العامة لا يدخلون الآلهة فيه . وحيث أنه كانت تتسلط على الانسان فكرة أن الآلهة طورا تكون حماة ممتازة ، وطوراً أعداء الداء ، فانه لم يكن يجرؤ اطلاقا على اتيان عمل ما دون أن يكون واثقا من أنهم (الآلهة) راضون عنه » .

فى حياة الزارع :

« كان كل عمل فى حياة الزارع مصحوبا بالقرابين . وكانوا يقومون بالأعمال وهم يرتلون الاناشيد المقدسة . ففى روما كان الكهنة يعينون كل عام اليوم الذى يجب أن يبدأ فيه قطف العنب ، واليوم الذى يستطيعون فيه أن يشربوا الخمر الجديدة . كانت الديانة تنظم كل شىء والديانة هى التى تأمر بتشذيب الكروم »[٤] ...

جلسات مجلس الشيوخ :

« لم يكن الشعب يجتمع فى المجامع الا فى الايام التى تسمح له الديانة فيها بذلك ... وفى روما كان لابد قبل دخول جلسة مجلس الشيوخ من تأكيد المستخيرين أن الآلهة راضية . وكان المجمع يبدأ بصلاة يتلوها المستخير ويكررها القنصل بعده ... وفى روما كان المكان الذى يجتمع فيه مجلس

(٣) المدينة العتيقة ص ٢٢٠

(٤) نفس المصدر ص ٢١٥

الشيوخ هو أحد المعابد دائما . واذا عقدت جلسة فى مكان آخر غير مقدس فان القرارات التى تتخذ يلحقها البطلان . اذ أن الآلهة لم يكونوا حاضرين فيها . وقبل كل مداولة يقدم الرئيس قربانا ويتلو دعاء . وكان فى القاعة مذبح يريق عليه كل شيخ السكائب عند دخوله ويدعو للآلهة ... »[٥] .

فى القضاء :

« وكانوا لا يجلسون فى المدينة ، فى روما كما فى أثينا ، الا فى الايام التى تبين الديانة أنها من أيام القبول ... »[٦] .

فى الحرب :

« وكان للديانة من السيطرة فى الحرب بقدر ما كان لها فى السلم على الاقل ، وكانت فى البلدان الايطالية فرق من الكهنة تسمى « فسيالس feciales » ترأس جميع الاحتفالات المقدسة الناتجة عن العلاقات الدولية وكان الفسيالس feciales يعلن الحرب وهو يتلو صيغة مقدسة بعد أن يكون قد غطى رأسه بقناع من الصوف ، طبقا للشعائر ، واستشهد بالاله . وفى نفس الوقت يقدم القنصل قربانا وهو مرتد الملابس الكهنوتية . ويفتح فى احتفال معبد اقدم معبود فى ايطاليا وأكثرهم تبجيلا : معبد جانوس . وقبل القيام بحملة يجتمع الجيش ويتلو القائد أدعيته ويقدم قربانا ... وكان الجيش أثناء المعركة يمثل صورة للمدينة ، وكانت ديانتها تلاحقه ... يحملون معهم تماثيل معبوداتهم . وكان كل جيش يحمل معه موقدا ويغذى ناره المقدسة ليل نهار . وكان يرافق الجيش الرومانى الكهنة والمستخيرون ... وكانوا يقدمون قربانا بعد كل انتصار . وذلك هو الاصل فى موكب النصر المعروف جيدا لدى الرومان . وهذه العادة هى نتيجة الرأى الذى كان ينسب النصر لآلهة المدينة ... »[٧] .

---

(٥) نفس المصدر ص ٢٢٠ — ٢٢٢

(٦) نفس المصدر ص ٢٢٢

(٧) المدينة العتيقة ص ٢٢٢ — ٢٢٤ .

فى كل شىء :

وهكذا كانت الديانة تتدخل فى كل الأعمال ، فى زمن السلم وفى زمن الحرب كانت حاضرة على الدوام ، محيطة بالانسان . فكان كل شىء تحت سيطرة ديانة المدينة . الروح ، والجسد ، الحياة الخاصة ، والحياة العامة ، الأكلات ، والاعياد ، والمجامع ، والمحاكم ، والقتال . كانت تنظم كل أعمال الانسان ، وتتصرف فى جميع لحظات حياته ، وتعين كل عاداته . كانت تحكم الكائن البشرى بسلطان مطلق بلغ من أمره أنه لم يبق أى شىء خارجا عنها .(٨)

وحسنا قال المؤرخ الكبير شاف Schaff « كانت العبادة الوثنية تتداخل فى كل مرافق الدولة الرومانية ، كخيوط النسيج الواحد المغزولة معا . بل لقد جعلت من الدين أداة لسياستها »(٩) .

وهكذا نفهم السر فى مقاومة الدولة الرومانية الوثنية ـــ من أباطرة وحكام وشعب وكهنة ـــ للمسيحية والمسيحيين . لم تكن المسألة أذن مسألة رفض المسيحيين السجود للآلهة أو التقريب لها ... الخ . لكن المسألة كانت أعمق من ذلك بكثير . فقد كان الرومان يعتقدون أن أمنهم ورفاهيتهم ، وحياتهم ، وكل شىء متعلق بالهتهم ، وأن هؤلاء المسيحيين انما هم أعداء للآلهة ... لذلك فحينما كانت تحل الكوارث والنكبات فى الدولة ـــ سواء فى الحروب والمعارك أو بسبب الكوارث الطبيعية كفيضانات الانهار أو الزلازل والبراكين أو الاوبئة والمجاعات أو القحط والجدب بسبب قلة الأمطار ـــ كانت ترتفع اصوات جميع الوثنيين على السواء : هذا بسبب أعداء الآلهة ... وأن الآلهة غير راضية عن الدولة لتركها هؤلاء المسيحيين وشأنهم .

(٨) نفس المصدر ٢٢٠ ـــ ٢٢٦

(9) Schaff: History of the Christian Church, vol. 2, p. 41.

اليهودية فى روما

من الملائم أن نعرف شيئا عن المسيحية والانسان المسيحى فى روما باعتبارها قلب تلك الدولة الجبارة ، بل ومركز العالم القديم كله ، ومنها نبع سيل الاضطهاد الذى منى به جميع المسيحيين فى أنحاء الامبراطورية . وحيث أن أولى المشكلات التى واجهت المسيحية فى روما فى بادىء الأمر هى اعتبارها شيعة يهودية ، حاق بها كل ما حاق باليهودية ، لذا يحسن أن نعرف شيئا عن موقف روما من اليهود .

على الرغم من أن اليهودية كانت ديانة مسموح بها فى الامبراطورية الرومانية كاحدى الديانات القديمة(١٠) ، لكنها كانت موضع دهشة وسخرية معاصريها من النقاد والمؤرخين ، بما لها من عادات وأنظمة وطقوس خاصة كالختان وحفظ السبت ، والامتناع عن أكل لحم الخنزير ولحم الذبائح المضحى بها للآلهة الوثنية . فما كان مقدسا للوثنيين كان نجسا لليهود . وفوق ذلك فقد كانوا معتبرين كأعداء للجنس البشرى .

لكن ذلك لم يمنع اليهود من أن يكون لهم أصدقاء من بين الرومان ، يقدرون اجتهادهم ومثابرتهم وايمانهم فى الههم ، الامر الذى كان له تأثير عميق على بعض المفكرين وخاصة النساء . لذا لا نعجب ان علمنا أنه كان يوجد عدد لا بأس به من الرومان المتهودين فى روما . ويشهد يوسيفوس المؤرخ اليهودى من القرن الاول المسيحى ، أن بعض الرومان امتنعوا عن كل عمل يوم السبت ، وصاموا وصلوا ودرسوا الشريعة الموسوية ، وأرسلوا تقدمات الى الهيكل فى أورشليم . حتى أن الفيلسوف الوثنى سينكا Seneca فى القرن الاول المسيحى ، وكان يمقت اليهود ، قال عنهم فى حسرة « لقد قدم هذا الشعب المقهور تشريعات لقاهريهم » .

---

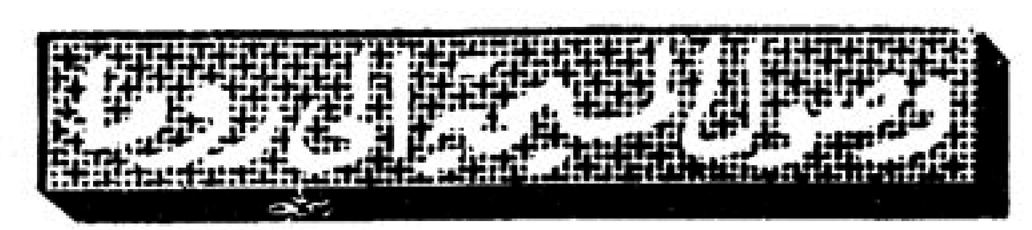
(١٠) كانت اليهودية تتمتع بحماية خاصة منذ عهد يوليوس قيصر . Schaff, vol. 2, p. 40

فعلى الرغم من أن غالبيتهم كانوا أحفاد عبيد وأسرى القياصرة بومبى Pompey وكاسيوس Cassius ، وأنطونيوس ، فقد جمع كثير منهم ثروات طائلة عن طريق الاشتغال بالتجارة ، والشئون المصرفية ، أو الطب ، أو التنجيم .

هذا ، وقد طرد اليهود مرتين من روما تحت حكم طيبريوس وكلوديوس . ويؤيد ذلك كاتب سفر أعمال الرسل (أع١٨: ٢) . لكنهم سرعان ماعادوا اليها . ولما وصل بولس اليها دعا وجوه اليهود الى اجتماع لكى يظهر لهم نواياه الطيبة ويبشرهم بالانجيل . لكنهم جادلوه بتحفظ ومكر ، وأظهروا أنهم لا يعرفون شيئا عن المسيحية سوى أنها مذهب يقاوم فى كل مكان . وكانت سياستهم أن يتجاهلوها بقدر امكانهم . ومع ذلك حضر عدد كبير لسماع بولس فى يوم محدد ، وآمن البعض ، لكن الغالبية لم تؤمن[١١] (أع٢٨: ١٧ــ٢٩) .



(11) Schaff, vol. 1, pp. 363 - 366.



لا نعرف على وجه التحديد متى دخلت المسيحية روما . ليس ما يمنع أن تكون بشرى الخلاص قد وصلت اليها عقب مولد الكنيسة فى يوم الخمسين مباشرة عن طريق الذين شهدوه وكان بينهم رومانيون مستوطنون يهود ودخلاء (أع٢:١٠) . وبولس الرسول يحيى بين الاخوة الذين فى روما بعض أنسبائه الذين تنصروا قبله — أى قبل سنة ٣٦ أو ٣٧م — (أنظر رو١٦:٧) . وكثير من أسماء الاخوة الرومان الذين بعث اليهم بولس تحياته فى (رو١٦) ، وجدت مدونة بين أسماء الرجال الذين أعتقلتهم الأمبراطورة ليفيا Livia فى مقبرة اليهود على طريق أبى Appian Way بروما . هذا ، ولا يستبعد — فى وسط الحماس البالغ للمسيحية فى فجر ظهورها — أن يكون قد حضر روما — عاصمة الامم وقتئذ — بمسيحيون من فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان لاسباب مختلفة ، أما كزائرين أو مستوطنين . وهؤلاء حملوا اليها بشرى الخلاص قبل وصول بولس الرسول .

أول أثر تاريخى للمسيحية فى روما — فى غير الكتب المقدسة — نجده فى كلمة عابرة دونها المؤرخ الوثنى سيوتونيوس Suetonius . قال ان الامبراطور كلوديوس — حوالى سنة ٥٢م — طرد اليهود من روما بسبب ميلهم للتمرد على السلطة الحاكمة وفتنتهم بتحريض CHRESTUS[1] . ولقد أشار القديس لوقا كاتب سفر الأعمال الى هذا الحادث (أع١٨:٢) . ومن المحتمل جدا أن تكون هذه الفتنة سببها المجادلات بخصوص شخص المسيح بين اليهود والمسيحيين ، الذين كانوا ينظر اليهم كشيعة يهودية مستحدثة[2] .

---

(١) هذه الكلمة هجاء خاطىء لكلمة CHRISTUS . لقد خلط الرومان بين هذه الكلمة الثانية ومعناها الممسوح ، ومنها كلمة المسيح ، وبين الكلمة الأولى ومعناها صالح . وكانوا يسمون المسيحيين CHRESTIANI أى الصالحين .

(2) Schaff, vol. 1, pp. 366 - 371.

يضاف الى ذلك أن التبشير بالمسيح كملك اسرائيل الحقيقى ، لابدوانه أثار فتنة كبيرة بين اليهود . بل أن بعض اليهود الماكرين اتخذوا من ذلك مادة للوشاية والشكاية لدى السلطات الحاكمة ضد المسيحيين (أنظر أع١٧:٧،٨) . وكان الحكام الوثنيون ــ لجهلهم بالامر ــ يستنتجون أن المسيح مدع سياسى . ومطالب بعرش أرضى ، فى الوقت الذى رفض فيه اليهود مسيا الحقيقى وتطلعوا الى آخر حسب تصورهم ، يحررهم سياسيا من الاستعمار الرومانى ، ويعيد دولة داود الدينية فى أورشليم . وقد حدا ذلك بالامبراطور دومتيان (٨١ــ٩٦) أن يرغب فى ابادة ذرية داود الاحياء . فأرسل وأحضر من فلسطين الى روما اثنين من أقارب الرب يسوع بالجسد ، وهما حفيدا يهوذا المدعو « أخا الرب » ، لكن ما أن اطلع على فقرهما وبساطتهما ، وسمع منهما عن معنى ملك المسيح ، وأنه ليس ملكا أرضيا عالميا ، بل سماويا حتى أخلى سبيلهما[٣] .

ومن بين الذين طردوا من روما بسبب منشور كلوديوس ، أكيلا وبريسكلا صديقا بولس ومضيفاه ، اللذان يحتمل أن يكونا قد تنصرا قبل لقائهما مع بولس فى كورنثوس (أع١٨:٢،رو١٦:٣) .

لكن سرعان ما عاد الى روما اليهود ، وكذلك اليهود المتنصرون تحيط بهم سحب من الشبهات ، والى هذه الحقيقة يشير المؤرخ الوثنى المعاصر تاسيتوس Tacitus فيقول أن الخرافة المسيحية التى أخمدت لزمان (يقصد بواسطة مرسوم كلوديوس) ، عادت الى الظهور ثانية تحت حكم نيرون (٥٤ــ٦٨م) .

فى أوائل حكم نيرون ، كان المسيحيون فى روما يؤلفون جماعة معروفة فى كل العالم المسيحى ، لهم عدد لا بأس به من المعلمين وأماكن متعددة لاجتماعاتهم[٤] وشهد القديس بولس بذلك حينما قال عنهم فى رسالته اليهم ان ايمانهم ينادى به فى كل العالم ، وأن طاعتهم ذاعت الى الجميع[٥] .

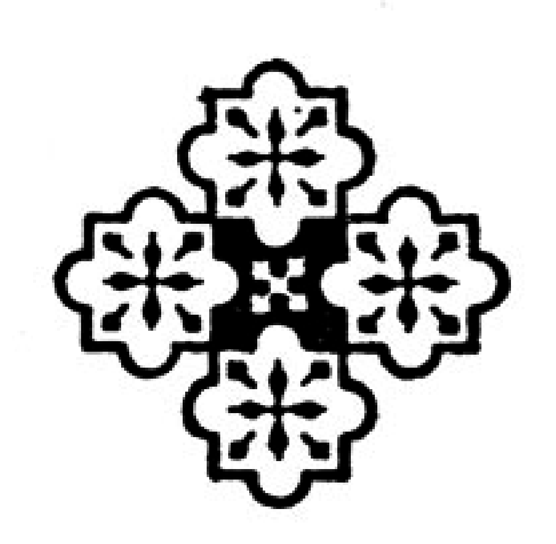
---

(3) Schaff, vol. 2, p. 45.

(٤) أنظر رو ١٦ : ٥ ــ ١٥

(٥) أع ٢٨ : ١٣ ــ ١٥

من أجل هذا ، ولما لمدينة روما من أهمية فى العالم وقتئذ ، أنفذ اليها بولس رسالة من كورنثوس تعتبر أهم رسالة عقيدية له ، وذلك تمهيدا لزيارته . وليس أدل على ذلك من أن بولس فى رحلته الى روما سنة ٦١م ، وجد مسيحيين فى بوطيولى ، الذين طلبوا اليه أن يمكث عندهم سبعة أيام . وعلى بعد ثلاثين أو أربعين ميلا من روما عند فورن أبيوس والثلاثة الحوانيت ، استقبله أخوة رومانيون كانوا فى لهفة أن يروا كاتب الرسالة العجيبة(٦) .



(٦) رو ١ : ٨ ، ١٦ : ١٩

أسباب اضطهاد الدولة للمسيحيين

تمهيد

يمكن القول تجاوزا أن السياسة التى كانت تتبعها الدولة ازاء الديانات الاخرى هى التسامح الى حد ما .. كانت سياسة ضابطة لكنها ليست مانعة ، كانت حرية الفكر لا يتعرض لها رقيب . وكانت الدولة تسمح للشعوب المغلوبة بالتعبد وفق ديانتها الخاصة ، طالما لا تتدخل فى مصالح الدولة ، ولا تتعارض معها . لكن علينا أن نعرف أن مجلس الشيوخ الرومانى وبعض الاباطرة ، قد سمحوا بذلك ، ليس احتراما لحرية العبادة ، بل السياسة هى التى أملت عليهم ذلك . كانت الدولة تمنع الاشخاص الذين يدينون بديانتها من الانضمام الى ديانات أخرى غير دياناتها . ولذلك فقد صدرت قوانين مشددة قاسية من وقت لآخر ضد اعتناق اليهودية(1) .

وكان اليهود يتمتعون بحماية خاصة منذ عهد يوليوس قيصر ... وطالما كانت المسيحية معتبرة فى نظر الرومان أنها شيعة يهودية ، فقد نالت نصيبها من الكراهية والاحتقار ، لكنها منحت الحماية القانونية لتلك الديانة القديمة . ولا شك أن هذا كان تدبيرا الهيا ، اذ استطاعت أن تجد طريقها الى المدن الرئيسية فى الامبراطورية قبل أن تنكشف حقيقتها . فمثلا استطاع بولس أن يحمل الايمان المسيحى الى أطراف الامبراطورية بحكم كونه مواطنا رومانيا والوالى الرومانى فى كورنثوس رفض أن يتدخل فى نشاطه التبشيرى ، على أساس أن المسألة داخلية وتتعلق باليهود ولا تختص بمحكمته (أع١٨ : ١٢ــ١٦) .

---

(1) Schaff, vol. 2, p. 42.

وقد نظر الرومان الوثنيون ــ سياسة وكتاب ــ حتى حكم تراجان (٩٨ ــ١١٧) الى المسيحية كخرافة دنيئة لا تستحق أن يلتفت اليها . لكن انتشارها السريع جعل من غير الممكن تجاهلها . وبمجرد أن عرف أنها ديانة جديدة تسعى للانتشار فى العالم اعتبرت ديانة محرمة وغير مصرح بها . وأصبح التعبير المستمر الذى يوجه للمسيحى حسب رواية ترتليانوس « لاحق لك فى الوجود »[٢] .

ويجب ألا تأخذنا الدهشة لهذا الموقف ، لان الدولة الرومانية على الرغم من تسامحها ، كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعباده الوثنية ، كما أوضحنا قبلا . كان الامبراطور هو الكاهن الاعظم Pontifex Moximus ، كما كان يعبد أيضا . وقد وضع شيشرون Ciciro خطيب الرومان الاشهر ومشرعهم ، مبدأ فى التشريع الرومانى ، بأن لا يسمح لأحد أن يعبد آلهة غريبة ، مالم يعترف بها بقانون عام[٣] . فاذا كان هذا هو رأى شخص مثقف مثل شيشرون ، فان هذا يوضح لنا أهمية الديانة الوثنية فى نظر الدولة الرومانية .

اذن لقد كانت هناك عقبات ، لا يمكن معها أن تتسامح الدولة مع المسيحية نجملها فيما يلى :

١ ــ المسيحية أتت بمفاهيم دينية جديدة عما درج عليه العالم القديم :

جاءت المسيحية بمفاهيم دينية جديدة عما الفه الناس فى العالم القديم . فبدلا من أن تكون الديانة مجرد مجموعة من العبادات يكررونها دون أن يروا فيها أى معنى ، وسلسلة من الصيغ غير المفهومة فى غالب الاحوال لتقادم لغتها ، أصبحت الديانة مجموعة تعاليم مفهومة وموضوعا عظيما معروضا للايمان . لم تعد ديانة خارجية ، بل استقرت على الاخص فى فكر الانسان . لم تعد مادة ، بل أصبحت روحا .

لقد غيرت المسيحية طبيعة العبادة وشكلها . لم يعد الانسان يعطى الاله المأكل والمشرب ، ولم تعد الصلاة صيغة لعزيمة سحرية ، بل أصبحت عملا

---

(2) Schaff, vol. 2, pp. 40, 41.

(3) Schaff, vol. 2. pp. 41, 42.

من أعمال الايمان ، والتماسا بتواضع . أصبحت للروح صلة أخرى بالمعبود : حلت محبة الله محل الخوف من المعبود ... هذه كلها مفاهيم خارجة عما ألفه الناس ودرجوا عليه فى جميع العبادات الوثنية .

ولم يعد هناك أجانب أو غرباء بالنسبة لاله المسيحيين . لم يعد الاجنبى يدنس المعبد أو ينجس القربان لمجرد حضوره . بل صار اله المسيحيين وهو الها وأبا لكل من يؤمن . لم يعد الكهنوت وراثيا ، لان الديانة لم تعد ملكا موروثا ، لم تعد العبادة سرا محفوظا ، ولم تعد الشعائر والصلوات والتعاليم مخبأة . بل على العكس ، أصبح هناك تعليم دينى لم يكن يلقن فحسب بل كان يعرض للجميع ، وأكثر من هذا كانت المسيحية تبحث حتى عن أقل الناس اعتبارا .. عن المزدرى وغير الموجود .

وفيما يختص بالشعوب ، لم تعد الديانة الجديدة تأمر بالبغضاء . لم تعد تفرض على المواطن أن يبغض الاجنبى ، بل على العكس جعلت من جوهرها أن تعلمه أن عليه نحو الاجنبى ونحو العدو واجبات من العطف . وهكذا خفضت المسيحية الحواجز بين الشعوب والاجناس ... لم يعد الدين الجديد يفرق بين اليونانى واليهودى ، البربرى والسكيثى ، العبد والحر ، بل علمت الشعوب أنهم انحدروا جميعا من أب واحد وأنه « فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده »[٤] (أع١٠:٣٥) .

٢ ــ المسيحية جاءت كديانة مسكونية :

كانت المعبودات الوثنية معبودات محلية ... كان لكل بلد ولكل اقليم معبوده أو معبوداته . وحتى الديانة اليهودية كانت ديانة قومية مقفلة تختص بشعب واحد ... ولم تعرف اليهودية نظام التبشير وضم أعضاء جدد لها فى القرن السابق للميلاد .. لكن المسيحية ظهرت ــ ليست كديانة قومية لاقليم معين أو لجنس خاص ، بل كديانة عالمية ــ للعالم أجمع ، للخليقة كلها ، قال الرب يسوع « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر١٦:١٥) .

---

(٤) المدينة العتيقة ص ٥١٦ ــ ٥٢٣

وبعبارة أخرى فان المسيحية دعت العالم كله أن يتبع الها واحدا هو المسيح ليحكمه حسب ارادته . وبدأ المسيح كالمؤسس لامبراطورية روحية مسكونية ، فى فترة كانت فيها الامبراطورية الرومانية فى أقوى فتراتها . فكانت المسيحية بذلك منافسا لا يحتمل للدولة . وهذا ما أثبته التاريخ ، فقد أظهر عهد قسطنطين أن التسامح المطلق مع المسيحية ، هو الضربة القاضية على ديانة الدولة الوثنية(٥) .

٣ ــ المسيحية نادت أنها الديانة الوحيدة الحقة :

نادت المسيحية أنها الديانة الوحيدة الحقة ، وجذبت الى الايمان بها من كل جنس وشعب وطبقة وسن ... جذبت من اليونان والرومان أعدادا أكبر بما لا يقاس مما استطاعت اليهودية أن تجذبها . ورفضت أن توافق على أى وضع للديانة الوثنية ، أو أن تتحالف معها ...

٤ ــ المسيحية علمت بفصل الدين عن الدولة :

فما يختص بحكومة الدولة ، يمكن القول بأن المسيحية قد بدلتها تبديلا جوهريا . فى العصور القديمة لم تكن الديانة والدولة الا شيئا واحدا . كان كل شعب يعبد الهه ، وكان كل اله يحكم شعبه . كانت للديانة الامرة على الدولة ، تعين لها رؤساءها بطريقة القرعة والاستخارات . وكانت الدولة تتدخل بدورها فى نطاق الضمير ، وتعاقب كل من خرج على الشعائر ، وعلى العبادة .

وبدلا من ذلك علم يسوع المسيح أن سلطانه ليس من هذا العالم ، لقد فصل الديانة عن الحكومة . وحيث أن الديانة لم تعد أرضية ، فانها لم تعد تختلط بأمور الارض أكثر من الحد الادنى الذى كانت تستطيعه . لقد وضع الرب يسوع المبدأ المعروف « اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . وتلك هى أول مرة يميز فيها بين الله والدولة بهذا الوضوح . كان قيصر فى تلك الفترة لايزال هو الحبر الإعظم Pontifex Maximus ، أى رئيس الدولة ، والاداة الرئيسية

---

(٥) نفس المصدر ص ٥١٦ ــ ٥٢٣

للديانة الرومانية . كان هو حارس العقائد ومفسرها . كانت فى يديه العبادة والعقيدة . وكان شخصه ذاتا مقدسا والهيا ، وكانت تقدم له عبادات خاصة .

لقد علمت المسيحية أن الديانة لم تعد هى الدولة ، وأن طاعة قيصر لم تعد هى بذاتها طاعة الله . بل أكثر من هذا علمت أنه ينبغى ان يطاع الله أكثر من الناس (أع٥:٢١) . وفى هذا اصطدام بمبادىء الدولة . وهكذا فان رعايا الدولة المسيحيين رفضوا أن يقدموا طاعة فى الامور التى تتعارض وتعاليم دينهم .

لقد خرج من متناول الدولة نصف الانسان كاملا . اذ أن المسيحية قد بشرت بأن الانسان لم يعد يتبع المجتمع إلا بجزء منه . ولم يعد ملكا له الا بجسمه وبمصالحه المادية . وأنه اذا كان رعية لطاغية فعليه الخضوع ، وأن كان مواطنا لجمهورية فعليه أن يعطى حياته من أجلها ، لكنه حر فيما يختص بروحه وليس ملكا لغير الله(٦) .

٥ ــ الحماس الشديد للروحانية بالمقارنة مع النشاط الاجتماعى :

رفض المسيحيون أن يشتركوا فى احتفالات وثنية أو عبادة عامة . وكان عدم حماسهم للسياسة وعدم تقديرهم لكل الشئون المدنية والزمنية ، بالمقارنة بالاهتمامات الروحية والابدية ، والتصاقهم الشديد بعضهم ببعض ، واجتماعاتهم المغلقة المستمرة ، أثارت حولهم شبهات عداوتهم للقياصرة والشعب الرومانى ، وتآمرهم ضد الدولة . وتلك جريمة لا تغتفر .

والواقع أنه فى ظل المسيحية تبدلت الاحساسات والآخلاق كما تبدلت السياسة . لم يعد الواجب الأسمى فى اعطاء الانسان وقته وقواه وحياته للدولة . لم تعد السياسة والحرب هى كل شىء للانسان . لم تعد جميع الفضائل محصورة فى الوطنية . لقد شعر الانسان أن عليه التزامات أخرى غير الحياة والموت من أجل الدولة والوطن . فقد ميزت المسيحية بين الفضائل الخاصة والفضائل العامة . خفضت هذه الأخيرة فرفضت الاولى . وضعت الله والذات البشرية فوق الوطن ، والغريب فوق المواطن(٧) .

---

(٦) المدينة العتيقة ص ٥٢٠ ، ٥٢١

(٧) نفس المصدر ص ٥٢١ ، ٥٢٢

٦ ـــ اتهام المسيحيين بالالحاد وفساد الخلق :

ومن ناحية أخرى فان الشعب الرومانى بأفكاره عن تعدد الآلهة ، كره الذين يؤمنون باله واحد ، واعتبرهم ملحدين وأعداء للآلهة ، ووثقوا فى شائعات الافتراء عن كل الرجاسات حتى الزنا بالمحارم وأكل لحوم البشر التى قيل أن المسيحيين يرتكبونها فى اجتماعاتهم وأعيادهم . واعتبروا الكوارث العامة المتوالية فى ذلك العصر (الزلازل ، البراكين ، فيضانات الانهار ، الاعاصير ، القحط ، المجاعات والأوبئة ... الخ) ، كقصاص عادل نتيجة غضب الآلهة لتهاون الرومان فى عبادتها . وقد تميز القرنان الثانى والثالث الميلاديان ، بحدوث كوارث طبيعية مستمرة ومتلاحقة فى أنحاء الدولة .

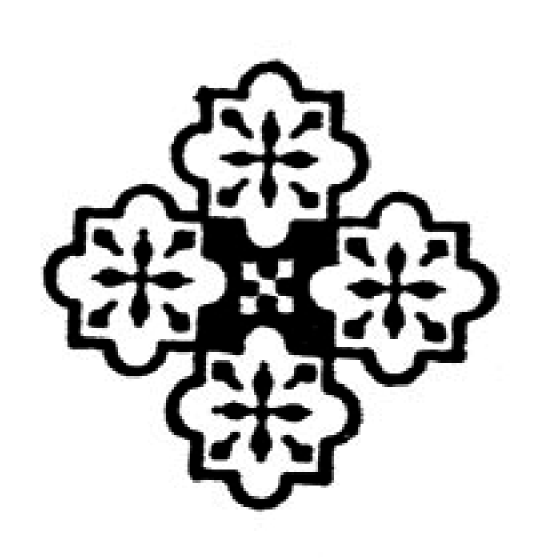
٧ ـــ المنتفعــون :

كانت الاضطهادات ضد المسيحيين ، فى بعض الاحيان والاماكن ، يثيرها بعض المنتفعين من كهنة الأوثان والمشعوذين ، والصناع والتجار ، وغيرهم ممن كانوا يستفيدون من عبادة الأصنام . ومن أمثلة ذلك ديمتريوس الصائغ فى أفسس (أع١٩: ٢٤ـــ٢٩) ، وموالى الجارية التى كان بها روح عرافة فى فيلبى (أع١٦: ١٦ـــ٢٤) . هؤلاء جميعا هيجوا الجماهير ضد الديانة الجديدة لتدخلها فيما يمس أرزاقهم ... ويتضح ذلك من تقرير كتبه بلينى الصغير Pliny حاكم ولاية بيثينية سنة ١٠٠م الى الامبراطور تراجان ، أوضح فيه أن الاقبال على التقدمات والقرابين التى تقدم للآلهة قد قل نتيجة ازدياد عدد المسيحيين .

٨ ـــ الفلاسفة الوثنيون :

كان معظم فلاسفة العالم وقتذاك ضد المسيحية ... كان فلاسفة ذلك الوقت غالبا رجالا بلا دين . كانوا أحكم من أن يعتقدوا فى الآلهة الوثنية القديمة ولكن فى نفس الوقت لم تكن لديهم الحكمة الكافية أن يتعرفوا على الاله الحقيقى . وهكذا وقف المسيحيون ضد فلسفة ذلك العصر وعقله بالاضافة الى قوة القانون ...

هكذا تحالفت جميع القوى ضد المسيح وأتباعه ، ووقفوا ضد الكنيسة وتمت كلمة النبى « لماذا ارتجت الأمم وفكرت الشعوب فى الباطل .. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه ... » فماذا كانت النتيجة ؟ « الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم ، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى ... » نعم لقد أكمل الرب وعده « اسألنى فأعطيك الامم ميراثا لك . وأقاصى الأرض ملكا لك » (مز ٢) .



١ ـــ خطورة وضعه :

كان وضع الانسان المسيحى فى الدولة الرومانية سواء كان حرا أم عبدا محفوفا بالخطر دائما . كان من الصعب عليه مهما كان حذرا أن يفلت من أعدائه . فنفس اتجاهاته وحذره كانت تجلب عليه الاضطهاد . كان امتناعه عن بعض ممارسات الحياة الوثنية كفيلا بكشف أمره . وهكذا كان يقف ضد نفسه كل ساعة !! .

والعلامة ترتليانوس ـــ الذى عاش وسط تلك الاضطهادات ـــ فى مقال له عن عبادة الأصنام ، يقدم تصويرا أمينا لكل المصاعب التى تقابل عابد الاله الحقيقى وسط المجتمع الرومانى . انه يشرح لنا كيف كانت حياة المسيحى كلها تكتنفها الوثنية من كل ناحية . وكيف كان لزاما على الانسان المؤمن أن يحطم الفخ الحديدى فى كل مرة اذا سلك باستقامة مع الهه .

اذن فقد كانت كل خطوة محفوفة بالمخاطر ، كل عمل ينطوى على اعتراف بشجاعة ، كل تحول عن العبادات الوثنية كان يسترعى الانتباه ويثير الكراهية بالنسبة للانسان المسيحى سواء كان حرا أم عبدا ...

٢ ـــ حياته اليومية تكشفه وتعرضه للخطر :

كانت الحياة اليومية نفسها تكشف المسيحى وتعلن عنه حتى لو كان غير مندمج فى المجتمع . ومن أمثلتها الممارسات الوثنية السابقة لايمانه وتوقفه عنها ، كالأعياد الوثنية العديدة وامتناعه عن مشاركة مواطنيه فيها . فقد كان من عادة الوثنيين ، أن يدعو بعضهم بعضا للتقدمات للآلهة . وكان الوثنى المتنصر تصله باستمرار مثل هذه الدعوات ، لكنه كان مضطرا أن يرفضها بحسب ضميره المسيحى ... وهنا يقول ترتليانوس « هل يجوز للمؤمن أن يشترك مع الوثنيين أنفسهم فى أمور من هذا النوع ، سواء فى الملبس أو المأكل ، أو فى أى مظهر

آخر من مظاهر فرحهم ؟ ان عبارة فرحا مع الفرحين وبكاء مع الباكين[١] . قالها الرسول عن الاخوة حينما كان يحثهم على الاتحاد فى الرأى . أما عن أمثال هذه الامور فقد قال : ليست شركة للنور مع الظلمة[٢] ، بين الحياة والموت ، والا فنحن نبطل المكتوب : العالم يفرح ولكن أنتم تحزنون[٣] . فاذا فرحنا مع العالم ، فهناك ما يدعو للخوف أننا نحزن معه أيضا . ولكن حينما يفرح العالم ، فلنحزن نحن ، وحينما يحزن العالم فيما بعد ، سنفرح نحن » .

ولم تقف الخطورة عند حد رفض المسيحي مشاركة أصدقائه القدامى مع الوثنيين فى تقدماتهم .. بل ان مجرد الكلام العادى المتبادل بين الناس ، كان مدموغا بالصيغ والأقسام الوثنية المتعلقة بالآلهة .

كان على المسيحى أن يظهر انفصاله عمن حوله فى كل الظروف حتى فى مجال الأحاديث العادية ... وكان هذا من غير شك تحديا مستمرا واثارة للوثنيين ... ومن هنا نشأت الأخطار المتلاحقة . وكان سيف الموت مسلطا دائما على رقاب المسيحيين[٤] .

٣ ــ مشكلات الزواج المختلط :

ولم تكن العلاقات العائلية بمنأى عن الخطر . فالمرأة المسيحية كانت تحتمل الكثير من زواجها ، اذا كان مايزال وثنيا . اذ كيف يمكنها أن تؤدى واجباتها الدينية ؟ كيف يمكنها الذهاب فى العشية الى اجتماع العبادة دون اثارة شبهات ؟ كيف يمكنها أن تظهر كرم الضيافة الى الغرباء من الاخوة فى الايمان ؟ كيف تزور الشهداء فى سجونهم ؟ أضف الى هذا أن الزوجة المسيحية كانت تواقة أن تسمو بالرابطة الزوجية وتطهرها بعد أن انحط الزواج بواسطة المنكرات التى كان الوثنيون يأتونها . كانت طهارتها تضايق زوجها الوثنى وتهينه . واذا أرادت الهرب من الفضيحة ، فعليها أن تستعد للموت .

---

(١) رو ١٢ : ١٥

(٢) ٢ كو ٦ : ١٤

(٣) يو ١٦ : ٢٠

(4) Tert.: de Idolatria, 20.

ويروى لنا يوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول ، حادثة حدثت فى أيامه . تكشف لنا كل آلام وأخطار الزواج المختلط[٥] . فى ذلك الوقت . امرأة كانت قبل زواجها وثنية ، وأرادت بعد ايمانها أن تترك كل عار حياتها السابقة ، فحاولت استمالة زوجها الى ما أرادته ، لكن الحاحها المستمر لم يفلح . ولما لم تعد تحتمل المعيشة فى هذه العلاقة الدنسة ، صممت — بعد أن أقتنعت بعدم جدوى التغيير — أن تنفصل عنه . واذ أرد الانتقام منها ، أبلغ عنها أنها مسيحية فزج بها فى السجن[٦] .

٤ — أمتناعه عن بعض الحرف :

كان على المسيحى الا يشتغل بكل فروع الحرف التى لها صلة بعبادة الأصنام مثل صناعة التماثيل الوثنية ، وبيع الضحايا والقرابين التى تقدم فى المعابد وثنية ... هذا ، وكانت هذه الصناعات هى التى تدر وقتئذ ، أرباحا أوفر من حرف الأخرى ... لم يكن هناك أى تزدد فى الامر . المهنة التى تتنافى مع مبادىء المسبحية كانت تترك فى الحال . وتركها المفاجىء كان يعرض صاحبها لمحاكمة العامة[٧] .

٥ — خطورة المناصب العامة :

واذا كانت الحياة الخاصة لها أخطارها ، فمما لا شك فيه أن الحياة العامة كانت أكثر خطرا . كان ضربا من المستحيل بالنسبة للمسيحى ، أن يشغل منصبا عاما ، كأن يكون حاكما أو ضابطا فى الجيش . كان عليه فى مثل هذه الوظائف أن يقسم أقساما وثنية معينة ، وأن يقدم بخورا لصورة الامبراطور .

هذا ، فضلا عن الطقوس الدينية الكثيرة التى كانوا يمارسونها فى حالة الحرب — قبل بدئها ، وأثناء المعارك فى ساحة القتال استجلابا لرضى الآلهة ، وفى احتفالات النصر شكرا لمؤازرتها . وفى أثناء الحرب كانت الحياة المشتركة

---

(٥) أحد الطرفين مسيحى ، والآخر وثنى .

(6) Justin Martyr: Apol. 1, p. 42.

(7) Tert.: de Idolatria 4 : 7.

داخل الخيام تشكل مصاعب وخطورة بالنسبة للجندى المسيحى . كان بتصرفاته يجذب كل الأنظار اليه ، الامر الذى ليس له معنى آخر سوى الموت . وعبثا كانت أمانته وشجاعته كجندى تشفع له وتنجيه من هذه الأخطار .

وقد أورد يوسابيوس فى تاريخه قصة مارينوس الضابط الذى استشهد فى قيصرية . **اذ لما دعى للترقية الى رتبة قائد مائة ، تقدم زميل له وطعن فى ترقيته لأنه مسيحى** . ولما سئل مارينوس عن ذلك اعترف بكل شجاعة . أعطاه القاضى ثلاث ساعات للتفكير . خرج من ساحة المحكمة وأخذه أسقف المدينة الى الكنيسة وخيره بين السيف والأنجيل . وبدون أى تردد مد مارينوس يده وأخذ الانجيل . فقال له الأسقف ، اثبت اذن . وأمام القاضى أظهر غيرة شديدة نحو الايمان ، فكان نصيبه الموت(٨) .

٦ ـــ المسيحى وعبادة الامبراطور :

أما عن العبادات التى تقدم للامبراطور ، فلم يكن للمسيحى أن يشترك فيها بأى حال من الأحوال . قال ترتليانوس « اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ـــ هذه هى وصية الانجيل . ماذا يحق لقيصر بناء على ذلك ؟ هذه الكلمات قيلت عن مال الجزية . حينئذ سأل سيدنا أن يقدموا له قطعة من العملة ، وسأل عن الصورة التى عليها . ولما أجابوه أن الصورة لقيصر ، أردف ، أعط أذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله . وبعبارة أخرى ، ان صورة قيصر هى فوق العملة المالية . لذلك من حقه أن يطالب بالمال . وصورة الله هى فى الانسان والله له على ذويه حق مساو . اعطوا اذن مالكم لقيصر وأنفسكم لله . لأنه لو كان كل شىء لقيصر فماذا سيتبقى لله ؟! »(٩) .

كان القيصر الرومانى يطالب كل واحد من رعاياه ، أن يخضع له خضوعا تاما بالفعل والارادة . وأية مقاومة كانت تعتبر عصيانا . **ومجرد مناقشة موضوع الوهة الامبراطور وقداسة ذاته ، كانت أسوا انواع الكفر** . وقصة استشهاد القديس اكاتيوس Acatius تقدم لنا صورة واضحة لمنظر طالما تكرر كثيرا فى

---

(٨) يوسابيوس ٧ : ١٥

(9) Tert.: de Idolatria.

وقت الاستشهاد . لقد سأله الحاكم الذى حوكم أمامه هذا الشهيد قائلا « هل تحب أمراءنا كانسان تعيش بموجب القانون الرومانى ؟ » أجاب الشهيد « من ذا الذى يحب الامبراطور بصورة أفضل من المسيحيين ؟! اننا نصلى عنه دائما أن يتمتع بحياة مديدة ، وحكم عادل ، وسلام فى عهده ، وان توفق جيوشه ، وأن يوفق فى العالم » قال الحاكم « هذا حسن . ولكن اليس من الأفضل أن تظهر طاعتك للامبراطور وتضحى له معنا اكراما له ؟ » أجاب الشهيد « **انى اصلى لالهى لأجل الامبراطور . أما تقديم القرابين اكراما له فيجب ألا أقدمها** أو أطالب بها . اذ كيف تعطى الكرامات الالهية للانسان ؟ » كانت القرابين أقل ما يلزم ، والقوانين الرومانية التى استند اليها الحاكم ، حتمت على كل الرعية تقديم هذا الولاء[١٠] .

٧ ــ المسيحية أبشع الجرائم :

كانت المسيحية فى نظر الدولة والحكام هى الجريمة الكبرى التى لا يعفى عنها ... فى نوفمبر سنة ٣٠٦ جاء القيصر مكسيمينوس الى قيصرية ليحتقل بعيد ميلاده ، ورأى أن يقدم للناس جديدا . ولم يكن ذلك الجديد سوى القاء اثنين من المجرمين للوحوش الجائعة . كان أحدهما مسيحى يدعى أغابيوس (من فريجيا وقبض عليه فى غزه) . أما الثانى فكان عبدا قد قتل سيده . وما كادا يقدمان للامبراطور ، حتى سارع الى العفو عن المجرم وأطلقه ، فامتلأ الملعب بأصوات الهتاف والاستحسان !! أما أغابيوس فبعد أن سار حول المدرج وسط سخرية النظارة ، **وسئل ما اذا كان يتخلى عن مسيحيته فيتمتع بحريته** غير أنه رفض مناديا الجمع بأعلى صوته بأنه يقدم لغير جريمة سوى ايمانه بالاله الواحد العظيم ، ولذا فهو يموت مبتهجا . ثم ألقى لأنثى دب كبيرة مزقته لكنها لم تقض عليه ، فألقى فى اليم فى اليوم التالى[١١] .

٨ ــ المسيحى والدهماء :

نستطيع القول انه فى جميع الاضطهادات التى حلت بالمسيحيين كان للدهماء

(10) De Presensé, vol. 2, pp. 75, 76.

(١١) يوسابيوس : شهداء فلسطين ف ٦ .

دور قيادى . وكثيرا ما كانوا هم البادئين باضطهاد المسيحيين وليس الحكام . كانوا يصدرون أوامر استبدادية ، ويحصلون على ما يريدون من الحكام ، أما لضعفهم ، وأما لأن ذلك كان يشبع شهوة الانتقام من المسيحيين ولذا لا نتجاوز الحقيقة أن قلنا أن حكم الامبراطور الرومانى كان هو حكم المستبدين والدهماء .

كان الدهماء فى بعض الأحيان يسيطرون على الموقف ، فيمنعون المسيحيين من استخدام الأسواق والحمامات العامة ، بل كانوا يحرمون عليهم الظهور فى أى مكان . كما حدث بالنسبة للمسيحيين فى ليون وفينا فى زمان اضطهاد مرقس أوريليوس .(١٢) وكانوا أحيانا يقتحمون بيوت المسيحيين ويسطون عليها ويسلبونها فيأخذون نفائسها ويحطمون أو يحرقون أثاثاتها غير الثمينة ، كما حدث فى اضطهاد ديسيوس بالاسكندرية فى زمان البابا ديونيسيوس الاسكندرى .(١٣)

وكثيرا ما كانوا يتعقبونهم الى ساحات القضاء ، ويتدخلون فى سير التحقيق . وكانوا بمثابة الهيئة التنفيذية الوحيدة والعليا لادانة المسيحيين . كان لا يهدأ لهم بال حتى تصدر أحكام الموت ضدهم ... وحتى بعد الموت كانوا يظهرون تشفيا فى بقايا أجسادهم .

جاء فى قصة استشهاد بوليكربوس أسقف أزمير « ما كاد القاضى يجلس على كرسية حتى ضجت قاعة القضاء بصياح الغضب من الغوغاء وضد البرىء .. وحدث أكثر من مرة أن **الدهماء كانوا يرددون عبارة ، ويصادق عليها الحاكم** ... وبعد ذلك رفع الحاضرون أصواتهم باتفاق واحد يطالبون بحرق بوليكربوس حيا . وصدر الحكم بنفس الرغبة ، ونفذ بمنتهى السرعة . وللحال شرعت الجماهير فى جمع أخشاب وحطب من الحوانيت والحمامات الى الموضع المعين » ...(١٤) .

وفى قصة شهداء ليون وفينا نقرأ عن تدخل الدهماء فى تعذيب وقتل هؤلاء المسيحيين ، فى كل مراحل تعذيبهم واستشهادهم . وحتى بعد موتهم ، أحرقوا

---

(١٢) يوسابيوس ٥ : ١

(١٣) يوسابيوس ٦ : ٤١ (رسالة البابا ديونيسيوس)

(١٤) يوسابيوس ٤ : ١٥

جثثهم وألقوا رمادها فى نهر الرون ، حتى يمحوا بذلك أى أثر لهم على الأرض[١٥] .



نيرون

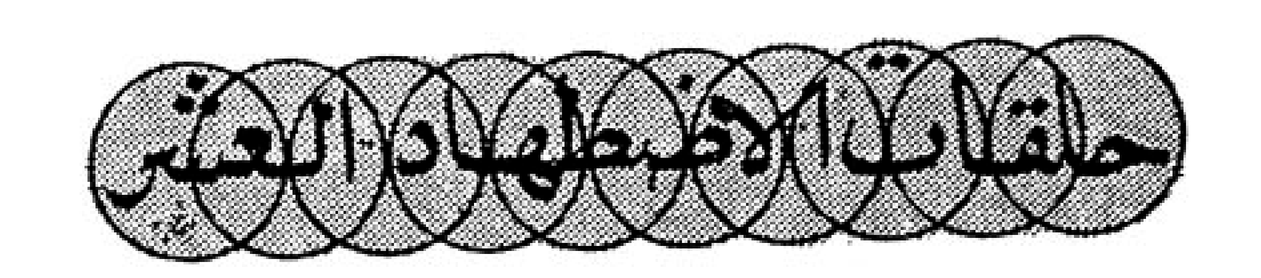


ديوكلتيانوس

نيرون وديوكلتيانوس
اكثر اباطرة الرومان وحشية فى اضطهاد المسيحين

---

(١٥) يوسابيوس ٥ : ١



اعتاد المؤرخون والكتاب المسيحيون منذ القرن الخامس الميلادى ، تقدير الاضطهادات الأولى التى شنتها الوثنية على الكنيسة المسيحية ، بعشرة اضطهادات كبيرة تحت حكم الاباطرة :

(١) نيرون	(٢) دومتيان	(٣) تراجان
(٤) مرقس أوريليوس	(٥) سبتميوس ساويرس	(٦) مكسيمينوس
(٧) ديسيوس	(٨) فالريان	(٩) أوريليان
(١٠) ديوكلتيانوس (دقلديانوس)		

لكن هذا التقسيم عرفى اصطلح عليه ، وليس معناه أن الاضطهادات حدثت عشر مرات فقط .. فانها لم تتوقف أبدا . ما تكاد تتوقف فى جهة ، حتى تندلع نيرانها من جديد فى جهة أخرى . وحتى أكثر الفترات هدوءا كان لها شهداؤها .

لقد حاول البعض أن يربط بين ضربات مصر العشر ، وهذه الاضطهادات العشرة ، باعتبار الأولى رمزا للثانية . وهم فى محاولتهم فسروا العشرة قرون التى للوحش ، الوارد ذكرها فى سفر الرؤيا ، الذى صنع حربا مع الخروف ، على أنها هذه الحلقات العشر من الاضطهاد .. ذلك الوحش الذى صنع حربا مع الخروف . وكانت تجلس عليه امرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع[1] .

والآن نستعرض فى عجالة ما حل بالكنيسة ، فى عهد هؤلاء الأباطرة ، مع التركيز على الاضطهاد الأول والأضطهاد الاخير .

---

(١) أنظر رؤ ١٧ : ٣ ، ٦ ، ١٢ ، ١٤ ـ

Schaff, vol. 2, pp. 33, 34.

نيرون وحريق رومه
واضطهاده للمسيحية

شخصية نيرون :

يعتبر الاضطهاد الذى أثارة نيرون على المسيحيين أول الاضطهادات الامبراطورية ، الذى يرتبط به استشهاد عمودين عظيمين من أعمدة الكنيسة ، هما الرسولان بطرس وبولس حسب التقليد الكنسى .

يبدأ هذا الاضطهاد سنة ٦٤م ، وفى السنة العاشرة لحكم ذلك الطاغية بأمره وتحريضه . وهو نفس الامبراطور الذى تظلم لديه بولس الرسول — كمواطن رومانى — من المحاكمة اليهودية وقال « الى قيصر أنا رافع دعواى »[٢] . على أن هذا الاضطهاد لم يكن اضطهادا دينيا خالصا ، كالاضطهادات التى أثارها الأباطرة الذين أتوا بعد نيرون ، لكنه بدأ ضمن كارثة عامة أتهم بها المسيحيون الأبرياء ...

كانت السنوات الخمس الأولى من حكم نيرون (٥٤—٥٩) ، فترة مجيدة بفضل القيادة الحكيمة لمعلمه سينكا Seneca . لكن الفترة الباقية من حكمه حتى سنة ٦٨ كانت شنيعة . اننا نقرأ عن حياته بمشاعر تمتزج فيها السخرية من جنونه ، والفزع من شره ! كان العالم بالنسبة له رواية هزلية ، ومأساة يقوم هو فيها بدور الممثل الأول . كان ذا شهوة جنونية لتهليل الجماهير . كان يضرب على القيثارة ، وينشد أغانيه وقت العشاء ، ويقود بنفسه عرباته فى السيرك . كان يظهر فوق المسرح كممثل ، وكان يرغم رجالا من ذوى المراتب العالية فى الدولة ، أن يمثلوا فى تمثيليات الدراما ، أو فى أقذر وأقبح تمثيليات الخرافات والأساطير الاغريقية وأكثرها فحشاء .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ان المآسى الواقعية أعقبت المآسى التمثيلية .

---

(٢) أع ٢٥ : ١١

فأخذت جرائمه تتراكم الواحدة فوق الأخرى ، حتى أصبح مضرب الأمثال فى الشر . قتل أخاه بريتانيكوس Britannicus ، وأمه أجربينا Agrippina وزوجته أوكتافيا Octavia وبوبايا Poppaea ، وأستاذه ومعلمه سينكا ، وعديدا من الشخصيات الرومانية البارزة . وأخيرا ختم هذه المأساة الطويلة بانتحاره وهو فى سن الثانية والثلاثين من عمره . وبموته أنقرضت أسرة يوليوس قيصر ، وغدت الامبراطورية مغنما للقادة العسكريين أو المغامرين الناجحين ...

ومن ثم ، **فقد قتل جمهرة المسيحيين الأبرياء بيد هذا الشيطان المتأنس نوع من الرياضة الممتعة بالنسبة له** . أما بالنسبة للتاريخ فقد كان حريق روما هو المشهد الجهنمى الذى لم يشهد له مثيلا !![3] .

حريـق رومـا :

بدأ الحريق ليلا ، فى لية ١٨/١٩ يوليه سنة ٦٤ ، فى الأكشاك الخشبية فى الطرف الجنوبى الشرقى للسيرك الكبير ، قرب تل بلاتين Palatine Hill . وسرعان ما امتدت السنة النيران بواسطة الريح ، وظلت تلتهم كل ما يصادفها **فى طريقها لمدة ستة أيام وسبع ليال** . وذلك بعد أن فشل الجنود ورجال الاطفاء فى أخمادها أو حصرها ... ثم ما لبثت أن اندلعت ثانية فى جزء ثان من المدينة قرب ساحة مارس Mars . وفى خلال ثلاثة أيام أخرى دمرت قسمين آخرين من المدينة ...

كانت الكارثة فادحة ولا تقدر ، اذ لم يسلم من الحريق المدمر سوى أربعة أقسام من الأربعة عشر قسما ، التى كانت تنقسم اليها المدينة العظيمة **وأتى الحريق على كثير من الآثار والابنية والمعابد التى ترجع الى عصور الملكية والجمهورية والامبراطورية** . وتحولت اثمن آثار الفن الاغريقى ـــ التى ظلت تجمع لعدة قرون من الزمان ـــ الى تراب ورماد . كما التهمت السنة النيران كثيرا من الناس والبهائم ... وهكذا تحولت المدينة الأولى فى العالم الى جبانة عظيمة

---

(3) Schaff, vol. 1, p. 378.

تضم مليونا من النائحين ينوحون الخسارات التى لا تعوض[٤] ...

من هو الفاعل ؟

أما أسباب هذا الحريق الجبار ، فلم يعط التاريخ فيها حكما قاطعا . لكن كل الشائعات التى ترددت والشهادات وكتابات المؤرخين القدامى **تشير بأصبعها الى نيرون على أنه الفاعل ، وانه أراد أن يستمتع بمنظر طروادة أخرى تحترق** ، ويشبع طموحه وجنونه فى اعادة بناء روما على نسق أفخم ويدعوها نيروبوليس Neropolis أى مدينة نيرون . وحينما اندلعت ألسنة النيران كان هو على شاطىء البحر فى أنتيوم Antium مسقط رأسه . ولم يعد الا بعد أن امتدت النيران الى قصره الخاص .

وحتى يبعد الشبهة عن نفسه فى جريمة الحريق ، وفى الوقت نفسه يستمتع بقسوة شيطانية جديدة ، ألصق التهمة بالمسيحيين المنبوذين ، الذين أضحوا فى تلك الآونة — خاصة بعد خدمة بولس الناجحة فى روما — مميزين عن اليهود . كان المسيحيون بلا ريب يحتقرون الآلهة الرومانية ، واتهموا زورا بارتكاب جرائم سرية .

كانت الشرطة والناس — تحت سيطرة الفزع الناشىء من الكارثة المروعة — على استعداد لأن يصدقوا أشر الافتراءات . ومن ثم طالبوا بالضحايا . وماذا كان يمكن أن ننتظره من الجموع الجاهلة ، اذا كان بعض الرومان المثقفين من أمثال تاسيتوس وسيوتونيوس وبلينى وصموا المسيحية بالعار ، كخرافة مفسدة دنيئة . لقد نظروا اليها على انها أشر من اليهودية . ويقول تاسيتوس المؤرخ المعاصر — بعد أن ذكر خبر القبض على بعض المسيحيين ، واعترافهم بايمانهم — « ولم يستذنبوا كثيرا بتهمة الحريق ، بقدر استذنابهم بتهمة كراهية الجنس البشرى »[٥] .

وموضوع اتهام المسيحيين الأبرياء بحرق روما ، يعيد الى أذهاننا حادثا مماثلا

---

(4) Schaff, vol. 1, pp. 379, 380.

(5) Schaff, vol. 1, pp. 380, 381.

حدث فى روما أيضا ، لكن قبل حريقها بسنين طويلة . واتهم فيه قوم أبرياء ، ليس لثبوت التهمة ضدهم ، بل لمجرد اعتبارهم أعداء ، على نحو ما فعل بالمسيحيين ...

كاد معبد فستا بروما أن يحترق يوما ، باندلاع نار شبت فى المنازل المجاورة ، فروعت روما اذ شعرت أن مستقبلها فى خطر . فلما انقضى الخطر حث مجلس الشيوخ ، القنصل على البحث عن مدبرى الحريق . وسرعان ما اتهم القنصل بعض أهالى كابوا Capoue الذين كانوا وقتئذ فى روما ، لا لأنه كان لديه أى دليل على ادانتهم ، بل لانه قدر التقدير الآتى « هدد حريق معبدنا ، وليس من الممكن أن توقد هذا الحريق الذى كاد يؤدى الى تحطيم عظمتنا ووقف مصائرنا ، الا يد أشد أعدائنا قسوة . وحيث انه ليس لنا أعداء الد من أهالى كابوا ــ تلك المدينة التى هى فى الوقت الحاضر حليفة هانيبال عدونا الأول ، والتى تتطلع الى أن تكون فى مكاننا عاصمة لايطاليا ــ اذن فهؤلاء الناس هم الذين أرادوا أن يقضوا على معبد فستا »(٦) ... ويبدو أن هذه هى الطريقة التى ألفها ودرج عليها حكام روما !!

مشاهد الوحشية فى تعذيب المسيحيين :

ترتب على تهمة الحريق ــ مؤيدة بتهمة كراهية الجنس البشرى ــ بدء كرنفال من الدماء لم تشهد له روما الوثنية مثيلا . حتى أن البعض قالوا أن ما حدث كان اجابة قوات الجحيم لحركة التبشير المثمرة ، التى قام بها الرسولان بولس وبطرس ، والتى زعزعت أعماق الوثنية فى أهم معاقلها .

حكم بالموت على أعداد ضخمة من المسيحيين بأبشع الوسائل . صلب بعضهم امعانا فى السخرية بعقوبة المسيح . ولف البعض الآخر فى جلود الحيوانات الضارية ، والقوا للكلاب المسعورة فى مسرح الألعاب الرياضية . وبلغت المأساة الشيطانية ذروتها ليلا ، فى الحدائق الامبراطورية ، عندما أشعلت

---

(6) Fustel de Coulanges : La Cité Antique p. 196; Aprés Tite - Live, 26 : 27: Conditum in penetrali fatale pignus romani imperii.

النار فى المسيحيين والمسيحيات ، بعد أن دهنوا بالقار أو الزيت أو الراتنج (صمغ الصنوبر) ، **وسمروا فى أعمدة الصنوبر ، يضيئون كالمشاعل لتسلية الجماهير** بينما شوهد نيرون فى ثياب غريبة الشكل مرسوم عليها جواد سباق متباهيا بفنه فى عربته[٧] .

كان حرق الانسان حيا هى عقوبة من يحرق عمدا . لكن قسوة ووحشية هذا الامبراطور المعتوه ، أملت عليه أن يجعلهم وسيلة للانارة ! **على أن ما أنزله نيرون من ضروب الوحشية بالمسيحيين لم تكن ـــ من الناحية الرسمية الشكلية ـــ عقابا على ديانتهم ، بل على التكتل الجماعى فى احراق روما عمدا !!!**

ان ما أوردناه عن هذا الموضوع استقيناه من شهادة تاسيتوس أكبر المؤرخين الوثنيين المعاصرين الذى رسم صورة كاملة لدقائق حريق روما ، وكان له من العمر وقتئذ ثمان سنوات ، وكتب تاريخه بعد ذلك بخمسين سنة . يضاف الى شهادة تاسيتوس ، ما سجله المؤرخ سيوتونيوس ، الذى كتب تاريخه حوالى سنة ١٢٠م . وما كتبه كتاب مسيحيون من أمثال القديس اكليمنضس الرومانى فى أواخر القرن الأول الميلادى ، والعلامة ترتليانوس فى القرن الثانى[٨] ...

أهمية اضطهاد نيرون ونتائجه :

كان هذا العمل بمثابة تعبئة لشعور جماهير الوثنيين ضد المسيحيين . كان هو الشرارة الأولى التى اضرمت نيران سلسلة حروب طويلة ضد الديانة الجديدة . ومن هول ما ذاقه المسيحيون على يدى هذا الطاغية ، اعتقدوا أنه سيظهر ثانية كالمسيح الدجال الذى أشار اليه العهد الجديد .

تمتع نيرون بنوع من الشعبية بين السوقة والدهماء ... هؤلاء الدهماء اعجبوا بشبابه وجماله الجسدى وشروره ، التى ربما حسبوها نوع من البطولة كالتى ذخرت بها الأساطير القديمة . ومن هنا فقد راجت شائعة بين الوثنيين

---

(7) Documents of the Christian Church, P. 2, (Tacitus Annales, 15:44). - Schaff, vol. 1, pp. 381, 382.

(8) Schaff, vol. 1, pp. 387 - 389.

عقب انتحاره ، مؤداها انه لم يمت ، لكنه هرب الى البارثين Parthians ، وأنه سيعود الى روما على رأس جيش كبير ويبيدها . وقام بالفعل ثلاثة مدعين كل منهم يحمل اسم هذا الطاغية ، واستغلوا هذا الاعتقاد السائد ، ووجدوا من ينضم اليهم ، وكان ذلك فى حكم الأباطرة أوتو ، وتيطس ، ودومتيان . ومما يؤثر عن دومتيان أنه كان يرتعد هلعا من اسم نيرون !!

أما بين المسيحيين ، فقد اخذت شائعة المجىء الثانى لنيرون صورة مغايرة ويذكر لكتانتيوس Lactantius فى كتابه « موت المضطهدين » عبارة قالتها سبلة الحكيمة مؤداها أنه كما أن نيرون كان هو أول المضطهدين ، فسيكون أيضا هو الأخير ، ويسبق مجىء المسيح الدجال .

ويذكر أغسطينوس فى كتابه « مدينة الله » أنه فى زمانه كان ما يزال هناك رأيان سائدين بخصوص نيرون . أحدهما رأى المسيحيين ، ومؤداه ان نيرون سيبعث من الموت كضد للمسيح ، والآخر رأى الوثنيين وخلاصته أن نيرون لم يمت لكنه مخفى . وسيحيا الى أن يكشف ويعود الى مملكته ... وقد رفض أغسطينوس ، بطبيعة الحال ، الرأيين . ولعل مصدر الرأى الذى شاع بين المسيحيين هو التفسير الخاطىء الخاص بما جاء فى (رؤ١٧:٨) عن الوحش « الوحش الذى رأيت ، كان وليس الآن وهو عتيد أن يصعد من الهاوية ويمضى الى الهلاك ، وسيتعجب الساكنون على الأرض ... حينما يرون الوحش انه كان وليس الآن **مع انه كائن** » ، بالمقابلة مع ما ورد فى (رؤ١٣:٣) « ورأيت واحدا من رؤوسه (الوحش) كأنه مذبوح للموت وجرحه المميت قد شفى ، وتعجبت كل الأرض وراء الوحش » ...

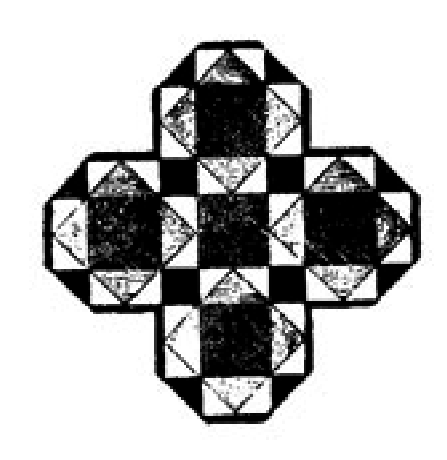
لكن نسى هؤلاء أن هذه الأقوال قيلت عن الوحش ـــ وان صح هذا التفسير ـــ فهى ترمز الى الامبراطورية الرومانية ، بينما ترمز الرؤوس التى لذلك الوحش الى الأباطرة[٩] .

وكان فى مقدمة من استشهدوا فى الاضطهاد الذى أثار هذا الطاغية ،

---

(9) Schaff, vol. 1, pp. 389, 390.

الرسولان بطرس وبولس . صلب الأول منكس الرأس ، وقطعت هامة الثانى كمواطن رومانى[١٠] .



(١٠) أنظر : رسالة القديس كليمنضس الرومانى الى أهل كورنثوس فصل ٩٥ عن Documents of the Christian Church, P. 11.



(٢) دومتيان[١١] Domitian (٨١ — ٩٦)

طاغية مرتاب متكبر ، كان يدعو ذاته « ربا والها » . اعتبر اعتناق المسيحية جريمة ضد الدولة . حكم على كثير من المسيحيين بالموت ، ومن بينهم أقرب أقربائه ، القنصل فلافيوس كليمنس Flavius Clemens كما نفى البعض الآخر ، وصادر ممتلكاتهم كما حدث مع دوميتلا Domitilla زوجة كليمنس .

ويذكر التقليد الكنسى ويؤكده القديسان ايريناوس من الجيل الثانى وايرونيموس والمؤرخ الكنسى يوسابيوس من الجيل الرابع أن **هذا الامبراطور أثار اضطهادا على كنائس آسيا الصغرى ، الأمر الذى أشير اليه فى سفر الرؤيا** فى الكلام الموجه الى ملاك كنيسة سميرنا « أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفقرك ... لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به . هوذا ابليس مزمع أن يلقى بعضا منكم فى السجن لكى تجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام[١٢] ، وفى الكلام الموجه الى ملاك كنيسة برغامس « أنا عارف أعمالك وأين تسكن حيث كرسى الشيطان وأنت متمسك باسمى ولم تنكر ايمانى حتى فى الأيام التى فيها كان أنتيباس شهيدى الأمين الذى قتل عندكم حيث الشيطان يسكن »[١٣] .

ويؤكد التقليد الكنسى ، والقديسان ايريناوس وايرونيموس والمؤرخ يوسابيوس ، ان **دومتيان هو الذى أمر بالقاء القديس يوحنا الانجيلى فى خلقين زيت مغلى** فى روما ، ثم عاد ونفاه الى جزيرة بطمس . كما استشهد ابان عهده انسيموس وديونيسيوس الاريوباغى وكثيرون غيرهم .

---

(11) Schaff, vol. 2, pp. 44, 45.

(١٢) رؤ ٢ : ٨ — ١٠ .

(١٣) رؤ ٢ : ١٢ ، ١٣

(٣) تراجان[١٤] Trajan (٩٨ ــ ١١٧)

ترجع أهمية تراجان بالنسبة لموضوعنا الى أنه :

(١) أول امبراطور يعلن أن المسيحية ديانة محرمة .

(٢) أحيا التشريعات الصارمة ضد جميع الهيئات والجماعات السرية . وقد اعتبرت اجتماعات المسيحيين الدينية من هذا النوع .

وقد ظلت الدولة تسير فى تعاملها مع رعاياها المسيحيين ، على هدى هذه القوانين التى استنها تراجان لأكثر من قرن من الزمان .

وتظهر روحه العدائية تجاه المسيحيين من رسالة له ردا على رسالة أرسلها له بلينى Pliny حاكم ولاية بيثينية بآسيا الصغرى بين سنتى (١٠٩ــ١١١)[١٥] كان بلينى هذا يرى المسيحية خرافة دنيئة متطرفة ، وبالجهد يتحدث عن اقبال الجماهير عليها . لقد أرسل للامبراطور تراجان يخبره بأن هذه الخرافة تزداد انتشارا باستمرار ــ ليس فقط فى مدن آسيا الصغرى بل حتى فى قراها أيضا . وأنه أصبح لها سلطان على الناس من كل سن ومركز وجنس . حتى أن المعابد الوثنية هجرت ، وكسدت تجارة الاشياء التى تقدم قرابين وتقدمات للآلهة . ولكى يضع حدا لهذا الانتشار المضطرد ، حكم على كثيرين من المسيحيين بالموت ، وأرسل بعضا آخر ممن كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية الى المحكمة الامبراطورية بروما . لكنه سأل الامبراطور مزيدا من التعليمات بخصوص طريقة معاملة المسيحيين وهل يراعى كبر السن ، أم يعتبر مجرد حمل اسم « مسيحى » جريمة .

وقد أجاب تراجان على هذه الاستفسارات برسالة جاء فيها « لقد سلكت يا صديقى الطريق السوى فيما يختص بالمسيحيين ، اذ لا يمكن وضع قاعدة عامة تطبق على كل الحالات فى هذا الصدد . لا ينبغى السعى فى طلبهم ، لكن

(14) Schaff, vol. 2, pp. 46 - 49.

(15) Documents of the Christian Church, pp. 3 - 6.

اذا اشتكى عليهم ، ووجدوا مذنبين ، فلابد من معاقبتهم . ومع ذلك ، فاذا أنكر أحد أنه مسيحى ، وبرهن على ذلك عمليا بالتضحية لآلهتنا ، فليصفح عنه بناء على توبته ... » .

وبناء على قرار الدولة هذا ، تعرض المسيحيون لاضطهادات عنيفة . وقد أصاب سوريا وفلسطين ومصر على وجه الخصوص الكثير منها . فلقد وجه اليهود المتعصبون اتهاما لسمعان أسقف أورشليم ، وحكم عليه بالموت صلبا سنة ١٠٧ ، وهو فى سن المائة والعشرين . وفى نفس هذه السنة تقريبا حكم على القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية بالموت ، وأرسل الى روما ، وألقى للوحوش الضارية فى الكلوسيوم[١٦] .

(٤) مرقس اوريليوس[١٧] Marcus Aurelius (١٦١ـــ١٨٠)

كان هذا الامبراطور كفيلسوف على عرش ، اذ كان مثقفا ثقافة عالية . لكن هذه الثقافه العالية لم تستطع أن تحوله عن كراهيته للمسيحية والمسيحيين ، اذ **كان ينظر الى المسيحية كخرافة سخيفة متعصبة** . وعلى الرغم من أن المدافعين المسيحيين من أمثال ميليتون وملتياوس واثيناغوراس ، اغرقوه بسيل من دفاعاتهم عن المسيحيين المضطهدين ، وعن المسيحية ذاتها ، محاولين أن يردوا الاتهامات والافتراءات التى حاول أعداؤها أن يلصقوها بها . نقول أنه على الرغم من كل ذلك ، فانه لم يعط أذنا صاغية لدفاعهم ، بل يبدو أنه لم يكلف نفسه مشقة قراءتها ، أو حتى مجرد النظر اليه .

آمن بالفلسفة الرواقية ، وكان هو نفسه فيلسوفا ، لكن فلسفته كانت مغايرة لفلسفة المسيحية . وعلى الرغم من أن الفلسفة الرواقية علمت الناس تحمل الالم والموت دون خوف ، لكنه كان يأخذ على المسيحيين الهدوء الذى يلقون به الموت ، ويفرق بينه وبين الشجاعة الحقة التى تعلم بها الفلسفة

---

(١٦) مدرج كبير مستدير ، أقامة أباطرة الرومان على مساحة كبيرة ، تتسع لعشرات الآلاف من المتفرجين ، وتتوسطه ساحة كبيرة يلقى فيها أسرى الحروب ، لمصارعة الوحوش .

(17) Schaff, vol. 2, pp. 53 - 57.

الرواقية . فهو يرى أن تلك شجاعة معقولة كريمة ، أما شجاعة المسيحيين فهى شجاعة متكلفة تمثيلية !

أضف الى هذا اعتباره العقيدة المسيحية الخاصة بخلود النفس ، بما يترتب عليها من نتائج أدبية ، أمرا يهدد رفاهية الدولة . فأصدر مرسوما يهدد فيه بالنفى كل من يحاول تعليم الناس الخوف من الله . وكان هذا القانون موجها دون شك الى المسيحيين .

كان عهده حقبة عاصفة عنيفة فى تاريخ الكنيسة .ويرجع السبب فى ذلك الى أن الكثير من أقاليم الامبراطورية تعرضت فى تلك الفترة الى عدد من كوارث الطبيعة : فيضان مدمر لنهر التيبر ، زلزال ، ووباء الطاعون الذى انتشر من أثيوبيا الى غاليا (فرنسا الحالية) ...

وكانت النتيجة أن اتحدت الحكومة مع الشعب ضد المسيحيين أعداء الآلهة ، الذين بسببهم حدثت تلك الكوارث ، وشنوا اضطهادات دامية ضدهم حتى أن الفيلسوف الوثنى كلسوس Celsus — الذى هاجم المسيحية بعنف فى كتاب فنده ورد عليه فيما بعد الفيلسوف المسيحى أوريجينوس — أعلن فرحه بهذا الاضطهاد ، لان الشيطان (المسيحيين) أبعد عن البر والبحر ..! وعلى أية الحالات فان كل هذه الاحداث انما تشير الى أن الديانة الجديدة الصاعدة كانت تحوز اهتماما متزايدا ومستمرا فى كل انحاء الامبراطورية .

وتحت حكم هذا الامبراطور — وفى سنة ١٧٧ تعرضت كنائس ليون وفينا بجنوبى فرنسا لتجربة شديدة . لقد أجبر العبيد الوثنيون على اتهام سادتهم المسيحيين بارتكاب رذائل قبيحة ، كانت محرمة فى الدولة بموجب قوانين . وكان القصد من ذلك تبرير العذابات الاليمة التى استهدف لها المسيحيون . لكن أولئك المسيحيين أظهروا ايمانا عجيبا وثباتا مذهلا .

ونذكر من مشاهير ضحايا هذا الاضطهاد الذى حدث فى غاليا (فرنسا) ، الاسقف بوثينوس Pothinus ، وكان شيخا فى سن التسعين ، والعذراء بلندينا Blandina التى وهى أمة (عبدة) ، أظهرت قوة احتمال تفوق قدرة البشر . وأخيرا القيت لوحش ضار أفترسها ، والصبى بونتيكوس Ponticus ، الذى

احتمل قساوة ووحشية ، ولم يتجاوز عمره خمس عشرة سنة ... **أما جثث الضحايا التى ملأت الطرقات فقد أحرقها الدهماء وذروا رمادها فى نهر الرون ، حتى لا تتنجس الارض من بقايا أعداء الآلهة .**

ومن أشهر من استشهدوا تحت حكم هذا الامبراطور ، الفيلسوف والمدافع المسيحى يوستينوس الذى استشهد فى روما بين سنتى ١٦٥و١٦٦ ، وسنعود للكلام عنه .

(٥) سبتميوس ساويرس[١٨] Septimius Severus (١٩٣ــ٢١١)

لم يكن نظير سلفه مرقس أوريليوس يضمر مقتا للمسيحيين لاسباب فكرية ، بل كان بلاطه يضم بعض المسيحيين ، ومنهم طبيبه الخاص بروكولس Proculus تزوج من جوليا دومنا Julia Domna ابنة كبير كهنة أفسس الوثنى ، فكان ذلك سببا فى عرض الديانات الشرقية على الامبراطور بصورة اكبر ... لكن على الرغم من كل ذلك فقد أثيرت اضطهادات اقليمية كثيرة فى أواخر القرن الثانى . وقد أشار الى ذلك اكليمنضس الاسكندرى بقوله « كثير من الشهداء يحرقون يوميا أو يعدمون على مشهد منا » .

فى سنة ٢٠٢ أصدر مرسوما يقضى بمنع المسيحيين من تبشير غيرهم ، وضم متنصرين جدد . وبسبب هذا المرسوم ، حلت أشد الاضطهادات بالمؤمنين فى مصر وشمالى أفريقيا . حيث قدمت لنا كنائس تلك الاقاليم ، أينع زهورها على مذبح الاستشهاد .

نذكر ممن استشهدوا فى الاسكندرية ليونيدس والد العلامة أوريجينوس وبوطامينا العذراء العفيفة ، وباسيليوس الجندى . ثم بربيتوا وفيليسيتاس (سعدى) ، اللتان استشهدتا فى قرطاجنة بشمالى أفريقيا . ومما يلفت النظر أن عدد غير قليل من شهداء هذا العهد كانوا من بين الموعوظين أو المعمدين حديثا . ولعل لتلك الظاهرة علاقة بمرسوم ساويرس الذى قضى بمنع التبشير .

(18) Schaff, vol. 2, pp. 57, 58.

(٦) مكسيمينـــــــوس التـــــــــراق[19] Maximinus The Tharacian(٢٣٥ـ٢٣٨)

اضطهد المسيحيين منذ بادىء عهده . وقيل كتعليل ، انه فعل ذلك لا لشىء سوى معارضته لسياسة سلفه اسكندر ساويرس (٢٢٢ـ٢٣٥) ، الذى قيل انه كان متسامحا مع المسيحيين ، حتى انه وضع صورة المسيح فى قصره مع صور الآلهة الوثنية المحببة ، وكبار الاباطرة الرومان ، واتخذ لنفسه شعارا ، كلمات المسيح « كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم » نقشها على حوائط قصره والتماثيل العامة ...

وفى اضطهاده للمسيحيين ، مكن الشعب من أظهار غضبه نحو أعداء الآلهة . وقد ساعد على ذلك ، حدوث بعض الزلازل . اتخذ اجراء عنيفا ضد رجال الدين المسيحى . لكن لا يمكن الجزم هل كانت أو امره تقضى بقتلهم جميعا ، أم أن القتل كان قاصرا على الاساقفة وحدهم . وعلى أية الحالات فقد كان هذا الامبراطور فى معاملته للمسيحيين بربريا قاسيا .

(٧) ديسيوس[20] Decius (٢٤٩ـ٢٥١)

كان امبراطورا نشيطا ، استيقظت فى شخصه ثانية الروح الرومانية القديمة ، فصمم على استئصال شأفة المسيحية كعقيدة دينية مستحدثة . أصدر مرسوما سنة ٢٥٠ ، وجهه لجميع حكام الاقاليم فى أنحاء الامبراطورية ، يحتم عليهم فيه ضرورة اعادة ديانة الدولة الوثنية مهما كلفهم الامر . كان هذا المرسوم نذيرا بالاضطهاد الكبير العام الذى فاق فى وحشيته كل ما سبقه .

ووجه الاهمية فى مرسوم ديسيوس هذا ، أن ما ترتب عليه من اضطهاد ،

(19) Schaff, vol. 2, p. 59.

(20) Schaff, vol. 2, pp. 60, 61.

يعتبر بحق أول اضطهاد شامل ، عم كل أقاليم الامبراطورية ، بعد أن كان الاضطهاد محليا متقطعا . وبالتالى فقد قدم عددا أكبر من الشهداء .

وفى سبيل تنفيذ هذا المرسوم ، استخدم حكام الاقاليم كل ألوان العسف والاضطهاد والقسوة لحمل المسيحيين على الارتداد عن دينهم . وكان من نتيجة ذلك أن ضعف كثير من المسيحيين . البعض ضحى للأوثان ، والبعض تمكنوا بطريقة أو بأخرى من الحصول على شهادات مزورة من الحكام ، تفيد ما يثبت أنهم فعلوا ذلك ، وقد حصلوا على هذه الشهادات المزورة اما بواسطة المال أو بواسطة أصدقاء وثنيين ... هذا بينما اندفع آلاف من المسيحيين ، فى غيرة عجيبة وشجاعة نادرة مذهلة ، اما للسجون أو لنيل اكليل الشهادة .

وقد عثروا فى الفيوم سنة ١٨٩٣ على احدى هذه الشهادات Libelli[٢١] **وصورتها كالآتى :**

« الى مأمورى الذبائح فى قرية جزيرة اسكندر

« من أوريليوس ديوجنيس Aurelius Diogenes بن ستابوس Satabus من قرية جزيرة اسكندر ، سن ٧٢ ، بندبة على حاجبه الايمن .

« لقد كنت أضحى دائما للآلهة ، وفعلت ذلك الآن فى حضوركم طبقا لنص المرسوم .

« **لقد قمت بالتضحية وسكبت السكائب ، وذقت الذبائح . والتمس أن تشهدوا بذلك والسلام** »

مقدمه : أوريليوس ديوجنيس

« **أشهد أنى رأيته يقدم ذبيحة** » .

أوريليوس سيرس Aurelius Syrus

« تحريرا فى اليوم الثانى من أبيب (٢٦ يونية سنة ٢٥٠) فى

(21) Documents of the Christian Church, p. 18.

السنة الاولى للامبراطور ديسيوس » .

لقد كتب المعترفون فى روما من سجنهم ، الى اخوتهم فى أفريقيا ، ابان هذا الاضطهاد يقولون « ماذا يمكن أن يكون أكثر مجدا ؟! هل يمكن أن تهب نعمة الله للانسان نصيبا أكثر مجدا وبركة ، من أن يعترف بالرب الاله وسط العذابات ، وفى مواجهة الموت ذاته . يعترف بالمسيح ابن الله ، وأن يصبح شريكا فى الآلام مع المسيح وباسمه ؟! ومع أننا لم نسفك دماءنا بعد ، لكننا مستعدون أن نفعل ذلك . صل عنا اذن ايها العزيز كبريانوس (اسقف قرطاجنة) لكى الرب القائد الاعظم يقوى كل واحد منا دوما اكثر ، ويقتادنا أخيرا الى ساحة الاستشهاد كجنود أمناء متسلحين بالاسلحة المقدسة ، التى لا يمكن أن تقهر » .

كانت السلطات أكثر قسوة على وجه الخصوص مع رؤساء الكنائس وخدامها . ومن بين الذين استشهدوا ، ابان هذا الاضطهاد ، القديس مرقوريوس المعروف بأبى السيفين ، وفابيانوس الرومانى ، وبابيلاس الانطاكى ، واسكندر الاورشليمى . وبينما قدم هؤلاء انفسهم فى شجاعة ، نجد البعض الآخر قد اختبأ ... البعض نتيجة خوف والبعض الآخر ـــ لكى باختفائهم يخففوا من حدة غضب الوثنيين على شعبهم ، ولكى باختفائهم وبقائهم على قيد الحياة يفيدوا كنائسهم ، اذ كانوا يوالون الاتصال بهم برسائل من مخابئهم يشجعونهم ويثبتونهم .

ومن هذا النوع الاخير القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة الذى قال فى هذا الصدد موضحا موقفه « لقد أمرنا الرب أننا فى زمان الاضطهاد **أما أن نسلم أنفسنا وأما أن نهرب** . لقد علم هو بذلك ومارس الامر بنفسه . فطالما أن أكليل الشهادة نناله بمعونة الله ، ولا يمكن أن نناله قبل الساعة المحددة ، فالذى يختبىء الى زمان ، ويظل أمينا للمسيح ، لا يكون قد أنكر الايمان ، بل يثبت وقته .

(٨) فالريان[٢٢] Valerian (٢٥٣ــ٢٦٠)

بدأ حكمه لطيفا متسامحا مع المسيحيين ، بل كان كثيرون منهم فى قصره . لكن سرعان ما قلب لهم ظهر المجن سنة ٢٥٧[٢٣] ... وكنتيجة لمعرفته أن العنف والبطش وسفك الدماء لم تفلح فى ايقاف تيار المسيحية ، فقد حاول تجربة سلاح جديد ، بنفى خدامها من الاكليروس والعلمانيين ، ومصادرة أملاكهم ، وتحريم الاجتماعات الدينية ، وأن يحال بين المسيحيين وزيارة المقابر . واذ أثبتت هذه الاجراءات الجديدة عدم جدواها ، جدد عقوبة الموت على المسيحيين .

فأرسل الى مجلس الشيوخ الرومانى أمرا يقضى بأن رجال الاكليروس (اساقفة وقساوسة وشمامسة) ينبغى أن يعدموا فورا . ويجرد المسيحيون من أعضاء مجلس الشيوخ والرجال البارزين والفرسان الرومان ، من ألقابهم وممتلكاتهم . فاذا أصروا على مسيحيتهم بعد ذلك تبتر رؤوسهم . أما النساء المتزوجات فيجردن من ممتلكاتهن وينفين . وأما صغار المواطنين ممن يعترفون بمسيحيتهم فمصيرهم أن يقيدوا بالسلاسل ، ويرسلوا للعمل فى ضياع الامبراطور[٢٤] .

ومن أشهر شهداء ذلك العهد سكستوس الثانى Sixtus أسقف روما ، وكبريانوس أسقف قرطاجنة .

وقد وقع فالريان أسيرا فى يد الفرس ، أثناء حربه معهم ومات فى أسره . وخلفه ابنه جاللينوس Gallienus(٢٦٠ــ٢٦٨) ، وكان شريكا معه فى الحكم . ومما ينسب الى جاللينوس أنه أظهر تسامحا مع المسيحيين ، وأصدر منشورا بذلك ، واعتبر المسيحية ديانة مصرحا بها[٢٥] .

---

(22) Schaff, vol. 2, pp. 62, 63.

(٢٣) يوسابيوس ٧ : ١٠

(24) Documents of the Christian Church, p. 19.

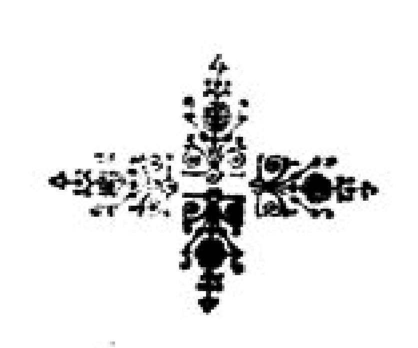
(٢٥) يوسابيوس ٧ : ١٣

(٩) أوريليان[٢٦] Aurelian (٢٧٠ـــ٢٧٥)

نشط فى اضطهاد المسيحيين والتنكيل بهم ، فأصدر مرسوما جديدا بقتل المسيحيين كان من أثره مذابح مروعة فى أماكن شتى .

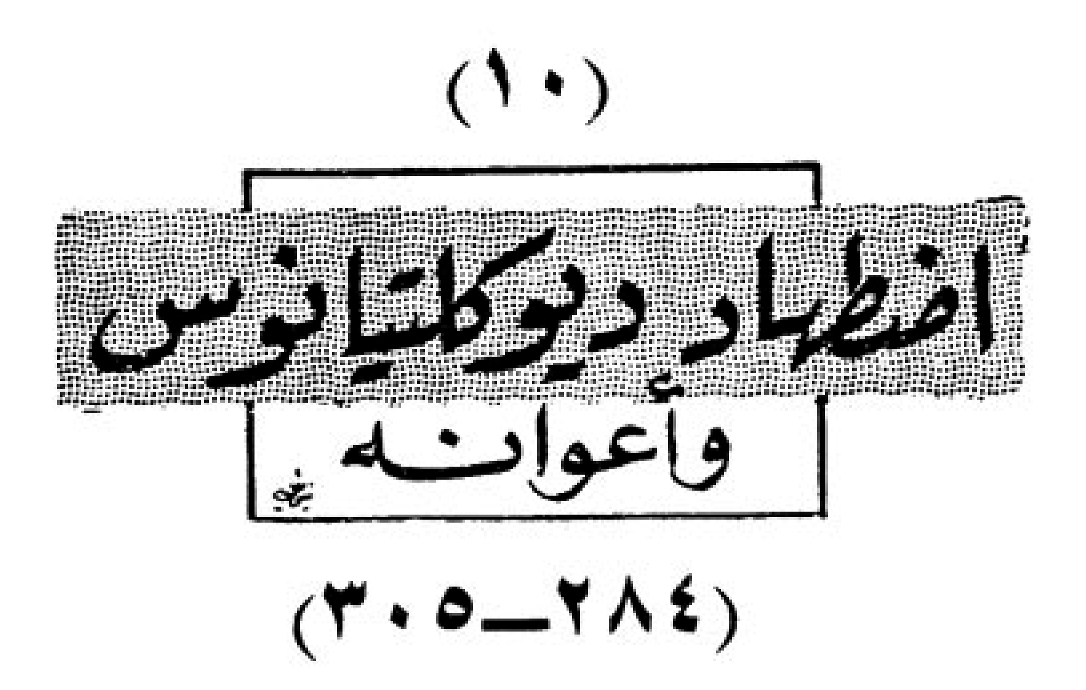
خلف أوريليان على العرش الامبراطورى ستة أباطرة فى فترة الثمانى سنوات التى انتهت باعتلاء ديوكلتيانوس العرش . وتميزت هذه الفترة بالهدوء النسبى ، ورفع نير الاضطهاد على المسيحيين ، الأمر الذى أدى الى انتعاش الكنيسة ، فنمت وتزايد عدد المؤمنين ، وأقيمت بعض بيوت العبادة الفاخرة ، فى بعض المدن الرئيسية ، مزودة بمجموعات من الكتب المقدسة ، وأوانى من الفضة والذهب لخدمة الأسرار المقدسة .

لكن قابل هذا من الناحية الاخرى ظهور المشاكل الكنسية وتزايدها ، كما بدأت روح العالم تحاول أن تجد طريقها الى الكنيسة . ومن ثم فقد كانت الكنيسة فى حاجة الى نوع من التنقية ، وبعض الضيقات التى تردها الى نقاوتها وتماسكها ، واذكاء نار الحماس والحب والايمان من جديد[٢٧] . ومن ثم كان الاضطهاد المروع الذى شنه ديوكلتيانوس على الكنيسة وجميع المسيحيين فى انحاء الامبراطورية .



(26) Schaff, vol. 2, p. 63.

(٢٧) يوسابيوس ٨ : ١



(٢٨٤ـ٣٠٥)

ان كل الاضطهادات السابقة التى شنتها الدولة على المسيحية والمسيحيين ، ابتداء من نيرون ، لتتضاءل ازاء ضراوة ووحشية سلسلة الاضطهادات التى بدأها ديوكلتيانوس ، وأكملها أعوانه . **حتى ان البعض يحلو لهم أن يقابلوا بين هذا الاضطهاد العام الاخير ، وبين الضربة العاشرة على يد موسى ، التى أعقبها الخلاص من العبودية ..!** ولفظاعة هذا الاضطهاد ، اتخذت الكنيسة القبطية بداية حكم هذا الطاغية ـــ وهى سنة ٢٨٤م ـــ بداية لتقويمها المعروف باسم تاريخ الشهداء[٢٨] .

قيل أن اباه كان عبدا ، أو فى القليل كان ينتسب الى أبوين مغمورين . وكان موطنه اقليم دلماثيا بالبلقان . استطاع بجده وذكائه أن يرتقى حتى وصل الى المركز الاول والاعلى فى الدولة ... ويعتبر ديوكلتيانوس ـــ من الناحية السياسية والادارية ـــ من أكفأ الاباطرة الذين حكموا الامبراطورية . وقد وضع من التنظيمات والتشريعات ما يكفل بقاءها ، بعد أن زحفت الشيخوخة اليها ، وتعرضت لهجمات كثير من القبائل المتبربرة . وفى سنة ٣٠٥ اعتزل الحكم بعد أن اعتلت صحته اعتلالا كبيرا وأصيب بلوثة عقلية[٢٩] .

---

(٢٨) بينما لم يبدأ ديوكلتيانوس اضطهاده للمسيحيين الا سنة ٣٠٣

(٢٩) اعتلت صحة ديوكلتيانوس ، وأصيب بمرض شديد ، أخذ يثقل عليه ، فى نفس السنة التى أصدر فيها منشوره باضطهاد المسيحيين ـــ أنظر

Dictionary of Christian Biography, vol. 1, p. 836.

أعوانـــه :

من هذه التنظيمات التى وضعها ديوكلتيانوس ، واستهدف بها انقاذ الامبراطورية ، تعيين مكسيميانوس ـــ وهو قائد محنك ـــ معاونا له فى الغرب ، برتبة قيصر سنة ٢٨٥ . ثم رقاه الى رتبة أغسطس سنة ٢٨٦ وهى نفس رتبة ديوكلتيانوس ـــ فأصبح بذلك امبراطور للغرب ، بينما اختص ديوكلتيانوس بحكومة الشرق . ومكسيميانوس هذا هو المعروف باسم مكسيميانوس هركوليوس Maximianus Herculius .

ثم عاد ديوكلتيانوس ورأى أن يعين مساعدا له ، وآخر لمكسيميانوس ، برتبة قيصر ، لتدعيم حكم الامبراطورية المترامية الاطراف ، فعين معه جالريوس Galerius للشرق ، وقنسطنطيوس للغرب . وكان ذلك سنة ٢٩٢ . وأختص كل من هؤلاء الاربعة بحكم الاقاليم الآتية من الامبراطورية :

مكسيميانوس هركوليوس لحكم ايطاليا وأفريقيا . وقنسطنطيوس كلوروس Constantius Clorus (وهو والد الملك قنسطنطين الكبير) . لحكم غاليا (فرنسا الحالية) واسبانيا وبريطانيا . **هذا فى الغرب . أما فى الشرق** فحكم ديوكلتيانوس آسيا ومصر وتراقيا ، وجعل مقره نيقوميدية بآسيا الصغرى بينما حكم معاونه جالريوس بادىء الامر شواطىء الدانوب ، ثم بعد ذلك فى الشرق(٣٠) .

شخصيتـــه(٣١) :

أما عن شخصيته ، فقد كان يطالب لنفسه باحترام العبادة كالكاهن الاعظم للاله جوبتر Jupiter . **وكان يدعو نفسه رب وسيد العالم** . احاط ملكه بكثير من دوائر الجنود والخصيان . ولم يكن يسمح لأحد أن يقترب منه الا وهو راكع ولامس الارض بجبهته ، بينما يكون هو جالسا على عرش فى ثياب فاخرة ،

---

(30) Schaff, vol. 2, p. 65.

(31) Ibid, pp. 65, 66.

أحضرت له خصيصا من الشرق الاقصى . لكنه على الرغم من كفاءته فى الحرب والادارة ، كان واقعا تحت سيطرة الخرافات ، **ويستشير أصحاب العرافة وكهنة الاوثان قبل البدء فى مشروعاته**(٣٢) .

بدأ عهده باصدار عدة تشريعات لاصلاح الدولة والابقاء على هيبتها ، وأجل المسألة الدينية حتى يفرغ من المسائل السياسية والادارية ويطمئن من جهتها .

المسيحيون فى أول عهده(٣٣) :

بدأ ديوكلتيانوس عهده مسالما المسيحيين . وظل هكذا فى العشرين سنة الاولى لحكمه يحترم منشور التسامح الذى أصدره سلفه جاللينوس . كان معظم خصيانه وضباط قصره من المسيحيين ، الى جانب عدد من الاداريين فى الدولة ، بل أكثر من هذا ، فقد قيل أن زوجته بريسكا Prisca وابنته فالريا Valeria كانتا مسيحيتين . وقيل أنهما كانتا فى صفوف الموعوظين ، أو على الاقل تعطفان على المسيحيين(٣٤) .

أسباب تحوله عن سياسة التسامح :

أما عن أسباب تحول ديوكلتيانوس عن سياسة التسامح الدينى مع المسيحيين من رعاياه ، والتى أنتهجها فى العشرين سنة الاولى لحكمه فلا يمكن تحديدها ...

قيل انه قصد المعبد ذات مرة ليستشير الآلهة فى أمر هام كما كانت عادته ، واصطحب معه رجال بلاطه ، وبينهم مسيحيون . **فانتهز كاهن المعبد الوثنى هذه الفرصة وقال للامبراطور « ان الآلهة لا تتكلم فى حضرة أعدائها » . وكان يقصد المسيحيين** . وبتأثير هذه الكلمات طرد الامبراطور جميع الذين لا يرفعون القرابين للآلهة من البلاط الامبراطورى ومن الجيش(٣٥) ... وان كنا لا نستطيع تأييد أو نفى هذه الرواية ، لكن حتى لو حدثت ، فأنها لم تكن السبب الرئيسى فى تحريك العداوة نحو المسيحيين فى عهد هذا الرجل .

---

(32) Dictionary of Christian Biography, vol. 1, p. 834.

(33) Lactantius: De Mortibus Persecutorum, ch. 10.

(34) Schaff, vol. 2, p. 65.

(35) Lactantius: De Mortibus persecutorum ch. 10; De Pressensé, vol. 2, pp. 205, 206.

ويكاد يكون هناك شبه اجماع — استنادا الى رواية لكتانتيوس(*) Lactantius معاصره — ان **ديوكلتيانوس غير سياسته نحو المسيحيين تحت تأثير جالريوس معاونه وزوج ابنته فالريا ، الذى كان وثنيا متعصبا شرسا** . ويصفه لكتانتيوس بأنه وحش مفترس ، لبسته بربرية وحشية غريبة عن الدم الرومانى . وكان يستحث صهره ديوكلتيانوس بضرورة سحق الكنيسة المسيحية ، التى هى دولة داخل الدولة Imperium in emperis[٣٦] .

اضطهاد ديوكلتيانوس وأعوانه :

أصدر ديوكلتيانوس ، بالاتفاق مع معاونيه — وتحت تأثير جالريوس — فى الثالث والعشرين من فبراير سنة ٣٠٣ منشورا يقضى : **بهدم الكنائس ، حرق الكتب المقدسة ، طرد جميع ذوى المناصب الرفيعة وحرمانهم من الحقوق المدنية ، وحرمان العبيد من الحرية أن أصروا على الاعتراف بالمسيحية ، ونص المنشور على معاقبة من يخالف دون تحديد العقوبة** .

• وبدأ تنفيذ هذا المنشور فى الحال ، فى ٢٣ فبراير سنة ٣٠٣ يوم عيد الانتهاء Terminalia (كما لو كانوا قد أرادوا أن يضعوا نهاية للمسيحية) فهدمت كنيسة نيقوميدية الجميلة التى كانت مبنية على تل فى مواجهة القصر الامبراطورى . علق المنشور على حوائط قصر ديوكلتيانوس نفسه . فتقدم مسيحى أخذته الغيرة ومزق المنشور فظهر بذلك استياءه[٣٧] . فكان جزاؤه الموت حرقا بكل وحشية ... وفى نفس الوقت قوى هذا التصرف مشاعر ديوكلتيانوس العدائية نحو المسيحيين . وسرعان ما سرت موجات الاضطهاد الى كل أقاليم الامبراطورية .

• **لكن سرعان ما ازداد الاضطهاد عنفا ووحشية ، بسبب الحريق الذى اندلع مرتين فى ظرف أسبوعين فى قصر ديوكلتيانوس** فى نيقوميدية حيث كان

---

(36) Schaff, vol. 2, p. 66; De pressensé, vol. 2, pp. 203, 204.

(*) Lactantius: De Mortibus Persecutorum, ch. 9,10,11.

(٣٧) قيل عن هذا الشاب أنه هو القديس مار جرجس الكبادوكى الشهير ، وقيل انه شاب آخر اسمه يوحنا والامر غير واضح تاريخيا .

يقيم ، بعد صدور منشور الاضطهاد بوقت قصير . وللحال اتهم جالريوس موظفى القصر وخدمه المسيحيين بتدبير هذا الحريق ، ومحاولة حرقه هو وصهره ديوكلتيانوس أحياء .

• **ونسب لكتانتيوس المعاصر ، حريق القصر الى جالريوس ، الذى افتعل الحريق مرتين لاثارة ديوكلتيانوس ضد المسيحيين الابرياء** ... أما الملك قنسطنطين الذى أقام بنفس هذا القصر بعد ذلك بمدة ، فقد نسب الحريق للاضاءة ، لكن تكرار الحريق يبرر ما ذهب اليه لكتانتيوس[٣٨] . والعجيب أن الحريق كان هو السبب فى اضطهاد نيرون وديوكلتيانوس — الاضطهاد الاول والاضطهاد الاخير — وفى كلا الاضطهادين كان الضحايا هم المسيحيون الأبرياء . كان نتيجة الحريق مزيدا من الاضطهادات ومزيدا من الوحشية ...

• **اصدر ديوكلتيانوس منشورين متلاحقين فى مارس سنة ٣٠٣ ، يقضى أولهما بسجن جميع رؤساء الكنائس[٣٩] ، ويقضى ثانيهما بتعذيبهم بقصد إضطرارهم لجحد الايمان .**

• وفى ٣٠ ابريل سنة ٣٠٣ أصدر مكسيميانوس هركوليوس المنشور الرابع وهو أسوأها . ويقضى بأرغام جميع المسيحيين — بلا استثناء — فى المدن والقرى ، فى أنحاء الامبراطورية أن يضحوا للآلهة ، والا عوقبوا بأشد أنواع العقاب[٤٠] ... أما القصد من هذه المنشورات فكان محو المسيحية من الوجود .

• وأخيرا فى محاولة يائسة لمحو المسيحية وبعث الوثنيـــة ، أصدر مكسيمينوس دازا[٤١] Maximinus Daza منشورا خامسا فى خريف **سنة ٣٠٨**

---

(38) Lactantius, ch. 16.

(٣٩) يوسابيوس ٨ : ٦

(٤٠) يوسابيوس : شهداء فلسطين ف ٣ .

(٤١) هو ابن أخى جالريوس ، وثق فيه ديوكلتيانوس قبيل اعتزاله الحكم ورفعه لرتبة قيصر سنة ٣٠٥ ، وأطلق يده فى حكم سوريا ومصر . ويذكر اسمه أحيانا ، مكسيمينوس ديا Daia. ويعتبر أشر الحكام الذين نكلوا بالمسيحيين .

يقضى بسرعة اعادة بناء مذابح الاوثان ، وأن يقدم جميع الرجال والنساء والاولاد ، وحتى الاطفال الرضع ، الذبائح والسكائب ، مع اكراههم على تذوق التقدمات ، وتدنيس الاطعمة التى تباع فى الاسواق بسكائب الذبائح ؛ وأن يقف الحراس أمام الحمامات ليدنسوا بالذبائح الوثنية ، كل من يدخل للاغتسال فيها[٤٢] وقد استمر هذا المنشور معمولا به لمدة سنتين أو أكثر . ولم يكن أمام المسيحيين الا أن يموتوا شهداء ، أو يموتوا جوعا ، أو يجحدوا الايمان .

● وفى سنة ٣١١ أمر مكسيمينوس دازا باقامة الهياكل فى كل مدينة وسرعة اعادة الاحراش المقدسة التى كانت قد أزيلت على مر الزمن . وعين كهنة للاصنام ، وأقام عليهم فى كل مقاطعة موظفا سياسيا كرئيس كهنة .. ومنح جميع المشعوذين وظائف ادارية ، وخلع عليهم أعظم الامتيازات[٤٣] .

● **على انه يجب ملاحظة أن نصيب ديوكلتيانوس فى الاضطهاد الاخير الكبير لم يزد عن سنتين وشهرين (٣٠٣ـــ٣٠٥)** . لكن الاضطهاد استمر بعد ذلك حتى سنة ٣١٣ فى الشرق على يد جالريوس ومكسيمينوس دازا . وكان أقسى هذه الفترات هى من (٣٠٨ـــ٣١١) . بل قيل أن هذا الاضطهاد هو أفظع اضطهاد شهده المسيحيون منذ البداية فى الدولة كلها . وكثير من الشهداء الذين استشهدوا فى الشرق ، ونسب استشهادهم لعهد ديوكلتيانوس ، استشهدوا فى هذه الفترة (٣٠٨ـــ٣١١) . وكان المحرك الاكبر لاضطهاد السنوات الاخيرة هو مكسيمينوس دازا الذى كان يحكم مصر وسوريا .

● **هذا وقد كانت الاضطهادات فى الشرق أعنف منها فى الغرب بسبب جالريوس** وابن أخيه مكسيمينوس دازا . أما فى الغرب فكان هناك قنسطنطيوس كلوروس الذى كان يعطف على المسيحيين ، وخلفه ابنه قنسطنطين بنفس المشاعر . وكان الاضطهاد غالبا فى أقاليم الامبراطورية ، التى كانت تحت حكم مكسنتيوس Maxentius الذى مات سنة ٣١٢ . وقد أشار لكتانتيوس اليه كآخر أعداء المسيحية فى الامبراطورية[٤٤] .

---

(٤٢) يوسابيوس : شهداء فلسطين ف ٩ .

(٤٣) يوسابيوس ٨ : ١٤ .

(44) Lactantius: de Mortibus Persecutorum ch. 43 : 5.



الامبراطور قسطنطين
أصدر مرسوم ميلان سنة ٣١٣ وبه صارت الحرية للمسيحيين
أن يمارسوا عبادتهم دون اضطهاد من الدولة

مراسيم التسامح الدينى

(٣١١ ــ ٣١٣)

• **كانت اضطهادات ديوكلتيانوس وأعوانه هى آخر مقاومة يائسة للوثنية الرومانية** ... ووسط المشاهد العجيبة المتناقضة ، التى تجلت فيها بطولة المسيحيين وثباتهم فى وداعة ، ازاء وحشية الوثنيين وسطوتهم فى شراسة ... بدت الوثنية فى حالة اعياء ...

• اعتزل ديوكلتيانوس الحكم فى أول مايو سنة ٣٠٥ بعد ان انتهى الى نهاية سيئة ... أما جالريوس معاونه وزوج ابنته وخليفته ، اذ أصيب بمرض خطير بشع ، اضطر تحت وطأة الآلام التى كان يعانيها ، أن **يصدر فى سنة ٣١١ من مدينة نيقوميدية مرسوم تسامح للمسيحيين ، وفيه يطلب منهم أن يتضرعوا لالههم من أجل سلامته**[1] . ورفض مكسيمينوس دازا ، أن يوقع على هذا المرسوم .

• صار قسطنطين امبراطورا على غاليا وأسبانيا وبريطانيا سنة ٣٠٦ . تربى فى بلاط ديوكلتيانوس فى نيقوميدية ، على نحو ما تربى موسى فى قصر فرعون مصر . هرب من وجه جالريوس الى بريطانيا ، ونودى به امبراطورا بلقب أغسطس بواسطة الجيش ، خلفا لوالده المتوفى ... عبر جبال الألب وانتصر على منافسه مكسنتيوس ابن مكسيميانوس (شريك ديوكلتيانوس فى حكم الغرب) ، عند قنطرة ملفيا على بعد ميل واحد من روما . وباد هذا الطاغية هو وجيشه فى مياه نهر التيبر فى اكتوبر سنة ٣١٢ .

• **التقى قسطنطين مع ليكينيوس امبراطور الشرق فى ميلان ، ومن هناك أصدرا فى مارس سنة ٣١٣ مرسوما للتسامح مع المسيحيين يعرف باسم « مرسوم ميلان »** ، أعطيت بموجبه الحرية الدينية للمسيحيين ولغيرهم أن يتبعوا

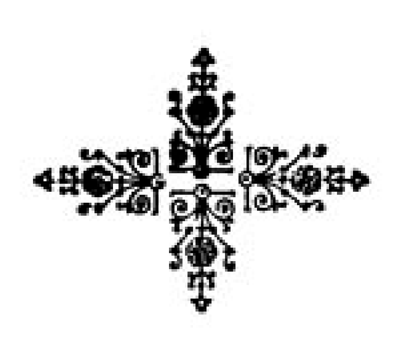
(1) Lactantius, ch. 34.

الدين الذى يرغبونه[٢] .

• ومن مدينة نيقوميدية اضطر مكسيمينوس دازا سنة ٣١٣ — قبيل انتحاره بعد هزيمته أمام ليكينيوس — أن يصدر مرسوم تسامح للمسيحيين أسوة بمرسوم ميلان[٣] ، وهو آخر المراسيم .

• وفى محاولة أخيرة يائسة وضعيفة ، خرج ليكينيوس على قنسطنطين . وجدد اضطهاد المسيحيين لفترة قصيرة فى الشرق ، لكنه هزم أمام قنسطنطين سنة ٣٢٣ ، فأصبح قنسطنطين هو الحاكم الوحيد للامبراطورية شرقا وغربا[٤] .

وهكذا بقنسطنطين ، الذى يعتبر آخر الاباطرة الوثنيين وأول المسيحيين ، بدأت فترة جديدة وهامة فى حياة الكنيسة والمسيحيين ...



(2) Ibid, ch. 48.

(٣) يوسابيوس ٩ : ١٠

(4) Dictionary of Christian Biography, vol. 3, p. 865.



بعض طرق التعذيب

مع الشهداء الأبطال

+ دوافع الاستشهاد فى المسيحية .
+ أنواع العذابات التى أحتملها الشهداء والمعترفون .
+ نفسية المسجونين على ذمة الاستشهاد .
+ محاكمات الشهداء وأحاديثهم الخالدة .
+ معجزات صاحبت تعذيب الشهداء وقتلهم وأثرها .
+ فئات الشهداء ونماذج من بطولاتهم .
+ تقييم الاستشهاد فى المسيحية .

دوافع الاستشهاد فى المسيحية

لم تعرف البشرية فى كل تاريخها شهداء كشهداء المسيحية ، من حيث حماستهم ، وشجاعتهم ، وايمانهم ، ووداعتهم ، وصبرهم ، واحتمالهم ، وفرحهم بالاستشهاد . **فقد كانوا يعانقون الموت فى فرح وهدوء ووداعة عجيبة اذهلت معذبيهم ومضطهديهم وأعداءهم على السواء** . فرموهم بالجنون أحيانا وبالجهل والحماقة أحيانا أخرى . وقد سخر بعض أعداء المسيحية من ظاهرة الاستشهاد ، وفسروها فى سذاجة وسطحية ، على أنها هروب من الحياة ، ونوع من الانتحار تحت ظروف قاسية ... وقد فند المدافعون المسيحيون المعاصرون للاضطهادات ، هذه الافتراءات وردوا عليها ، مما سنورده فى المعاصرون للاضطهادات ، هذه الافتراءات وردوها عليها ، مما سنورده فى موضوع آخر من هذا الكتاب .

والحق اننا لا يمكننا فهم الاستشهاد فى المسيحية ، وتقدير قدسيته وبطولته ، ما لم نفهم دوافعه ، التى ملكت على أولئك الشهداء قلوبهم ، ومشاعرهم ، وأفكارهم بصورة قوية دفعت بهم الى الموت ، وكأنه رحلة ممتعة ... لقد اقتبل المؤمنون المسيحيون مع ايمانهم المسيحى مبادىء روحية أساسية غيرت حياتهم الشخصية ومفاهيمهم ونظرتهم للحياة كلها ... ونستطيع أن نجملها فيما يلى :

(١) ان هذا العالم وقتى بالقياس الى الحياة الابدية :

ما أكثر الاقوال الالهية التى كانت تشجع فيهم هذا الاحساس ... « لأن خفة ضيقتنا **الوقتية** تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديا . ونحن غير ناظرين الى الاشياء التى ترى بل الى التى لا ترى . **لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية** » (٢كو٤:١٧) ... « أقول هذا أيها الاخوة . الوقت منذ الآن مقصر لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم . والذين يبكون كأنهم لايبكون . والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون . والذين يشترون كأنهم لا يملكون . والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول » (١كو٧:٢٩،٣٠) ... « العالم يمضى وشهوته . وأما الذى يصنع مشيئة الله

فيثبت الى الابد » (١يو٢:١٧) .

(٢) وأنهم غرباء فيه :

متذكرين كلمات الوحى الالهى على فم الرسل القديسيين حينما أوصاهم قائلا « سيروا **زمان غربتكم** بخوف » (١بط١:١٧) ... « أيها الاحباء ، أطلب اليكم **كغرباء ونزلاء** أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١بط٢:١١) . وبعد أن تكلم بولس الرسول عن أبرار العهد القديم قال « فى الايمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا **بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض** » (عب١١:١٣) ... « فاذ نحن واثقون كل حين وعالمون اننا **ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب** ... فنثق ونسر بالاولى أن **نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب** » (٢كو٥:٦،٨) .

(٣)وأن هذا العالم وضع فى الشرير والحياة فيه حياة حزن والم وضيق :

« نعلم أننا نحن من الله والعالم كله قد وضع فى الشرير » (١يو٥:١٩) .. « الحق الحق أقول لكم ، انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح » (يو١٦:٢٠) . « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » (لو١٣:٢٤) .. « فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا ، أنا قد غلبت العالم » (يو١٦:٣٣) ... بالمقارنة بالحياة الاخرى التى قيل عنها « وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم . والموت لا يكون فى ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فى ما بعد » (رؤ٢١:٤) .

(٤) وقد عرفوا أيضا أن نهاية ضيقات وأحزان وآلام هذا العالم تؤول الى مجد عظيم فى السماء ...

« من يحب نفسه يهلكها ، ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية » (يو١٢:٢٥) . « الحق الحق أقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة فى الارض وتمت فهى تبقى وحدها . ولكن ان ماتت تأتى بثمر كثير » (يو١٢:٢٤)

« ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح . المرأة وهى تلد تحزن لان ساعتها قد جاءت . ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لانه قد ولد انسان فى العالم » (رو٨:١٧) .. « صادقة هى الكلمة أنه ان كنا قد متنا معه فسنحيا أيضا معه . ان كنا نصبر فسنملك أيضا معه » (٢تى٢:١١،١٢) ... « فانى أحسب ان آلام الزمان الحاضر ، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » (رو٨:١٨) ... وقد أوضح الرائى فى رؤياه ذلك بقوله « بعد هذا نظرت واذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف نخل ... وأجاب واحد من الشيوخ قائلا لى هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض من هم ومن أين أتوا ... فقال لى هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة ، وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف . من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهارا وليلا فى هيكله . والجالس على العرش يحل فوقهم . لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ... لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حية ، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم » (رؤ٧:٩—١٧) ... ولم يستطع بولس أن يصف مجد السماويات فاكتفى بالقول « مالم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال انسان » (١كو٢:٩) .

« أما عن المجد الذى سيكون فيه أولاد الله فى السماء فيصفه يوحنا بقوله .. أيها الأحباء نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون . ولكن نعلم انه اذا اظهر **نكون مثله** لأننا سنراه كما هو » (١يو٣:٢) .

من أجل كل هذا ...

(أ) زهدوا فى كل شىء مادى عالمى ...

مستفيدين من الحكمة التى وصل اليها أيوب البار « عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى هناك » (أى١:٢١) . وهو نفس المعنى الذى أكده القديس بولس حينما قال « لأننا لم ندخل العالم بشىء وواضح أننا لانقدر أن نخرج منه

بشيء . فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » (١تى٦:٧،٨) .. وقد أعتبر بولس أن الغنى هو الغنى الروحى ، وأن المؤمن باقتنائه المسيح فى قلبه قد اقتنى كل شيء « كفقراء ونحن نغنى كثيرين . كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء » (٢كو٦:١٠) ...

(ب) واشتهوا الانطلاق من الجسد لكى يكونوا مع المسيح ...

وقد غذى هذا الشعور فيهم كلمات الرب يسوع « حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا » (يو١٤:٢،٣) ... « من يحب نفسه يهلكها . ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية ... وحيث أكون أنا ، هناك أيضا يكون خادمى » (يو١٢:٢٥،٢٦) ... من أجل هذا أشتهى القديسون هذا اللقاء مع الحبيب ، فهتف سمعان الشيخ « الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام » (لو٢:٢٩) ... وهتف بولس « لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح ... لى اشتهاء أن أنطلق واكون مع المسيح ذاك أفضل جداً » (فى١:٢١،٢٣) ... ويوحنا الرائى بعد أن رأى مالا يرى من أمجاد العالم العتيد ختم رؤياه بقوله « آمين . تعال أيها الرب يسوع » (رؤ٢٢:٢٠) ...

(جـ) وقد فعلوا كل ذلك عن محبة عجيبة ...

مفضلين الرب عمن سواه وعما عداه ، اذ كانت كلمات الرب أمامهم « من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى » (مت١٠:٣٧) ... « لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب » (١يو٢:١٥) ... « أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله فمن أراد أن يكون محباً للعالم ، فقد صار عدواً لله » (يع٤:٤) ...

كانت حياتهم فى الجسد حياة فى العالم ، وليست للعالم ... عاشوا فيه دون أن يكون قلبهم فيه ... استخدموا العالم كبحر تعبر فيه سفينة حياتهم ، دون أن تمتلىء من مياهه ، فتغرق وتغوص الى قاعه « والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول » (١كو٧:٣١) ... لقد عبر بولس عن حبه بهذه الكلمات « من سيفصلنا عن محبة المسيح ... فانى متيقن

انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة . ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رو٨: ٣٥ــ٣٩) ... وحينما قال « لست أحتسب لشيء ولا نفسى ثمينة عندى » (أع٢٠: ٢٤) ... حقق ذلك عمليا لمؤمنى قيصرية حينما رجوه ألا يصعد الى أورشليم تفاديا لليهود الذين كانوا يطلبونه للفتك به « ماذا تفعلون تبكون وتكسرون قلبى ، لأنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضا فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع » (أع٢١: ١٠ــ١٣) ...

والآن ــ بعد أن عرضنا لهذه الدوافع المقدسة ، نستطيع أن ندرك ، ولو قليلا ، ونعلل سر تهافت الشهداء على الموت ، واقبالهم على التعذيب ، بروح اللامبالاة ، لكن فى فرح وسكينة من أجل الرجاء العتيد .

ونستطيع أن نميز ثلاث فئات من الشهداء من حيث دافع استشهادهم :

أ ــ شهداء من أجل ثباتهم على الايمان المسيحى عامة . وهؤلاء تؤلف أعدادهم الغالبية العظمى ممن استشهدوا على اسم المسيح ، وهو موضوع كتابنا هذا بأكمله .

ب ــ شهداء استشهدوا من أجل الحفاظ على عفتهم وطهارتهم .

جـ ــ شهداء ماتوا تمسكا بعقيدتهم ... والآن نعرض للنوعين الأخيرين .

شهداء من أجل العفة

ميزت المسيحيين فى أجيال المسيحية الاولى ، ظاهرتان واضحتان كل الوضوح ، هما شهوة الاستشهاد ، ومحبة العفة والبتولية ... ونحن نرى فى سيطرة هاتين الظاهرتين على المؤمنين أمرا طبيعيا ، يتمشى مع الروحانية العميقة التى عاشوها ، والسمو العجيب الذى حققوه باحتقار الجسد وكل ما هو مادى . فحيث الاستشهاد لابد وأن توجد الطهارة . فليس استشهاد مع الانحلال الروحى ، والانحطاط الخلقى ، وسيطرة شهوة الجسد على الانسان وعبوديته لها .

+ الموت أخف من الدنس :

• وتاريخ الشهداء حافل بأمثلة رائعة لأبطال الطهارة والعفة ، الذين فضلوا أن يقابلوا الموت عن أن يدنسوا أجسادهم . فالوثنيون وحكامهم تملكت عليهم شهوة دنسة بصورة مزرية مخجلة . وكانوا يندهشون لطهارة المسيحيين والمسيحيات على وجه الخصوص ، اللائى « لم يستطعن مجرد الاصغاء الى تهديد الحكام الوثنيين بهتك أعراضهن ، فتحملن كل أنواع التعذيب والتنكيل والقصاص المميت »[١] .

يقول يوسابيوس المؤرخ الذى عاش وسط الاضطهادات « لم يكن النساء أقل من الرجال بسالة فى الدفاع عن تعاليم الكلمة الالهية ، اذ اشتركن فى النضال مع الرجال . ونلن معهم نصيبا متساويا من الاكاليل من أجل الفضيلة وعندما كانوا يجروهن لأغراض دنسة ، كن يفضلن تسليم حياتهن للموت عن تسليم أجسادهن للنجاسة »[٢] .

كان واضحا اذن أمام الحكام الوثنيين ، ان الوقوع فى الدنس أشر من الموت

---

(١) يوسابيوس ٨ : ١٦

(٢) يوسابيوس ٨ : ١٤

بالنسبة للمسيحيين ... من أجل هذا فرضوه عقابا خاصة بالنسبة للعذارى والسيدات وبعض الشباب .

شاب عفيف :

فى الاضطهاد الذى أثاره الامبراطور ديسيوس (٢٤٩ــ٢٥١) ، اذ فشل أحد الولاة الوثنيين فى أن يثنى شابا قبطيا عن ايمانه ، سلمه لاحدى الباغيات (الساقطة) لتسقطه فى الخطية . واذ لم تجد تلك المرأة وسيلة لتحقيق غرضها ، ربطوا الشاب ــ جسمه ويديه ورجليه بسرير ــ ثم أخذت المرأة تقوم بوسائلها السمجة لاثارته ... واذ لم يجد الشاب وسيلة للهرب من هذا الشر ، وخاف على طهارته من أن تتدنس ، قضم على لسانه بأسنانه ، وبصقه ومعه سيل من الدماء فى وجهها ... واذ تملكها الرعب من هول ما حدث ، هربت ، أما هو فحفظ طهارته ...

بوتامينا العذراء العفيفة :

● وفى الاضطهاد الذى أثاره سبتميوس ساويرس ، احتملت العذراء المصرية بوتامينا أشد أنواع العذاب . ويقول يوسابيوس المؤرخ عنها « لا تزال مشهورة بين شعب البلاد لسبب الآلام العديدة التى تحملتها فى سبيل الاحتفاظ بعفتها وعذراويتها . لانها كانت فى دور النضوج العقلى والجسمى . واذ تحملت كثيرا من أجل الايمان بالمسيح ، وعانت صنوفا مختلفة من التعذيب الذى لا يوصف ، أحرقت بالنار أخيرا مع أمها مارسيلا . ويقال ان الوالى المسمى أكيلا ، بعد أن عذب كل جسمها تعذيبا قاسيا هددها أخيرا بتسليمها الى المصارعين للاساءة الى جسدها . واذ سئلت عما استقر عليه رأيها ، فكرت قليلا وقدمت اجابة اعتبرت خارجة عن حدود اللياقة ، وللحال صدر عليها الحكم وساقها الى الموت باسيليدس أحد ضباط الجيش . ولما حاول الشعب اساءتها واهانتها بألفاظ بذيئة أبعد (باسيليدس) أولئك المسيئين ، وأظهر نحوها كثيرا من الرقة والعطف » ... كانت الطريقة التى تقرر أعدامها بها ، أن يصب القار المغلى على أعضائها .

ولكنها صاحت قائلة للوالى « استحلفك برأس الامبراطور الذى تخشاه ، ألا تجعلهم يجردوننى من ثيابى ، بل يدعونى أنزل الى القار قليلا قليلا ، حتى ترى أية قوة أحتمال أعطانيها المسيح الذى لست تعرفه » ... الى هذه الدرجة من التحفظ والحياء ومحبة الطهارة ، كانت هذه العذراء التى أبت أن تخلع ملابسها وينكشف جسدها .... أما الجندى باسيليدس الذى حامى عنها فكانت مكافأته أنها وعدته أنها ستذكره أمام المسيح حالما تصل اليه . وقد ظهرت له فى رؤيا بعد استشهادها ، ووقفت بجانبه ليلا ثلاثة أيام متوالية تقلده أكليلا على رأسه ، وتقول له أنها توسلت الى الرب من أجله ، وانه بعد قليل سيلحق بها . وهذا ما تم فعلا بعد أيام من استشهاد بوتامينا ، اذ اعترف باسيليدس بالمسيح وقطعت رأسه بالسيف .[٣]

بربيتــوا :

● وفى قصة استشهاد القديسة بربيتوا بقرطاجنة ، حدث انها ألقيت لثور هائج أخذ يضربها بقرونه ، فسقطت على الأرض نصف ميتة .. لكنها لم تنس وهى فى هذه الحالة أن تغطى جسدها بردائها الذى تمزق !!. ويورد المؤرخ شاف Schaff هذه اللمحة فى قصة بربيتوا دليلا على محبة المسيحيين الأوائل للطهارة والعفة وتعلقهم بها .[٤]

ثيئودورة العذراء العفيفة :

● استشهدت بالاسكندرية فى زمان ديوكلتيانوس وهى فى سن السابعة عشر ، لأنها آثرت حياة العفة والتبتل .... كانت ثيئودورة سليلة أسرة نبيلة وعلى جانب كبير من الجمال الجسدى . فأمرها الوالى أن تبخر للأوثان ، والا فان عقوبتها ستكون ايداعها أحد بيوت الدعارة ... وفى تمسكها بعفتها ،

---

(٣) كان باسيليدس وبوتامينا من تلاميذ أوريجينوس . وذكر عن بوتامينا أنها كانت أمه (عبدة) ، ولأن سيدها عجز عن أن يجعلها ترضخ لشهوات ، أتهمها أمام الوالى بأنها مسيحية . ورشاه لكى يزيد من تعذيبها لعلها تنثنى عن عزمها بتعذيبها . وبذلك تعود اليه ، والا حكم عليها بالموت . (يوسابيوس٦:٥) .

(4) Schaff, vol. 2, p. 362.

رفضت كلامه ، وقالت له انها واثقة أن الرب يسوع سيخلصها ...

وقد أتاها الخلاص من هذه التجربة على يد الشاب المسيحى ديديموس الذى تنكر فى زى جندى وكان أول من دخل اليها ، وكانت لا تعرفه . أما الخطة فكانت استبدال ملابسها . وخرجت ثيئودورة متخفية فى زى الجندية ، دون أن يفطن اليها أحد . وبقى ديديموس فى الحجرة حتى اكتشف أمره ، وسيق للوالى وحكم عليه بالموت للمؤامرة التى ارتكبها . وحدث وهو فى طريقه الى مكان الاعدام أن رأته ثيئودورة ، وعرفت قصته ، فشقت الجموع وأمسكت به وقالت له « انى لا أقبل أن تأخذ مكانى فى الاستشهاد . لقد وافقت فقط أن تحفظ عفتى » ... وعرف الامر ، ونال كلاهما أكليل الشهادة معا .

الموت أهون من الدنس :(٥)

وكان من أثر عنف الاضطهاد ــ خاصة فى زمان ديوكلتيانوس ــ أن ظهر فى تاريخ الكنيسة لأول مرة عذارى مسيحيات آثرن الموت للتخلص من العار الذى كانت السلطات تريد أن تسومهن به .

سيدة فى انطاكية :

سيدة تقية فى انطاكية على جانب كبير من الفضيلة والثراء ، كان لها ابنتان فى عمر الزهور . احتال عليهما بعض الجنود الوثنيين وكانوا يدبرون ايقاعهما

(٥) لاشك أن يتخلص انسان من حياته عمل خاطىء لاتقره المسيحيه . لكن هناك اعتبارات خاصة يجب ادخالها فى حسابنا ، ونحن نقيم هذا العمل . لقد كان الذين أقدموا على هذا التصرف ، يحاكمون أصلا بتهمة مسيحيتهم . وكانت النتيجة النهائية معروفة وهى الموت . لكن الحكام الوثنيين لجأوا إلى عقوبة الدنس لسببين : أولهما لمعرفتهم أن الدنس بالنسبة للمسيحيين أبشع من الموت ذاته . فربما تحت شبح الفزع من هذا الشر المحقق يتراجع بعض المسيحيين وينكرون . وثانيهما اكتشافهم أن سرّ قوة المسيحيين هو فى احتفاظهم بطهارتهم . لذلك فقد حاولوا تحطيم هذه الناحية ، لعل المسيحيين يضعفون بعد أن ينشط فيهم الجسد للذة ، وبالتالى يرتدون عن ايمانهم . وبالنظر لهذه الأفكار والاعتبارات والدافع النبيل الذى دفع قلة من المسيحيين للإقدام على التخلص من الحياة ــ من أجل احتفاظهم بعفتهم وطهارتهم فضلا عن مسيحيتهم ــ فقد اعتبر بعض آباء الكنيسة هذا العمل مشروعا بل ومجيداً ، واعتبروا من أنهى حياته بهذه الطريقة شهيدا ومن هؤلاء الآباء يوحنا ذهبى الفم ، وكبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد ، ويوسابيوس المؤرخ الكنسى . كما يوافق عليه القديس اغسطينوس فى كتابه مدينة الله بشرط أن يدعو اليه اعلان خاص .

فى شرك . فلما عرفت الأم ما انتواه هؤلاء من شر قالت إن تسليم نفوسهن لعبودية الشيطان لهى أشر من كل أنواع الموت وفكرت فى وسيلة للنجاة من العار أسرَّت بها لإبنتيها . طلبن من الحراس فرصة قصيرة ، وانتحين جانبا فى الطريق . ثم مالبثن أن ألقين بأنفسهن فى نهر بجانب الطريق . وهكذا وضعن خاتمة لحياتهن حتى لا يقعن فى الدنس[٦] .

سيده فى روما :

وسيدة أخرى مسيحية متزوجة فى روما أراد مكسنتيوس امبراطور الغرب الوثنى (٣٠٥ــ٣١٢) ــ وكان شريرا فاجرا ــ أن يغتصبها ليشبع شهوته . فلما علمت بالأمر وأن زوجها نفسه على استعداد أن يقتادها لهذا الطاغية !! طلبت أن تعطى فرصة للتزّين . فدخلت غرفتها وطعنت نفسها بسيف وماتت فى الحال . وهكذا بينت بأعمالها ــ بقوة أشد جدا من أى كلمات ــ أن الفضيلة التى يغلب بها المسيحيون هى أقوى ما يمتلكون[٧] .

سيدة وعذراء فى غزه :

وفى غزه بفلسطين لم تحتمل امرأه مسيحية تهديدها بالزنى كعقاب لها على مسيحيتها ، فهاجمت مكسيمينوس الطاغية الذى سلم الحكم لقضاة قساة ، فكان جزاؤها الجلد أولا ثم رفعها الى فوق على خشبة ، وتمزيق جنبيها . هال هذا المنظر عذراء مسيحية ، فاندفعت نحو القاضى وصاحت فى وجهه « الى متى يطول تعذيبكم القاسى لأختى ؟ » فأمر بالقبض عليها وطلب منها التضحية للأوثان فرفضت . سحبوها بعنف نحو المذبح فركلته بقدمها بكل شجاعة وقلبته بما عليه من نيران . وللحال زأر القاضى كالوحش وعذبها بكل قسوة ، وأخيرا أحرقهما معاً . كانت الأولى من غزه والثانية من قيصرية[٨] .

---

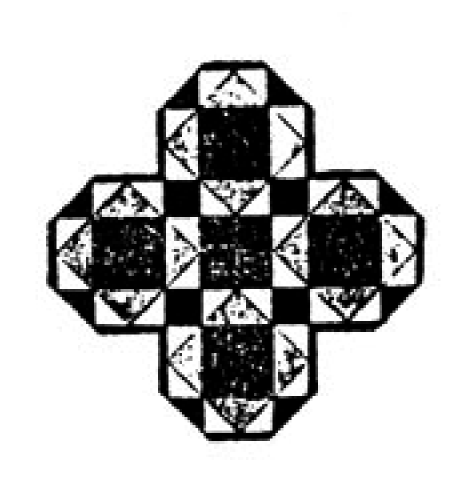
(٦) يوسابيوس ٨ : ١٢

(٧) يوسابيوس ٨ : ١٤

(٨) يوسابيوس : شهداء فلسطين ٨

فبرونيا العذراء الشهيدة :

● وفى أثناء الاضطرابات التى عمت مصر سنة ٧٤٩م ، بسبب فرار مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين الى الوجه القبلى ، أمام أبى العباس ، دخل جنود مروان دير للعذارى قرب أخميم . وبعد أن نهبوه أرادوا اغتصاب عذراء صغيرة ، تدعى فبرونيا ، فتنوا بجمالها . واذ وجدت فبرونيا نفسها بين أيدى هؤلاء الجند ، استمهلتهم قليلا ، ودخلت قلايتها ، وألقت بذاتها بين يدى الله باكية ، طالبة الخلاص من الدنس . وسرعان ما خرجت اليهم بحيلة ... توسلت اليهم أن يتركوها لعبادتها ، مقابل جميلا تسديه اليهم ، تعلمته من أسلافها . وكان هذا الجميل ، زيتا تقتنيه ، اذا دهن به أى جزء من الجسم ، لا تعمل فيه السيوف . ولكى تبرهن على صدق كلامها ، دهنت عنقها بالزيت وطلبت أن يهوى أقواهم بسيفه على عنقها ... وما أن فعل ذلك حتى انفصل رأس العذراء العفيفة عن جسدها ... أما الجند فأعتراهم خوف شديد ، وأسرعوا بمغادرة الدير ، بعد أن تركوا كل ما كانوا قد نهبوه .



شهداء من أجل العقيدة

ما كادت الكنيسة تنتهى من اضطهاد ملوك الدولة الوثنيين ، عقب ارتقاء الملك قنسطنطين عرش الملك ، حتى بدأت تواجه متاعب داخلية خطيرة نتيجة ظهور البدع والهرطقات الدينية ، انتهت بانقسام كنيسة المسيح الواحدة ، وشوهت صورة وحدانية الروح والفكر والقلب ، وجعلت الضعف يسرى فى أجزائها المختلفة ...

ونحن لا ننكر أن هذه المتاعب الداخلية واجهت الكنيسة منذ العصر الرسولى حتى أن بولس الرسول يكتب لكنيسة كورنثوس قائلا « أسمع أن بينكم انشقاقات وأصدق بعض التصديق . لان لابد أن يكون بينكم بدع أيضا ليكون المزكون ظاهرين بينكم » (١كو١١:١٨،١٩) . لكنها لم تكن من الخطورة حتى تقلق الكنيسة . وقد تمكنت الكنيسة من القضاء على معظمها من غير كبير عناء .

لكن الأمر أخذ وضعا أخطر وأعنف ابتداء من عشرينات القرن الرابع المسيحى . وزاد من هذه الخطورة اعتناق بعض ملوك الدولة المسيحيين لبعض هذه البدع والهرطقات . فأخذوا ينكلون بخصومهم فى الرأى والمعتقد بالوسائل العالمية من نفى وتشريد وقتل ... وصار شهداء العقيدة يعدون بالآلاف . وينبغى الا يقلل من أهمية هذا الموضوع . فقد غدا الخلاف المذهبى من أجل العقيدة ــ عقب مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ــ احد الاسباب الهامة ، ان لم يكن اهمها فى تقويض عرش الأباطرة البيزنطيين ، وانهيار هذه الامبراطورية أمام زحف الجيوش العربية القليلة العدد والعدة ، فى منطقة الشرق الاوسط ... والآن نقدم بعض أمثلة لشهداء استشهدوا دفاعا عن العقيدة القويمة :

الآريوسية :

فى الاسكندرية ، على عهد الأسقف الاريوسى جورجيوس ، قبض

الاريوسيون على سيكوندوس كاهن برقه فى الخمس مدن الغربية الذى تصادف وجوده حينئذ فى الاسكندرية أمسكه الاريوسيون وطرحوه أرضا وأوسعوه ضربا وركلا بالاقدام حتى فاضت روحه . وفيما كان يتعذب بقسوة لم يكف هذا الأب عن أن يردد القول « لا ينتقم أحد لدمى المسفوك بل سيدى الذى أتألم لأجله هو الذى ينتقم لى » وقد ارتكب الاريوسيون جريمتهم البشعة هذه فى الصوم الكبير .

وفى عيد العنصرة تواطأ جورجيوس المذكور مع الدوق سبستيان Sebastian الهرطوقى ، وأحدث مذبحة فى الاسكندرية .

كانت جميع كنائس الاسكندرية فى يد الاريوسيين . ولما لم يجد الارثوذكسيون كنيسة يحتفلون فيها بعيد العنصرة ، ذهبوا الى مقابرهم ليحتفلوا هناك بالعيد ... وكانت لمقاطعة الشعب لهذا الاسقف الاريوسى الدخيل ، أثرها فى تحريك كوامن غيظه ، فاستنجد بالدوق سبستيان الهرطوقى . فأمر الجند وأرسلهم مدججى السلاح ، وساروا فى الطرق المؤدية الى تلك المقابر ، وضبطوا منافذها حتى لا يستطيع أحد الهرب ...

اعتدى الجند على من صادفهم فى الطريق بوحشية ، ثم اضرمت نار هائلة ، وكانوا يجذبون السيدات ويجبروهن على اعلان الايمان الاريوسى تحت تهديد الالقاء فى النيران ... وقد وقفت السيدات وقفات بطولية ، فلم ترهبن الموقف ، واعترفن بقوة وعلى الملأ بايمانهن الارثوذكسى ، وبناء على أوامر الدوق سبستيان أخذ الجنود يصفعون السيدات الارثوذكسيات على وجوهن حتى تورمت ، وأصبح من المستحيل التعرف على شخصياتهن .

أما بالنسبة للرجال ، فقد جردهم الجند من ثيابهم كلية ، وكانوا يضربونهم بكل قسوة ووحشية بجريد النخيل ذى الاشواك الحادة جدا ، ويدحرجونهم عليها ، فانغرس الشوك فى لحمهم ، وأحدث آلاما قاسية ، حتى أن كثيرين ماتوا ، والبعض الآخر ظلوا تحت العلاج لمدة طويلة ، كما نفى آخرون الى الواحات فى الصحارى ...[٩]

---

(9) Les Saints d'Egypte T. Tome 2, pp. 96, 97 (aprés S. Athanase Apologie de Fuga 6) .

• **والقديس بولس** أسقف القسطنطينية (+ ٣٥١) الذى ناصب الأريوسيين العداء نفاه الملك الاريوسى قسطنطيوس خمس مرات ، وأخيرا أوعز الى أحد الاريوسيين فقتله فى منفاه ببلاد أرمينيا . ثم ما لبث أن لحق به تلميذاه مركيانوس ومرقوريوس بعد أيام قليلة ، اذ أمر الملك بقتلهما بحد السيف لعدائهما للأريوسيين وعلى رأسهم الملك نفسه .[١٠] .

• **القديس ثيئودورس** الذى كان راهبا بدير قريب من الاسكندرية ، أخذته الغيرة أثناء نفى البابا أثناسيوس بسبب الاريوسيين . فكان يناقشهم محاولا كسبهم باظهار فساد معتقدهم . فأمر البطريرك الاريوسى بالقبض عليه وربطه فى رجل حصان جموح ، أخذ يسحله فى الشوارع ، حتى فاضت روحه .[١١]

الخلقيدونية :

• **القديس مقاريوس الأسقف** ـ .أحد الثلاثة مقارات القديسين ـ والذى نفى مع البابا ديسقوروس بعد مجمع خلقيدونية ، أظهر حرارة فى الايمان وثباتا على المعتقد الارثوذكسى ، فأنفذه البابا ديسقوروس من منفاه سرا الى الاسكندرية لتثبيت المؤمنين . وبوصوله اليها وجد رسول الملك مركيان ومعه طومس لاون ، يحاول أن يقنع الآباء بقبوله والتوقيع عليه . ولما طلب رسول الملك الى القديس مقاريوس التوقيع رفض ، وأخذ يحض الباقين على التمسك بايمان الآباء . اغتاظ منه رسول الملك وهجم عليه وركله بقدمه بقوة ، فسقط ميتا لوقته نظرا لشيخوخته .

• وكنتيجة لمجمع خلقيدونية وعزل البابا ديسقوروس ونفيه وتعيين الملك للمدعو بروتيريوس Proterius بطريركا بدله ، **حدث هياج شديد فى الاسكندرية** ، وقتل بروتيريوس . وقيل أن اللصوص الذين انقضوا عليه ليسلبوه أمواله (بعد أن سلب اموال كنائس وأديرة الارثوذكسيين) ، هم الذين قتلوه . فغضب الملك مركيان وأرسل عددا من الجند ، أعملوا القتل فى الاقباط

---

(١٠) سنكسار يومى ٥ ، ٢٨ بابة .

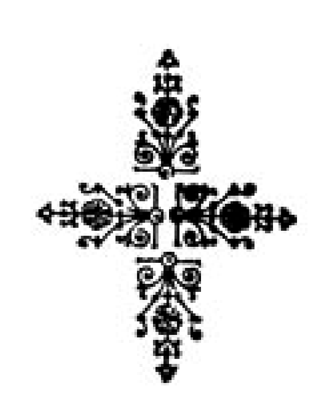
(١١) سنكسار ٦ بؤونه .

الارثوذكسيين ، فقتلوا منهم حوالى ثلاثين الفا[١٢] .

• **وفى مدة حكم الملك ليو الذى خلف بلشاريا نفى البابا الاسكندرى تيموثاوس ٢٦ خليفة البابا ديسقوروس** ، وبقى فى المنفى لمدة سبع سنوات حتى خلف ليو ملكا آخر ، أعاد البابا من منفاه . وفى مدة غياب البابا تيموثاوس عن كرسيه ، اجتاحت البلاد ثورات دامية اشتدت فى الاسكندرية . وشدد الملكيون [أصحاب بدعة الطبيعتين] اضطهادهم للأرثوذكسيين بقصد اخضاعهم ، فسقط شهداء كثيرون دفاعا عن المعتقد القويم .

• **كما استشهد بالاسكندرية على أيدى أصحاب بدعة الطبيعتين ، مينا شقيق البابا بنيامين البطريرك ٣٨** ، وبعد أن احتمل عذابات كثيرة ، منها تسليط مشاعل على جنبيه حتى سال شحم كليتيه ، وكسروا أسنانه من كثرة الضرب ... لكنه فى كل ذلك رفض الخضوع لمطلبهم ، وهو الاعتراف بمجمع خلقيدونية ، وأخيرا طرحوه فى البحر .

• كما أنزل الملك هرقل (٦١٠ــ٦٤١) ــ اضطهادات بالغة العنف بأصحاب الطبيعة الواحدة (الارثوذكسيين) وطارد رعاتهم ، وكان يفتك بهم . فاستشهد فى حكمه كثيرون .



---

(١٢) سنكسار ٢٣ مسرى .

أنواع العذابات التى احتملها الشهداء والمعترفون

« لاحق لك فى أن توجد » ...

هذه هى العبارة التى كان يوجهها الوثنى للمسيحى ، ابان الاضطهادات التى كانت تجتاح أقاليم الدولة الرومانية ، كلما ثارت ثائرتها ، لأى سبب من الاسباب ... وهى تعبر تعبيرا أمينا عن مشاعر البغضة والمقت والعداوة التى كانت تعتمل فى نفوس الوثنيين من نحو المسيحيين ، والتى أفضت الى صنوف من العذاب والاهوال قاساها المسيحيون فى احتمال مذهل .. ولا شىء غير الموت كان يضع حدا لألامهم ..

ولا يحسبن أحد أن الاستشهاد كان فى متناول من يريده ويشتهيه . فقد كان الموت يوافى المعترف فى ختام المطاف ، بعد سلسلة طويلة من الوان الاضطهاد الادبى والتعذيب الجسدى .

والواقع أننا لا نستطيع أن نصف ، أو نحصى أنواع ووسائل العذابات التى تعرض لها الشهداء والمعترفون المسيحيون ، والميتات التى ختموا بها حياتهم البطولية على مدى ثلاث قرون من الزمان تقريبا ، فمجرد ذكرها يسبب رعبا للانسان .... ومن شدة هولها يكاد الانسان الا يصدقها ، لولا أنها وصلت الينا عن طريق اناس موثوق بهم ، رأوها بأعينهم . وبعض هؤلاء ، شهداء مروا ببعض هذه العذابات ، أو معترفين شربوا كأسها . لقد استخدم الاباطرة والولاة والحكام والقضاة الوثنيون كل وسائل الاغراء والتهديد والتعذيب والاماته لارهاب المسيحيين ، وتحطيم روحهم المعنوية . وتفننوا كيف يخضعونهم ، فاستحدثوا وسائل للتعذيب ، ولجأوا الى طرق لم تكن متبعة للتنكيل بهم ، تتنافى مع الآداب العامة المعروفة بين البشر ، فضلا عن قوانين الدولة نفسها التى بموجبها كان يحاكم المجرمون المتهمون بشتى الجرائم .

أما قانون عقوبات الدولة فكان ينص على الآتى[1] :

(١) **حرق الانسان حيا** ، وهو أكثر الميتات رعبا . وكان يعاقب بهذه العقوبة الهاربون من الخدمة العسكرية ، أو العبيد الذين قتلوا سادتهم .

(٢) **الصلب** . وكان يعاقب به قطاع الطرق .

(٣) **الالقاء للوحوش** . وكان من يحكم عليهم بهذه العقوبة يفقدون امتيازهم وحريتهم مع صدور هذا الحكم عليهم . ويجب التحفظ عليهم للتعذيب ، حتى يدلوا بأقوال أكثر قبل تنفيذ الحكم . لكن كان محظورا على الحكام أن يلقوا المجرمين للوحوش إستجابة لصخب شعبى . ولم يكن مفروضاً أن يلقى المجرمين للوحوش لتفترسهم ، ولكن لكى يصارعونهم . وقد يموت المجرمون أثناء تعذيبهم ، لكن لا يكون التعذيب وسيلة اماتتهم .

(٤) **قطع الرأس بالسيف** ، وكانت هذه العقوبة تطبق على من يحكم عليهم بالموت من المواطنين الرومان .

(٥) **الاستعباد** فى المناجم ليعمل بها المحكوم عليهم ، بعد وضع السلاسل فى أيديهم وأرجلهم متفاوتة الثقل .

(٦) **النفى** الى جزيرة نائية موحشة وهذه العقوبة تشمل ضمنا فقدان حقوق المواطنة لكن ليس فقدان الحرية .

(٧) **أساليب الجلد المختلفة** . وكان الضرب بالعصى يعتبر أكرم من الجد بالسياط .

● وبأستعراض هذه التهم والعقوبات نجد أن الدولة لم تطبقها على المسيحيين ، بل استحدثت لهم ألوانا من التعذيب بقصد أخضاعهم بأية وسيلة وكأن المسيحية هى كبرى الجرائم ..!!

ونستطيع أن نضع العذابات التى احتملها المسيحيون تحت نوعين : أدبى ،

---

(1) Dictionary of Christian Antiquities, vol. 2, p. 1126.

وجسدى ، **ثم نضيف اليهما تجاوزا نوعا ثالثا هو الضغط العاطفى** . ونود أن نشير الى أن بعض هذه العذابات كان عاما فى كل انحاء الدولة وبعضها كان اقليميا ، كما أنها لم توجد بهذه الصورة ، منذ بداية الاضطهادات لكنها كانت تزداد شدة بتقدم الزمان ...

الاضطهاد الأدبى :

ونقصد به كل ما حل بالمسيحيين من أهانات وتحقير وتضييق منصبا على النفس بعيدا عن الجسد . واذا كان المسيحى فى عرف الرومان ــ لا حق له فى أن يوجد ــ فنستطيع اذن أن نتصور مقدار المهانة والاحتقار والاذلال التى كان يعامل بها ...

ويدخل تحت هذا القسم الفصل من الوظائف ، ومصادرة الأموال والممتلكات ، وفقد حقوق المواطنة ، وسلب البيوت والأمتعة ، وفقد حق التقاضى أمام المحاكم مالم يكن يحمل صاحب الدعوى شهادة رسمية تثبت أنه ضحى لآلهة الدولة .[٢]

ويروى لنا القديس باسيليوس الكبير قصة جوليتا Julitta وهى توضح كيف أصبح المسيحيون لا يتمتعون بحماية القانون . كانت جوليتا أرملة ثرية من قيصرية كبادوكية . وكان هناك مواطن لا أخلاق له استولى على الجزء الاكبر من ممتلكاتها ، واعتزم ابتلاع ما تبقى . لجأت جوليتا الى القضاء لينصفها منه . وحل يوم نظر القضية . وبدأ محاميها يشرح الاضرار التى أصابت موكلته على يد المدعى عليه . وفجأة قاطع المدعى عليه اجراءات المحاكمة قائلا أن القضية ليست ذات موضوع ، وأن أولئك الذين لا يعبدون الآلهة ، ولا يتعهدون بقطع كل علاقة لهم بالمسيح ، ليس لهم الحق فى أن يطلبوا انصاف القانون . وأقر القاضى وجهة النظر هذه . وجىء بالنار والبخور ، **وسئلت جوليتا ما اذا كانت تريد أن تثبت أحقيتها فى حماية القانون بتقديم البخور للآلهة** . غير أنها رفضت

(٢) أوردنا صورة هذه الشهادة فى كلامنا عن اضطهاد ديسيوس .

أن تكسب مآربها الدنيوية وتخسر نفسها . وكان ردها على كل ما أشار به الوالى ــ وكان يميل الى مساعدتها ــ « انها خادمة المسيح » وكانت النتيجة أن حكم عليها بالحرق فسارت الى عامود الاحراق مسرعة تشجع كل أمرأة تلقاها فى طريقها ، بألا تكون أقل شجاعة من الرجال . وان حواء لم تؤخذ من لحم آدم فقط بل ومن عظامه أيضا .(٣)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ان المسيحيين ــ فترة من الفترات ــ حرموا من استعمال الحمامات العامة ، ما لم يضحوا للآلهة ...

اضف الى ذلك ما تعرضت له العذارى والنساء المسيحيات عامة من معاملة شاذة عوملن بها ، والضغط من جانب الولاة والحكام عليهن ليتخلين عن طهارتهن .. بل أن الاحكام صدرت ضدهن بارتكاب الفجور قبل تنفيذ أحكام الموت . وقد أوردنا عدة أمثلة على ذلك فى موضع آخر من هذا الكتاب .

لكننا نذكر الآن على سبيل المثال الفتاة العذراء أناثاس التى جردها الوالى من كل ملابسها ، ما عدا سترة تسترها من الحقوين الى القدمين . وقادها معذبوها عارية بهذه الصورة فى كل مدينة قيصرية ، قبل أن تحرق حية فى النهاية ... وفى محاكمة الشهيدة ثيئودورة فى الاسكندرية ، ذكرها القاضى بالأمر الذى يقضى باكراه السيدات والفتيات المسيحيات ، ممن يعتنقن أفكارا كأفكارها ، بأن يخضعوا بالانتهاك البدنى .

التعذيب البدنى :

ونستطيع أن نجمل وسائل التعذيب البدنى التى استخدمت مع المعترفين والشهداء فى الآتى :

● **الحبس فى السجون وما يتبعه من سياسة التجويع والمعاملة السيئة .**
وكانت سجون تلك الازمنة تختلف تماما عن السجون المعروفة لنا الآن . كانت ضيقة مظلمة ، جوها خانق كريه الرائحة ، ترتفع بها الحرارة نتيجة تجمع أعداد

---

(3) Mason: Historic Martyrs of the Primitive Church.

ضخمة فى أماكن ضيقة(٤) .

وقد تركت لنا بربيتوا شهيدة قرطاجنة الشهيرة بخط يدها وصفا للسجن الذى كانت فيه .. وحدث أن كثيرا من المعترفين ماتوا لمجرد وجودهم فى السجن ورائحته الخانقة . وقد جاء فى وصف سجن بقرطاجنة ضمن رسالة لبعض المعتقلين زمان جالريوس « انه لمما يعجز عنه التعبير ، ما قضيناه هناك من أيام وليال . فأهوال السجن مما تقصر دونه الالفاظ »(٥) .

كان المسجونون توثق أيديهم خلفهم ، وتضبط أرجلهم فى المقطرة . وهى عبارة عن خشبتين فيهما ثقوب يقمط بهما على ساق المذنب . ولذلك فان السجين كان يتعذر عليه النوم وهو فى هذه الحالة ،، وساقيه مشدودتين بالمقطرة ومتباعدتين عن بعضهما ، كل فى اتجاه ، وذراعيه موثقين خلفه !!. وقد عذب القديس بولس بالمقطرة فى سجن فيلبى ، ومعه سيلا (أنظر أع١٦:٢٤) .

أضف الى هذا أن الحبس فى هذه السجون المتعبة ، كان يطول فى بعض الأحيان الى شهور وسنوات ... وقد ظل أحدهم ست سنوات مسجونا !! حتى أن كبريانوس أسقف قرطاجنة كتب الى بعض المعترفين فى السجن لتشجيعهم ، فقال « ان تأخر استشهادكم فى ذاته يزيد من ثقل مجدكم . وان اعترافا واحدا كاف لأن يجعل منكم قديسين . ولكنكم تكررون الاعتراف فى كل مرة تدعون لمغادرة السجن ، وتفضلون السجن على ضياع الايمان . فكل يوم يزيدكم سموا . ان من يلقى الاستشهاد فورا ، انما ينال نصرا واحدا . وأما من يظل يقاسى العذاب طويلا دون أن يغلبه الألم ، فانه ينال كل يوم اكليلا » ...

- **كانت توضع المسامير فى أحذيتهم** ويلزمون بالسير مسافات طويلة من بلد لأخرى حينما يرسلون الى وال آخر ليحاكموا أمامه .
- **الجلد بالسياط والضرب بالعصى والامشاط المدببة** . وقد أمر الحكام

---

(4) Cyp. Ep., 22 : 2.

(5) Mason: Historic Martyrs of the Primitive Church.

فى فيلبى أن يضرب بولس وسيلا بالعصى (أع١٦:٢٢) . وقال بولس عن نفسه « ثلاث مرات ضربت بالعصى » (٢كو١١:٢٥) . وبعد الجلد كان يصب مزيج الخل والملح على جراح المعذبين ...

• كان يرفع المعترفون الى أعلا ، ويعلقون من احدى أيديهم أو أرجلهم فيقاسون الأهوال المروعة ، وذلك نتيجة جذب أطرافهم ومفاصلهم . كما كان يوثق البعض الى الأعمدة دون أن يستقروا على أقدامهم . بل كان ثقل كل أجسادهم يعلق على القيود التى ربطوا بها ، والتى كانوا يحكمون ربطها جيدا .

• **وكانوا يعذبون تعذيبات مخجلة وقاسية ، على بطونهم وأعضائهم السرية** . واكتفى يوسابيوس المؤرخ بمجرد التنويه عنهما ... !! كما كانوا يوثقون النساء من أحدى القدمين ، ويرفعوهن الى أعلا ، بآلات خاصة ، وأجسامهن عارية ... وكان يعرض هذا المنظر المخجل لجميع المتفرجين .!

• نزع الأظافر أو ثقب أصابع المعترفين بأخشاب حادة تحت أظافرهن ، أو سحقها حتى تبرز العظام من خلال اللحم المهرأ .

• السحل على الأرض فى الشوارع ، اما بواسطة الدهماء ، كما فعلوا مع مار مرقس كاروز مصر ، واما بناء على حكم القاضى بربط المعترف بذيل حصان جموح ، يجمح فى الشوارع . وأحيانا كان الحكم يقضى بسحل المعترف على وجهه !! .

• **القاء المعترفين فى بحيرات جليدية** متجمدة الماء ، كما حدث مع شهداء سبسطية الأربعين بولاية أرمينيا .

• **السلخ ، أو كشط الجلد واللحم حتى يصلوا الى العظم والاحشاء** . وكانوا فى صعيد مصر يتممون هذا الأمر بحك الجلد بقطع المحار المدببة أو الفخار .

• **مرور عجلات مسننة فوق جسم المعترف** وهو نائم على الارض ، أو رور آلة تعذيب اخرى تدعى المكشطة تمزق الجسد اربا اربا .

• **نشر الجسم والعصر بالهنبازين** . وهو دولاب يتحرك نصفه الاعلى فى

اتجاه ونصفه الاسفل فى اتجاه عكسى ، وبين نصفى الدولاب عدد من سكاكين حادة . وكان الشهيد يوضع بين نصفى الدولاب الذى يدار ، فكان جسد الشهيد يتمزق اربا اربا ويسيل دمه ويتناثر لحمه .

● **صب رصاص أو قار مغلى فوق أجساد المعترفين** أو حرق أكثر أعضاء الجسم حساسية ، أو النزول فى خلقين (برميل) زيت مغلى ، أو قار مغلى كما حدث مع القديس يوحنا الحبيب الانجيلى والقديسة بوطامينا .

● **الحرق ، وكان يتدرج من الشى أولا ، الى الحرق الكامل** . كانوا يشوون الشهيد بالنار كاللحم الذى يشوى للأكل قليلا قليلا ، بقصد اطالة التعذيب وأحيانا كانوا يرفعون المعترفين من أقدامهم الى اعلا منكسة رؤوسهم الى أسفل فوق حطب يحترق بنار هادئة تحتهم ليختنقوا بالدخان المتصاعد . وكانوا أحيانا أخرى يحمون صفائح رقيقة حتى تتوهج ويضعوها على أجزاء الجسم الحساسة . وأحيانا كانوا يدحرجون المعترف فوق مسامير حديدية متوهجة . كما كانوا يضعون أسياخ حديد محمية فى الحنجرة أو الاذنين . وفى أحيان أخرى كانوا يجلسون الشهيد على كرسى من حديد ، أو يجعلونه ينام على سرير حديدى ويوقدون تحته النيران . وأحيانا كانوا يلبسونه خوذة محمية بالنار فى رأسه . وأحيانا أخرى كانوا يغطون بعض أعضاء الجسم بأقمشة كتانية مبللة بالزيت ويشعلون فيها النار ، فيذوب شحم الجسد ويتساقط كالشمع !! .

● **كانوا يربطون اليدين والرجلين بغصنين كبيرين بشجرتين متقاربتين** ، ويضم الغصنان الى بعضهما بآلة خاصة . ثم يترك الغصنان ليعودوا الى وضعهما الطبيعى ، فينشطر جسم الشهيد الى اثنين . واتبعت هذه الطريقة كثيرا فى صعيد مصر .

● **تشويه الجسد ، ببتر أعضاء معينة من الجسم أو اتلافها** ، كقطع أحد اليدين ، الرجلين أو الانف أو الأذنين ، وفقأ أحد العينين ، ثم كى تجويفها بحديد محمى بالنار ، أو كى أعصاب المفاصل حتى تشل الأعضاء !! وهؤلاء بعد تعذيبهم بهذه الكيفية ، كانوا يرسلون للعمل فى المحاجر ، أو المناجم .

● **الشنق ، وقطع الرأس** بالسيف ، أو بالفأس وكانت هذه هى أسهل الميتات .

● **الالقاء فى اليم** (نهر أو بحر) ، بعد ربط الجسد بثقل ليجذبه الى القاع .

● **الصلب** اما فى وضع معتدل أو منكس . وأحيانا كانوا يرجمون المصلوب بالحجارة أو يرشقونه بالسهام وهو على الصليب .

● **دفن الانسان حيا .**

● **الالقاء للوحوش المفترسة** ، وكان المعذبون ينخسون تلك الوحوش فى بعض الاحيان بالنيران والحديد المحمى ، حتى يزداد هياجها وأفتراسها .

● ولم تقف وحشية الوثنيين المعذبين من الاباطرة والحكام عند هذا الحد ، بل انهم **مثلوا بجثث الضحايا المسيحيين حتى بعد موتهم** .. فكانوا لا يسمحون بدفنها ، بل يتركونها فى العراء خارج المدن تنهشها الطيور الجارحة والحيوانات الضارية . بل وصل بهم الامر الى أنهم كانوا يخرجون الشهداء المدفونين من بطون القبور ، ويلقونها فى البحر حتى لا يكرمها المسيحيون ..!!

الضغط العاطفـى :

ونقصد به ما تعرض له المعترفون والشهداء من ضغط عاطفى من أقرب الناس ، الذين يرتبطون بهم بروابط حب طبيعى قوى ، نتيجة اظهار مشاعرهم وعواطفهم واقرانها بتوسلات ودموع ... هذه مما لا شك كانت تضغط على المعترفين ضغطا قاسيا ، حتى اعتبرت انها « أكثر ما فى كأس الاستشهاد من مرارة » ويقول المؤرخ المدقق دى برسنسيه De Pressensé :

« **لقد أثبتت محبة الأهل فى أكثر من حالة أنها أخطر التجارب التى تعرض للمقبوض عليهم** ولقد كان على بربيتوا Perpetua (برباتو) ، وهى امرأة ضعيفة (٢٢ سنة وكانت متزوجة حديثا) ، أن تقاوم فى آن واحدا ، توسلات ودموع والدها المسن ذى الشعر الاشيب ، وصراخ طفلها الرضيع ، وكذلك

الحكام الذى اعتبروا السعى لاسترداد المسيحيين مجدا ، فشجعوا أمثال هذه اللقاءات المؤلمة .

كان الحكام يحرمون وبشدة الاتصال بالاقرباء أو الاصدقاء . لكن اذا احسوا أن تجديد هذه الصلة الحبية يمكن أن يؤدى الى ميل المسيحى للانكار ، فانهم كانوا يسمحون بها ، بل ويشجعونها .. فكانوا يعطون حرية زائدة للاب أو الزوج الوثنى ، الذى يأتى ليستعطف المسجون بالوسائل العاطفية .. فمثلا حفظت بربيتوا بعيدا عن زوجها ، لانه كان يشاركها نفس ايمانها ، بينما سمح لوالدها — وحسبما يريد — أن يلتقى بها ويستعطفها ، حتى يزعزع ثباتها .

كان مسيحيو تلك الايام مطالبين بأن يعطوا تفسيرا حيا بليغا لكلمات السيد : ان أتى أحد الى ولا يبغض أباه وأمه وزوجته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضا ، لا يقدر أن يكون لى تلميذا : نستطيع أن نرى من خلال شدة كربهم أن الكراهية فى مفهوم هذه الوصية يأتلف مع عمق المحبة »[٦] .

لقد كان تحمل الآلام أسهل من أصوات الاحباء وهى تستعطف متألمة لكن مثل هذه التجربة كانت جزء من جهاد المعترف المقبوض عليه . ويقول أوريجينوس الذى عاش وسط الاضطهاد « يصل عذاب الاستشهاد الى أوجه حينما يقترن عنف حراس السجن ، بتوسلات الوالدين الرقيقة ، لتهز ثبات المسجونين ... وطوال المحاكمة ، اذا لم نجعل للشيطان موضعا فى قلوبنا — ذلك الذى يسعى لتدنيسنا ، بأفكار شريرة من التردد — واذا احتملنا كل تعيير واهانات أعدائنا ، وكل سخريتهم وافتراءاتهم ، وعطف التحقير من جيراننا ، الذين يصفوننا بالغباء والجنون ، وفوق كل ذلك محبة الزوجة والاولاد ، أو الارتباط بأعز كنز لنا على الارض — اذا فشلت هذه جميعها ان تجذبنا ثانية الى الحياة ومباهجها ، واذا كنا مانزال نابذين كل الخير الارضى ، فاننا بذلك نعطى أنفسنا بالتمام لله وللحياة التى منه تأتى .. وهنا نكون قد أكملنا قياس الاستشهاد »[٧] .

---

(6) De Pressensé: The Early years of Christianity, vol. 2, ch. 2.

(7) Origen: Ad Martyrum p. 82.

نفسية المسجونين على ذمة الاستشهاد

كان غرض الملوك والحكام الوثنيين من سجن المعترفين المسيحيين ، هو تحطيم شجاعتهم واضعاف روحهم المعنوية . لكنه كان دائما ــ وبصفة عامة ــ اداة تحريكها وتقويتها .

انه أمر خارج عن حدود المنطق ، وفائق لطبيعة البشر المألوفة ، أن الاحزان تنشىء أفراحا ، والضيقات تولد تعزيات ! لكنها المسيحية ، بما فيها من تأثيرات باطنية للنعمة الالهية ، بفعل الروح القدس فى المؤمنين ، تعبر عنها كلمات الرسول بولس « كمائتين وها نحن نحيا .. كحزانى ونحن دائما فرحون (٢كو٦:٩،١٠) ! فشهيد المسيحية الاول استفانوس وهو واقف أمام خصومه ، رؤى وجهه كأنه وجه ملاك (أع٦:١٥) ... وبعض شهداء قرطاجنة ، بعد أن وصفوا أهوال السجن ، قالوا « أننا لم نخش ظلام المكان فلقد أضاء السجن الموحش ضياء روحانى . ولقد كان الايمان والمحبة ، كالنهار يفيضان علينا ضوءا أبيضا »[1] .

أما أسباب ذلك فكانت :

(١) المعونة الالهية التى وعد الله بها جميع المضطهدين من أجل أسمه .

« يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى مجامع وسجون ، وتساقون أمام ملوك وولاة لاجل اسمى . فيؤول ذلك لكم شهادة . فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا . لانى أنا أعطيكم فما وحكمة ، لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها . وسوف تسلمون من الوالدين والاخوة والاقرباء والاصدقاء . ويقتلون منكم ــ وتكونون مبغضين من الجميع من أجل أسمى . ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك . بصبركم اقتنوا أنفسكم » (لو٢١:١٢ــ١٩) .

---

(1) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

(٢) تعاطف الكنيسة كلها معهم ...

فهم لم يكونوا وحدهم ، بل أن الكنيسة كلها ــ بكل أعضائها ، كانت معهم : تصلى لاجلهم صلوات حارة ، كما حدث لما كان بطرس مسجونا ، ففتح ملاك الرب أبواب السجن وأخرجه منه (أع١٢) ... كما كانت الكنيسة تهتم باحتياجات هؤلاء المعترفين والشهداء المادية ، واحتياجات أسرهم[٢] .

(٣) احساس هؤلاء المعترفين بشرف تألمهم ، من أجل انبل الاسباب ..

فقد أدركوا يقينا أن ما يحتملونه من ضيقات وآلام وأحزان انما هى شركة آلام المخلص ، التى أشار اليها الرسول بقوله « لاعرفه وقوة قيامته ، **وشركة آلامه** ، متشبها بموته » (فى٣ :١٠) ... وأنها تكميل نقائص شدائد المسيح فى أجسادهم (كو١ :٢٤) .

(٤) التطلع الى المجد العظيم الذى ينتظرهم .

والفرح الموعود به ، حينما يمسح الله كل دمعة من عيونهم (رؤ٢١ :٤) .

(٥) الرؤى المجيدة[٣] التى كانت تعلن لهم ، والتى كان لها أعظم الاثر فى تشجيعهم .

فبينما كان اليهود يرجمون استفانوس ، كان هو يشخص الى السماء ، وظل نظره مثبتا فيها ــ لان قلبه وفكره كانا هناك أيضا ــ فأبصر السموات قد انفتحت ، ورأى مجد الله ويسوع قائما عن يمين الله (أع٧ :٥٥،٥٦) .

● ومما لا شك فيه أن الرؤى السماوية والاحلام التى كانت تعلن للمعترفين كانت تشددهم وتنسيهم آلالمهم ، التى تفوق الوصف ، وتعجز طاقة البشر عن احتمالها . وسير الشهداء حافلة بكثير من قصص الاحلام والرؤى . فكثيرا ما كان الشهداء يرون السيد المسيح وملائكته والقديسين يفتقدونهم ،

---

(٢) تناولنا هذا الموضوع فى موضع آخر من الكتاب .

(3) De Pressensé, vol. 2, pp. 83, 84.

ويشجعونهم ، ويقوونهم . **وكمثل نروى الرؤى التى رأتها بربيتوا شهيدة قرطاجنة الشهيرة .**

● رأت الشهيدة بربيتوا فى حلم ، سلما كبيرا ذهبيا يصل الارض بالسماء . كان ضيقا بحيث لا يتسع الا لشخص واحد . وعلى جانبيه آلات التعذيب ، ومن أسفل تنين مرعب ، عند الدرجات الاولى لهذا السلم ، يتحفز لاقتناص من يحاول الصعود للسماء . وفى الحلم رفعت بربيتوا رأسها ، فرأت معلمها ساتوروس Saturus وهو يصعد . وحينما وصل الى نهاية السلم من أعلى قال لها« برباتيوا ... انى فى انتظارك . ولكن احذرى لئلا يلتهمك التنين » . حينئذ قالت برباتيوا « باسم يسوع المسيح سأصعد ، ولن أخاف التنين » . وبجرأة وضعت رجلها على التنين وكأنه الدرجة الاولى من درجات السلم ، ثم ابتدأت تصعد مسرعة .. وأخيرا وصلت . وهناك رأت حديقة فسيحة يقف فى وسطها رجل ممشوق القامة ، فى رداء أبيض ناصع ، وحوله وقف ألوف يرتدون ثيابا بيضاء . هناك وجدت الراعى الصالح فى انتظارها ممتلئا رقة نحو خرافه ، ثم رفع ذلك السيد رأسه ونظر اليها وقالت لها « مرحبا بطفلتى » . ثم ناداها وأعطاها كعكة ، أخذتها منه وأكلتها ، وحينئذ سمعت أصوات الذين وقفوا حولها يرددون كلمة « آمين » .. ثم استيقظت برباتيوا ، وكانت تشعر بحلاوة تملأ حلقها .

● **وفى مساء اليوم السابق لموعد تنفيذ الحكم على برباتيوا ، رأت حلما آخر :**

رأت بومبونيوس Pomponius الشماس ، وقد أتى الى سجنها وأخذ يدق بابه بعنف . فذهبت اليه وفتحت له ، فرأته مرتديا ملابس بيضاء ، فقال لها « برباتيوا ، اننا فى انتظارك فتعالى » وخرجت برباتيوا وراء بومبونيوس حتى وصلت الى مدرج واسع جدا حيث علمت أنه هناك ستتم المعركة الفاصلة ثم رأت رجلا مقبلا من بعيد ، ووجهه مخيفا ، وكان يصحب معه رجالاً آخرين ليحاربوها . ثم أتى رجل آخر وصاح بصوت جهورى « ان استطاع هذا المصرى أن يغلبها فليقتلها بسيفه ، أما ان استطاعت هى أن تقتله فلتتقدم لتأخذ

سعف النخل » . اقترب كل منهما نحو الآخر . وكان المصرى يحاول أن يهجم على قدمى برباتيوا ، لكنها ضربته بمهماز كان فى يدها . ثم ارتفعت هى فى الهواء ، وأخذت تسدد للرجل الضربات واللكمات . ثم أمسكته من رأسه وأوقعته على وجهه ثم داست عليه بقدميها . وحينئذ توجهت الى رئيس المحفل حيث أخذت منه سعف النخل فقبلها وقال لها : سلام لك يابنيتى . ثم خرجت من بوابة كبيرة » . وبعد أن استيقظت برباتيوا أخذت تتأمل هذا الحلم وأيقنت أن حربها ليست مع وحوش فقط ، بل مع الشيطان الذى كان يرمز اليه ذلك المصرى وأيقنت أن سعف النخل رمز الظفر .

● **وشهيد آخر أبصر أثناء نومه فى السجن** وثنيا مقبلا عليه معلنا أنه ان لم ينكر الايمان فسيهلك لا محالة . فأجابه الشهيد « نحن على استعداد لتحمل كل شيء . وكلما زاد الالم ، زاد النصر المجيد » وبعد أن استيقظ من نومه شعر بقوته وقد تجددت بتقوية رجائه العتيد .

● **وكثيرا ما كان المسجونون يشاهدون فى أحلامهم رعاة الكنيسة الكبار الذين استشهدوا ، يظهرون لهم فى رؤى يشجعونهم** ، كما كانوا يبصرون اخوتهم الذين سبقوهم فى الشهادة يزورونهم . لقد رأت برباتيوا الشماس بومبونيوس الذى كان قد استشهد منذ وقت قصير يقترب من باب زنزانتها فى السجن ويقول لها « تعالى ، فنحن فى انتظارك » ... ثم قالت برباتيوا وهى تروى حلمها « أخذنى من يدى وبدأنا نصعد معا مسالك منحدرة وملتوية » .

● **وساتوروس معلم برباتيوا وشقيقها ، رأى فى حلم** ، أربعة ملائكة قد حملته ، ووضعوا عليه ثوبا أبيض ، وأحضروه بين أصدقائه الشهداء الذين عرفهم وهو على الأرض ... يقول ساتوروس « أبصرنا نورا عظيما وسمعنا صوتا يسبح قائلا قدوس قدوس قدوس .. ولما أحضرنا أمام عرش الرب يسوع ، جمعنا الى حضنه » .. وفى هذا الحلم رأى ساتوروس برباتيوا فقال لها « ها أنت قد نلت أمنيتك » . فقالت له « شكرا لله . لقد كنت سعيدة وأنا فى الجسد . ولكنى الآن أسعد حالا » .

ونستطيع أن نصور كيف أن أمثال هذه الرؤى . تستطيع أن تقوى شجاعة المسيحيين . وهكذا أصبح الجب المظلم ــ السجن ــ فى نظر المعترفين بابا للسماء !

هكذا كان المعترفون فى سجونهم تفيض نفوسهم سلاما ، ووجوههم بشرا وفرحا . كانوا يتعجلون موعد محاكمتهم ـ لالأنهم يتوقعون الافراج عنهم ، بل لانهم كانوا يشتهون تلك الوقفة أمام الحاكم ، وكأنهم يقفون مع الرب يسوع أمام بيلاطس الوالى الرومانى .. ينتظرون النطق بالحكم لاعدامهم .. شاعرين أن المسيح حبيبهم والههم فى أنتظارهم ، مع محفل من الملائكة والشهداء . لانهم كانوا يعلمون تمام العلم أنهم ليسوا من العالم ، بل هم رعية مع القديسين وأهل بيت الله (أف٢:١٩) .

محاكمات الشهداء وأحاديثهم الخالدة

اجراءات قانونية رومانية[1] :

● طبقا للقانون الرومانى ، كانت هناك صيغة مألوفة يحررها المدعون .

● كان الحاكم Proconsul يقرر ما اذا كان المتهم يرسل للسجن أو يسلم لجندى ، أو يفرج عنه بكفالة وضمان ، أو يطلق سراحه ...

● المتهمون الذين يعترفون بالاتهامات الموجهة ضدهم ، كانوا يقيدون بالسلاسل الى أن يفصل فى قضيتهم .

● كانت دوائر الشرطة ترسل المسجونين الى السجون ومعهم مختصر بالاتهامات الموجهة ضدهم .

● كان محظورا على المحاكم العليا أن تصدر قرار ادانة دون أن تسمع بنفسها من المتهم .

● كان حفظة السجن دائما يرتشون ، حتى يتركوا المسجونين غير مقيدين بالسلاسل ، أو يتيحوا لهم فرصة للانتحار . أما حفظة السجن الذين يهرب مسجونهم نتيجة اهمال متعمد فكانوا يعرضون أنفسهم لعقوبة الموت .

● كان محظورا ان يحكم على أحد غيابيا . ولا تصادر ممتلكات المتهم الا بعد ثبوت ادانته .

● كانت هناك حرية فى المرافعة حتى للعبيد ، الذين يدافعون عن أنفسهم ، اذا لم يدافع عنهم سادتهم أو وكلاء عنهم .

---

(1) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 1125.

لوحـة بديعـة :

ان محاكمات الشهداء أمام المحاكم الرومانية بقضاتها الوثنيين ، لهى من المشاهد العجيبة التى تثير فى النفس احاسيس ومشاعر مختلفة أنها لوحة فريدة سجلتها يد التاريخ ، وتجمع متناقضات وصورا صارخة متضاربة ، داخل اطار واحد : أباطرة ، وحكام ، وقضاة بجبروتهم وظلمهم وغطرستهم ، ودهماء بصياحهم وضجيجهم وعنفهم ، يطاردون خصوما لهم فى العقيدة — المسيحيين الابرياء ، الضعفاء الاقوياء ، المسالمين العنيدين ، الذين أذلوا قضاتهم ، بعد أن فشلوا فى اخضاعهم أو ثنيهم عن عزمهم . وقد اتموا كل ذلك فى صبر عجيب ، واحتمال مذهل ، ووداعة كاملة ، وايمان لايلين ... صورة معبرة ناطقة للانجيل المكتوب ، وقد تحولت أقواله الى أفعال وفضائله النظرية الى ممارسات عملية ، ومواعيد المسيح المبارك لابنائه الى واقع منظور ملموس .

فى ساحة القضاء :

ما أن يدخل المسيحيون المسجونون ساحة القضاء ، حتى تغص بالدهماء من الوثنيين المتعصبين ، مستعدين لكتم أصوات المسيحيين بصياحهم وضجيجهم مطالبين بموتهم . ووسط هذه الجماهير الغاصة كانت تلتقى أبصار هؤلاء المعترفين باقربائهم وأصدقائهم الذين فشلوا فى ثنيهم عن عزمهم ، ولذلك فقد تحولوا من أصدقاء الى أعداء .. لكن فى أماكن متناثرة من الساحة كانت تلتقى أنظارهم بوجوه طيبة تعطيهم تشجيعا وسط استنكار الجمع الصاخب ...

اجراءات ظالمة :

ويبدأ التحقيق . وكان يدار بطريقة منافية للعدل . يقول العلامة والمدافع المسيحى ترتليانوس — وكان يعمل محاميا قبل اعتناقه المسيحية — « اذا كنا معشر المسيحيين أشر الناس جميعا ، فلماذا تعاملوننا بصورة مختلفة تماما عن زملائنا المجرمين الآخرين ، بينما يقضى العدل أن نفس الجريمة تستوجب نفس المعاملة ...

الحق أنه ضد القانون أن يدان انسان لم يسمع ، وبغير دفاع . **المسيحيون**

وحدهم هم المحظور عليهم أن يتكلموا لتبرئة ذواتهم ، دفاعا عن الحق حتى ما يعاونوا القاضى فى اصدار حكم عادل . كل ما يعنى به ، هو تحقيق رغبات تنطوى على الكراهية ألا وهى ، الإعتراف بالاسم (مسيحى) ، لا فحص التهمة ... أنتهم لا تتعاملون معنا بالطريقة المتبعة فى الاجراءات القضائية مع بقية المذنبين . فى حالة المتهمين الاخرين الذين ينكرون ، تلجأون الى التعذيب حتى ما يعترفوا ، أما المسيحيون فهم وحدهم الذين يعذبون حتى ماينكروا »[٢] .

تهمة اسم فقط :

كان أول سؤال يوجه للمقبوض عليه بتهمة المسيحية « هل أنت مسيحى ؟ » فاذا أجاب المتهم بالايجاب فلا حاجة بعد الى مزيد من التحقيقات .. لقد ثبتت الجريمة باعتراف المتهم ، ويتبقى الحكم بنوع العقاب .. **كان اسم « مسيحى » وحده يحمل فى طياته ــ فى نظر الدولة ورعاياها ــ أبشع الجرائم** ، وهو كاف أن ينزل بمن يعترف به شبهات ممقوته خاصة بالفجور ، وتدنيس المقدسات والعصيان . والتهمة ضد المسيحيين لا تعلن رسميا أبدا .. انها مجرد شكوك غير ثابتة ، يعبر عنها بصورة عنيفة ، الدهماء المتعصبون المحتشدون فى قاعة المحاكمة ... ولقد ندد ترتليانوس فى دفاعه عن المسيحية بتصرف الدولة حيال المسيحيين ، وفى رأيه أن الأمر لا يعدو أن يكون « معركة اسم »[٣] .

والمتهمون الذين يتمسكون بالايمان المسيحى ، لم يكن لديهم سوى رد واحد يجيبون به ــ ظل يسمع قرابة ثلاثة قرون فى ساحات القضاء الامبراطورية **أما هذا الرد فهو « أنا مسيحى Christianus Sum ... أما صيحة الشعب الهائج التى كانت تعقب هذا الاعتراف فهى « الموت للمسيحى »** .

كان المتهم وهو فى غاية الهدوء ، وبوجه تحيطه هالة نورانية ــ كما شوهد وجه استفانوس يضىء كوجه ملاك ــ يجيب بأجابة واحدة على كل سائليه « أنا مسيحى » كان لا يتكلم كثيرا عن وضعه فى العالم ، لان الامور الارضية

---

(2) Tertullian : Apol. ch. 2.

(3) Tertullian: Apol., ch. 2.

كانت تافهة القيمة فى نظره . وحتى لو أراد القاضى أن يعرف ما اذا كان عبدا أو حرا ــ وهو موضوع كان على جانب كبير من الاهمية فى تلك الازمنة ــ فانه ما كان يهتم بالاجابة .

أمثلة :

● فالشماس سانكتوس من فينا الذى استشهد فى زمان مرقس أوريليوس ظل ثابتا أمام جميع من وقف أمامهم ، **وكان لا يجيب على أى سؤال وجه اليه من أى نوع ، الا بهذه الكلمات يقولها بالاتينية « أنا مسيحى » ... ولا يزيد عليها شيئا**(٤) .

● فى اقليم كيليكية سأل الوالى أحد المعترفين ويدعى تراكوس Tarachus .

+ ما أسمك ؟

+ أنا مسيحى .

+ كف عن هذه اللغة النجسة واذكر اسمك .

+ أنا مسيحى .

+ (الوالى للجندى) اضربه على فمه وقل له : لا تقدم اجابات ملتوية .

+ أنا أذكر لك الاسم الذى أحمله فى نفسى . لكن ان سألت عن اسمى المتداول بين الناس ، فان والدى أسميانى تراكوس(٥) .

● وسأل القاضى شهيدا يدعى مكسيموس :

+ « **ما هى حالتك ؟** »

+ **أجاب « أنا انسان حر ولكن عبد للمسيح »**(٥) .

● وسأل القاضى عذراء الاسكندرية المشهورة ثيئودورة :

+ ما هى مكانتك ؟

---

(٤) يوسابيوس ٥ : ١

(5) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

+ أنا مسيحية .

+ سيدة حرة أم أمة ؟

+ لقد قلت لك أنا مسيحية ، والمسيح جاء وحررنى ، وبحسب مقاييس العالم ولدت حرة[٥] .

أمــام القضــاة :

بعد أن يسمع القاضى اعتراف المسيحى بمسيحيته ، ودون أن يسمح له بأية فرصة للدفاع الشرعى عن نفسه وعن هذه الديانة المحرمة ، كان يبدأ فى ارهابه بأن يوضح له العذاب والموت اللذين ينتظرانه ، ان هو استمر على ذلك . **وأحيانا كان يحاول الحكام والقضاة أن يشوهوا صورة المسيحية أمام المعترفين ، للتأثير عليهم .**

فمثلا قال الحاكم لشهيد يدعى ابيبوديوس Epipodius « نحن نعبد الآلهة غير المائتة والتى تعبد فى العالم كله ، ويكرمها أنبل الامراء . نحن نعبد الآلهة بفرح ، بأعياد وألعاب ، **وأنتم تسقطون قبالة رجل مصلوب يقاوم كل المسرات** » ، كان الحاكم يضرب على الوتر الحساس ، لعله يهز ايمان هذا الشهيد ..

لكن بالنسبة للانسان المسيحى ، فكان يعرف أنه يحمل صليبا ، مشاركا الرب فى آلامه حاصلا على فرح باطنى لا ينطق به ، لا يمكن أن تقدمه الحياة الوثنية .. وحالما يتأكد القاضى من ثبات المتهم كان ينطق بحكم الادانة .

ومنذ منتصف القرن الثانى تقريبا ، بدأوا يعتبرون العقوبة وحدها غير كافيه . فأصدر الامبراطور أوامره بضرورة سعى الحكام بوسائل التعذيب المختلفة ، لارغام المسيحيين على الانكار . واختبرت هذه الطريقة فى اضطهاد ليون سنة ١٧٧ ، فى عهد مرقس أوريليوس . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا ، أصبحت جزءا ثابتا فى اجراءات المحاكمة ... وهكذا فان جميع وسائل القسوة والقمع التى قصد بها تصفية العناصر المسيحية ، أصبحت رسمية بقوة القانون .

والآن نورد أمثلة لمحاكمات بعض الشهداء والشهيدات ومنها نقف على الروح الذى كان يدفعهم للشهادة . لقد كانوا يعيشون فى جسد مثلنا ، لكن أفكارهم كانت تحلق فى السماويات . انهم ما كانوا يفتعلون هذه الاجابات ، لكنها كانت تصدر عن قلب عشق الرب وهام فى حبه ...

أغناطيوس أسقف أنطاكية :

سمع عنه الامبراطور تراجان وعن حماسه للمسيحية ، وجهوده فى اقبال كثيرين للايمان المسيحى ، ورفضه تقديم العبادة لآلهة الدولة ، وتشجيع الآخرين على ذلك . ولما وصل الى أنطاكية أستدعاه . فلما مثل أمامه قال له :

ــ من أنت أيها الشقى الشرير حتى تعصى أوامرئ وتحرض الآخرين على ذلك أيضا فتجعلهم يهلكون ؟

ــ لا يكون من يلقب بحامل (ثيئوفوروس) شريرا ، لأن الارواح الشريرة تبتعد عن خدام الله . ولكن ان كنت فى نظر الأرواح الشريرة أننى شرير . فذلك لانى عدو لهم ، وهذا أوافقك عليه . لانه طالما معى السيد المسيح ملك السماء فسأبيد كل مكائدهم .

ــ وماذا تقصد بحامل الله (ثيئوفوروس) ؟

ــ أن يكون السيد المسيح فى قلبه .

ــ أتظن أننا لا نحمل الآلهة هكذا فى قلوبنا ، هؤلاء الذين يعضدوننا فى الحروب وينصروننا على أعدائنا ؟

ــ **ألا ليت شعرى كيف يمكن لتلك التماثيل العديمة الحس أن تكون آلهة ؟!** فأعلم انه لا اله الا الله ، الذى خلق السماء والأرض ، والبحر وكل ما فيها ، وابنه الوحيد يسوع المسيح الذى تجسد وصار انسانا لكى يخلص البشر ، الذى سأتمتع بملكوته . فلو كنت تؤمن به لكنت فى هذا الملك سعيدا .

ــ هل تقصد به ذاك الذى صلب فى عهد بيلاطس البنطى ؟

ــ نعم ، اننى أقصد به ذاك الذى حمل خطاياى بكل أنواعها معه على

الصليب . والذى أعطى لمن يحملونه فى قلوبهم سلطانا ، أن يدوسوا تحت أقدامهم كل خداعات وافتراءات الشيطان .

ــ اذن هل تحمل (يسوع) المصلوب فى داخلك ؟

ــ بالحقيقة كذلك ، لانه مكتوب « سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم الها وهم يكونون لى شعبا » .

دع الآن هذا الكلام ، وافعل ما يسرنى ويفيدك . قدم ذبيحة لآلهتى فتظفر منى بالالتفات ، ويكون لك مكانة عندى ، وأجعلك أعظم أحبار هذه الآلهة .

ــ زادك الله غنى . تكرم بهذه المنح على من يعتبرونها ويرغبون فيها . فأنا كاهن سيدى يسوع المسيح ، وله أقدم الذبيحة كل يوم ، وأرغب فى أن أقدم حياتى ذبيحة ، كما قدم حياته ذبيحة حبا بى .

حينئذ أمر الامبراطور أن يرحل الى روما مقيدا ليقدم هناك طعاما للوحوش الضارية .

أبـولـونيـوس[٦] :

ازدهرت المسيحية بين الطبقات الراقية فى روما ، فى أواخر حكم مرقس أوريليوس ، وكان بين علمائها البارزين عالم اسمه ابولونيوس Apollonius وكان عضوا بمجلس الشيوخ الرومانى . وكان معروفا فى الاوساط المسيحية بثقافته الفلسفية . وقد أتهم لدى السلطات فى أوائل حكم كومودس Commodus (١٨٠ــ١٩٢) ، بعد أن أبلغ عنه أحد عبيده أنه مسيحى .

وقد عثر أخيرا على دفاع ابولونيوس واستشهاده مكتوبا باللغتين اليونانية والارمنية . وجاء به أنه حين سئل أمام المحكمة العليا المشكلة من أقرانه من الشيوخ ، لماذا لا يقدم القربان لأبولو ولتمثال الامبراطور ، أجاب بأن المسيحيين فى صلاتهم لالههم يقدمون ذبيحة نقية غير دموية . وقد أوضح حمق عبادة

---

(6) Mason: The Historic Martyrs of the primitive Church.

يوسابيوس ٥ : ٢١ .

الاوثان وكيف أن المصريين عبدوا البصلة والسمكة والحمامة والتمساح ، وكيف أن الاثينيين عبدوا رأس عجل نحاس ، مما دعا سقراط الى احتقار ديانتهم . وبدا للوالى أن هذا الاستدلال يحوم حول الموضوع دون أن يتناوله ، فقال لأبولونيوس :

ــ لقد أستمعنا فلسفة عجيبة ، ونسيت أن مجلس الشيوخ يحرم المسيحية .

ــ هذا صحيح ، ولكن هيهات أن ترقى أحكام مجلس الشيوخ الى أوامر الله ... ان الموت مصير الجميع ولقد درب المسيحيون أنفسهم على الموت كل يوم . وليس موتهم فى سبيل الاله الحقيقى بأسوأ من موتهم بمرض من الأمراض .

ــ هل أنت حريص على الموت ؟

ــ أننى أنعم بالحياة ولكن ليس الى الحد ، الذى يجعلنى أخشى الموت . لا شيء أفضل من الحياة الا الحياة الابدية ، التى تهيىء خلودا للنفس التى أحسنت الحياة على الأرض .

ثم طلب اليه القاضى أن يوضح ما يقول . وهنا ألقى أبولونيوس خطابا مستفيضا ، تحدث فيه عن مبادىء المسيحية ، وموت المسيح عنا ، وعن الدينونة بعد الموت . وبعد أن أنصت القاضى لهذا الخطاب ، قال له :

ــ ظننت أنك ستغير رأيك وتعبد الاوثان مثلنا .

ــ وأنا يا سيدى كنت آمل أن تفتح بصيرتك فتعبد الله الخالق .

فى النهاية قال له القاضى :

ــ وددت لو أستطيع اخلاء سبيلك ، غير أن أمر الامبراطور يحول دون ذلك ، ومع ذلك سأترفق بك فى موتك .

وسيق أبولونيوس لتبتر رأسه بالسيف ، وكان ذلك سنة ١٨٦م .

كبريانوس أسقف قرطاجنة :

فى أثناء حكم فالريان ، وفى أغسطس سنة ٢٥٧ ، جىء بكبريانوس أمام الوالى الرومانى على افريقيا ، تنفيذا لقرار الامبراطور .. ولما سأله عما اذا كان يصر على عدم اتباع ديانة روما ، أجاب :

ـــ أنا مسيحى ، وأسقف . لا أعرف آلهة غير الله الواحد ، خالق السماء والأرض وكل ما فيها . هذا الأله ، نحن المسيحيون ، نعبده نهارا وليلا ، ونتوسل اليه من أجلنا ، ومن أجل البشر جميعا ، ومن أجل الاباطرة أنفسهم .

ولم يكن لديه شىء آخر يقوله ، فأراد الوالى أن يتحقق الامر ثانية ، فسمع الجواب الآتى :

ـــ من يعرف الله لا يرجع عما عزم عليه .

كان على الوالى ـــ بناء على هذا الاعتراف ـــ أن يأمر بنفيه . ولكنه أراد قبل أن ينطق بالحكم أن يعرف منه أسماء الكهنة الذين يعاونونه .. فقال الوالى :

ـــ لقد حرمتم فى شرائعكم الوشاية والنميمة عن حكمة .

ثم تبادلا بعض كلمات . وكانت كلمة كبريانوس الاخيرة لممثل الدولة الرومانية :

تمم ما أمرت به .

فنفذ حكم النفى فى الاسقف المعترف .

وفى سنة ٢٥٨ صدرت أوامر الامبراطور باعدام جميع رجال الاكليروس من أساقفة وكهنة وشمامسة فورا . ولهذا السبب استدعى كبريانوس من منفاه الى قرطاجنة بعد سنة كاملة وتقدم أصدقاؤه ـــ وكان كثير منهم من الوثنيين ذوى المكانة ـــ يحثونه على تفادى الاخطار ، وعرضوا عليه أماكن يختفى فيها . ولكنه أبى ، وجىء به الى الوالى جالريوس مكسيموس ، وجرت المحاكمة على النحو الآتى :

ـــ أأنت تاسكيوس كبريانوس ؟
ـــ أنا هو .
ـــ أنت بابا هؤلاء الناس الفاسدى المذهب ؟
ـــ أنا هو .
ـــ ان قداسة الامبراطور يأمرك بأن تضحى للآلهة .
ـــ لن أفعل أبدا .
ـــ فكر جيدا .
ـــ افعل ما أمرت به . لا فائدة من التفكير فى مثل هذا الأمر .

وازاء اصراره ، وجه الوالى اليه الحكم التالى :

ـــ « لقد عشت حياة طويلة مليئة بانتهاك الحرمات ، واشتركت فى مؤامرة اجرامية مع عدد كبير من الناس . ونصبت نفسك عدوا لآلهة الرومان وخالفت الشرائع المقدسة . وأخفق القياصرة الاتقياء فى ردك عن غيك لهذا ، ولما اتضح من انك ذو وضع قيادى فى جرائم بشعة جدا ، فسنجعل من شخصك عبرة لمن أغويتهم . وسيكون اهدار دمك مبعثا لاستقرار النظام » .

ولم يبق بعد هذه المقدمة الا النطق بالحكم رسميا ، فتلاه القاضى كما كان قد كتبه : « قضت المحكمة بأن يموت تاسكيوس كبريانوس بحد السيف » .

وما كاد يقرأ الحكم حتى دوى صوت المسيحيين الحاضرين « فلنعدم معه » . أما كبريانوس فحال سماع هذا الحكم قال « الشكر لله » **ثم التفت الى السياف الذى سيقطع رأسه وألقى اليه خمسا وعشرين قطعة من الفضة .**

وسار موكب الاسقف الى مكان الاعدام ، فألقى كبريانوس رداءه وركع ، وصلى . وتقدم بعض أبنائه من رعيته وفرشوا تحته ثيابهم لتلتقط دماءه . ثم عصب عينيه وأحنى رأسه للسيف ، وكان ذلك فى ١٤ سبتمبر سنة ٢٥٨ .

فيلياس Phileas أسقف تمى[٧] :

كان سليل أسرة عريقة فى المجد والجاه والثروة متفقها فى العلوم الدينية والفلسفية . آمن بالمسيحية فاعتنقها بفرح . ونظرا لمكانته عينته الدولة واليا على منطقته ، وقبل هو هذه المهمة لانه وجد فيها فرصة لخدمة شعبه . **أقيم أسقفا على نفس الايبارشية فتحول من خدمة الدولة ، الى خدمة الكنيسة .**

فى أثناء الاضطهاد الذى بدأه ديوكلتيانوس ، وأكمله جالريوس ومكسيمينوس وأعوانه ، سافر فيلياس الى الاسكندرية للتشاور مع البابا بطرس خاتم الشهداء فيما ترتب على الاضطهاد . ومن هناك بعث برسالة شيقة الى شعبه — بقى الجزء الاكبر منها — وذلك قبيل استشهاده بوقت قصير .

وقد وصف فيها كيف كان صحبه من الشهداء يقوون أنفسهم بالتأمل فى الأمثلة والوعود الواردة فى الانجيل خاصة مثال الرب يسوع . ثم يقول :

« فالشهداء اذ حملوا المسيح داخلهم اشتهوا بشغف أفضل العطايا . واحتملوا كل الضيقات والاهانات — ليس مرة واحدة بل مرارا . وعلى الرغم من أن الحراس تباروا فيما بينهم لارهابهم بالأفعال كما بالكلمات ، فانهم لم يتخلوا عن معتقدهم . لان محبتهم الكاملة طرحت عنهم الخوف » .

ولما مثل فيلياس أمام كلسيانوس Calcianus ، استنكر أن يعامل الأسقف العالم معاملة المجرمين العاديين . ولعله ليس بين المحاكمات المسجلة ما يدانى محاكمة فيلياس ، من حيث كونها شيقة الى حد بعيد .

حاول الوالى معه بكل الطرق لكى يضحى للآلهة ففشل ... حاول أن يسترضيه ، أو يؤثر عليه بأن يثير فيه محبته لشعبه ، فقال انهم ان فقدوه فقدوا شجاعتهم وايمانهم ، بل أن بعضهم سيفقد عمله الذى يتعيش منه ... لكنه مع كل ذلك ظل ثابتا **مؤكدا للوالى أن موته سيزيد الشعب شجاعة وتماسكا .**

---

(٧) يوسابيوس ٨ : ٩ ، ١٠

Mason: The Historic martyrs of the Primitive Church.

Poul Chenau d'Orbieus: Lés Saints d'Egypte, Tome 1, pp. 271-278.

وقد جرت المناقشة بين الوالى والاسقف فيلياس على النحو الآتى :

ـــ الوالى : ايمكنك أن تكون متعقلا الآن ؟

ـــ فيلياس : انى دائما متعقل وأتصرف بحكمة .

ـــ ضح للآلهة .

ـــ لا .

ـــ ولا لم ؟

ـــ لأنه لا يمكننى ان اقدم ذبيحة الا للاله الحقيقى .

ـــ اذن قرب لالهك .

ـــ لا ، لأن الاله الحقيقى لا يطلب ذبائح دموية .

ـــ أى ذبائح اذن يطلب الاله الحقيقى ؟

ـــ الله يطلب قلبا نقيا ، وعواطف مخلصة ، وكلاما صادقا .

ـــ قدم ذبيحة .

ـــ لا أعرف تقديم ذبائح للآلهة الكاذبة ، لكن للاله الحقيقى وحده .

ـــ ألم يقدم بولس ذبائح ؟

ـــ قطعا لا .

ـــ ألم يقدم موسى ذبائح ؟

ـــ نعم ، لأن اليهود يفعلون ذلك ، لكن فى أورشليم فقط .

ـــ كفى ايضاحات . قدم ذبيحة .

ـــ لا أدنس روحى .

ـــ أنها اللحظة التى تهتم فيها بروحك !

ـــ قطعا ، بروحى وجسدى .

ـــ بأى جسد ؟

ـــ بجسدى .

ـــ أتظن أن جسدك سيقوم بعد أن يقطع الى أشلاء ؟

ـــ بكل تأكيد .

ـــ ألم ينكر بولس المسيح ؟

ـــ قطعا ، لا .

ــ أقسم لى بذلك .

ــ لا فائدة من القسم . يكفى انى أؤكد .

ــ ألم يكن بولس مضطهدا للمسيحية ؟

ــ ياله من سؤال !

ــ ألم يكن سوريا ، وألم يتجادل بالسريانية ؟

ــ كان بولس يهوديا ، ويتناقش باليونانية ، وذو عقل نادر .

ــ هل تدعى أنه أفضل من أفلاطون ؟

ــ ليس أفلاطون وحده ، بل جميع الفلاسفة الآخرين . وانى على استعداد ــ ان سمحت لى ــ أن أعرفك بكل تعاليمه .

ــ انى أعفيك من ذلك . قرب ذبيحة .

ــ لا . لا .

ــ ربما ضميرك يمنعك .

ــ أنت قلت .

وكان كلسيانوس فى قرارة نفسه يريد أن ينقذ فيلياس . لذا أمر المحامين أن يساعدوا فيلياس ذا الشخصية الكبيرة ، أملا فى أن يجدوه فى لحظة ضعف ، فيقرب ذبيحة ويطلق سراحه . لكن اجابات فيلياس مع الوالى قد خيبت أملهم . فقالوا لفيلياس :

(المحامون) : لماذا تقاوم الوالى بهذه الصورة ؟

(فيلياس) : لم أفعل أكثر من الرد على أسئلته .

ــ ان جميع هذه المناقشات لا تجدى . هيا قدم ذبيحة للآلهة .

ــ لا . سوف لا أقدم ذبيحة أبدا . خلاص نفسى قبل كل شىء .

ــ هل كان المسيح الها ؟

ــ نعم ، هو الله .

ــ كيف تقطع بذلك ؟

ـ بسبب أعماله . فقد رد البصر للعميان ، والسمع للصم ، وشفى البرص ، وأعاد الحياة للموتى . وقد قام هو نفسه بعد الموت ، وأجرى آيات كثيرة .

ـ حسنا . لكن الهك هذا ألم يعلق على الصليب للموت ؟

ـ بالضبط ، لكنه فعل ذلك بارادته ليخلصنا .

الوالى : يا فيلياس ، لاحظ اكرامى لك ، وقدر المعاملة الرقيقة التى استخدمتها معك . كنت أستطيع أن أظهرك كمجرم أمام محكمة مدينتك ، وأسلمك الى اهانات السوقة . لكنى حفظا لمكانتك فقط ، لم أفعل ذلك .

فيلياس : شكرا لمقاصدك الطيبة ، ومع هذا فان ظهورى فى مدينتى (تمى) يسبب لى فرحا كبيرا ونعمة ، أرجو ألا تحرمنى منها .

ـ ماذا تقول ، وماذا تريد ؟

ـ **نفذ ما لديك من أوامر** .

ـ أتريد أن تموت اذن بدون أسباب ؟

ـ كيف بدون أسباب ؟ انه من أجل الله والحق .

ـ أكان بولس الها ؟ .

ـ من قال ذلك ؟

ـ ماذا كان اذن ؟

ـ كان رجلا مثلنا ، لكنه كان ممتلئا من الروح القدس ، وهكذا صنع آيات كثيرة .

ـ يا فيلياس إنى أشفق عليك كثيرا ، وأود أن أنقذك من أجل أخيك وأسرتك .

ـ لا . تمم واجبك .

ـ أسمع . لو كنت انسانا بسيطا ، فقيرا وبائسا ، ما كنت أظهرت لك مثل هذا التسامح ، لكنى أعرف حياتك الخاصة ، وحالك وثروتك ، ولا أنكر أنك وحدك يمكنك أن تعول مدينة بأكملها . ومن أجل هذا أريد بشدة أن أنقذك . قرب للآلهة .

ــ انه برفضى الذبح للآلهة ، أنقذ نفسى .

ورغبة فى انقاذه ــ وعلى الرغم منه ــ صاح المحامون :

ــ « أيها الوالى العظيم ، لقد قدم سابقا ذبائح فى قلب الملعب » . فقاطعهم فيلياس بصوت جهورى « تقولون أنى قدمت سابقا ذبائح الى الآلهة الكاذبة . أبدا . لم يحدث . ولكنى قدمت الى الاله الحقيقى » . لكن المحامون ــ فى يأس ــ قالوا « أيها الوالى العظيم : أن موكلنا الجزيل الاحترام يطلب فرصة للتفكير » . أجاب كلوسيان « نعم سأمنحه كل الوقت اللازم » .

قال الاسقف « تعطينى وقتا للتفكير ! اتعتقد انى سوف اتردد لحظة ! لن يكون ذلك . لقد فكرت منذ زمن بعيد ، واختيارى لا يحتاج الى مايثبته . انى أتعذب وسأموت لاجل المسيح » .

وهنا بدأ مشهد مؤثر ...

ترك أقاربه وأصدقاؤه القدامى وكبار موظفى مدينة الاسكندرية أماكنهم وأحاطوا بالمنصة التى كان يقف عليها الاسقف ، ورجوه ، وطلبوا اليه بدموع أن يتظاهر على الأقل باطاعة الأوامر الامبراطورية ، وألقوا بأنفسهم عند قدميه . غير أنه كالصخر تلاطمه الامواج دون أن تنال منه أو تزحزحه ، رفض كلماتهم الصاخبة . لقد اتجه بعقله الى السماء ووجه بصره الى الله وقال « ان واجبه ان يفكر فى الشهداء الابرار والرسل ، كأصدقائه وذوى قرباه » .

وكان بين كبار الشخصيات الحاضرة ، شخص يدعى فيلورومس Philoromus قيل انه كان وزير الخزانة فى مصر . وربما كان موفدا من قبل الامبراطور ذاته الى الاسكندرية ، بقصد تنظيم امور هامة ... هذا رأى فيلياس غير مكترث لدموع أحبائه وتوسلاتهم ولأسئلة الوالى ، فنهض وصاح :

« هذا المشهد القاسى قد امتد طويلا . لماذا تريدون أن تختبروا صلابة الرجل أكثر من ذلك ؟ لماذا ترغبون فى تحويل إنسان مخلص عن الله بقصد ارضائكم ؟ ألم تلحظوا أن عينيه لم تعد ترى دموعكم ، وآذانه لم تعد تسمع اناتكم . ان هذا يكفى . اتركوا هذا الرجل بسلام » .

وازاء ذلك امتلأ كلوسيان غضبا وحكم على الاسقف فيلياس وفيلورومس بقطع رأسيهما بحد السيف . كما حكم على كثير من الضحايا الآخرين بنفس الحكم .

وقد توجه الموكب الى مكان اعدام الشخصيات الهامة ... وفى الطريق حاول شقيق الاسقف محاولة أخيرة ، فصاح أثناء مرور الوالى « ياسيدى الوالى ان اخى فيلياس ينادى » . فأسرع كلوسيان نحو الشهيد قائلا « هل ناديت حقا ؟ » . أجاب فيلياس « أبدا . لا تعر هذا الصوت التفاتا . أما بالنسبة لى **فأنى لا أملك أن أقدم اليك والى الأباطرة أيها الحاكم ، الا الشكر لأنكم ستجعلوننى وارثا لملكوت السموات** » .

نودى على فيلياس ليقدم رأسه ، لكنه توسل أن يصلى أولا . مد ذراعيه على شكل الصليب وصاح بصوت عال موجها الكلام لخاصته « يا أولادى الاحباء ، واخوتى الاعزاء ، يا من تعبدون الاله الحقيقى . أسهروا جيدا على قلوبكم ، لأن الشيطان يحاول أن يستولى عليها ، افرحوا لأنه فى هذه الساعة سنصبح جميعا تلاميذا حقيقيين لسيدنا يسوع المسيح الذى له المجد الدائم الى الابد » .

وبانتهاء صلاته استسلم فيلياس للسياف ، وكذا فيلورومس ، وقطعت رأساهما فى لحظة واحدة . وكان ذلك فى الرابع من فبراير سنة ٣٠٦ .

فيلبس أسقف هركليا(٨) :

كانت المنطقة التى تقع فيها هراكليا Heraclea عاصمة اقليم تراقيا Thrace يحكمها حاكم يدعى باسوس Bassus . ونظرا لأن زوجته كانت مسيحية ، فقد كان غير ميال الى اضطهاد المسيحيين بقسوة وعنف ، على النحو الذى كانت تطلبه الاوامر الامبراطورية . ومن ثم فقد ظلت اجتماعات المسيحيين تعقد فيها ، وبدون تدخل السلطات ، حتى بعد صدور منشورات الاضطهادات التى

(8) Mason: The Historic Martyrs of the primitive Church; Dictionary of Christian Biography vol. 4, p. 355.

أصدرها ديوكلتيانوس بسنة . وظلت مبانى الكنيسة قائمة دون هدمها .

كان اسقف هراكليا رجلا وقورا يدعى فيلبس . وعند حلول عيد الظهور الالهى (الغطاس) حثه شعبه على الهرب ، لانهم أحسوا أن هناك ضغطا مستمرا على باسوس الوالى من السلطات العليا لتنفيذ المنشورات الامبراطورية . لكن الاسقف رفض أن يتخلى عن شعبه ، وقال لهم ان الرب سيدبر وسيلة للخلاص من الاعداء ...

وفيما كان يتكلم ظهر أحد ضباط الشرطة من قبل الحاكم ليغلق أبواب الكنيسة ويمنع المسيحيين من دخولها ، ويضع أختاما على أبوابها ... كان رد الأسقف الوحيد على هذا التصرف أنه من الغباء الاعتقاد أن الله يسكن داخل جدران مبنى ، وليس فى قلوب البشر . وفى اليوم التالى قام الضابط بجرد كل اثاث الكنيسة وأوانيها ، واعاد ختم الكنيسة . فتملك الحزن جميع الاخوة .

لم يمض وقت طويل على ذلك حتى زار باسوس مدينة هراكليا ، ووجد الأسقف فيلبس مع شعبه مجتمعين خارج أبواب الكنيسة المغلقة ، لخدمة القداس الالهى دون اكتراث ... جلس الحاكم وأحضر أمامه بعضهم بأعتبارهم معتدين على القانون ... ثم سألهم :

ـــ من منكم مقدم المسيحيين ، أو معلم الكنيسة ؟

فقدم الأسقف فيلبس نفسه ، ثم دارت المناقشة الآتية :

(الوالى) : لقد سمعت الامر الامبراطورى الذى يقضى بمنع اجتماعات المسيحيين ، وأن اتباع هذه الجماعه فى انحاء العالم عليهم أن يعودوا الى التقدمات لآلهة الدولة ، والا فان حياتهم ستكون ثمنا للمخالفة . لذلك فيجب ان تخضع الاوانى الكنسية لفحصنا ، سواء كانت ذهبا أو فضة أو أى معدن آخر ، وكذلك الكتب المقدسة التى تستخدمونها فى القراءة أو التعليم . وان توقفت عن ذلك فستعذب حتى تفعل ذلك .

(الاسقف) : **ان كنت ترتاح لتعذيبنا ، كما تقول ، فأمامك هذا الجسد الضعيف ، مزقه اربا بكل قسوة ، كما يحلو لك . لكن لا تعتقد أن لك سلطانا**

على روحى . أما بالنسبة للأوانى التى تسأل عنها ، فسنقدم لك كل ما نملك ... فنحن لا نعبد الله بالمعادن الثمينة لكن بمخافة . والله لا يُسر بزينة الكنيسة بل بزينة القلب . أما عن الكتب المقدسة فلا حق لك فى أخذها ، ولا حق لى فى أعطائها .

وبعد سلسلة من العذابات امام حاكم آخر يدعى يوستينوس ــ وكان متعصبا ضد المسيحيين ــ فاضت روحه فى مدينة أدريانوبوليس بعد حرقه ، ومعه شماس يدعى هرمس . وكان ذلك فى ٢٢ من أكتوبر سنة ٣٠٤ .

تراكوس وزميلاه[9] :

كان تراكوس من مدينة كلوديوس Claudiopolis من مقاطعة ايسورية كان جنديا ، لكنه ترك خدمة الجيش فى بداية الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس . وقصة استشهاده مع زميليه بروبوس Probus واندرونيكوس مكتوبة بتفصيل اكثر من أى شهداء آخرين . وقد اشترى المسيحيون النسخة الرسمية لمحاكمتهم من سجلات المحكمة بمائتى دينار من أحد كتبة المحكمة ، وقد أثبت الباحثون صحتها من مراجعة المخطوطات المختلفة ، وقالوا انها لا يرقى اليها الشك[10] .

قبض عليهم سنة ٣٠٤ فى مدينة بومبى Pompeipolis وهى مركز إيبارشية كيليكية وحوكموا محاكمة علنية وعذبوا فى ثلاث مدن رئيسية فى إقليم كيليكية هى طرسوس ، مبسوستيا Mopsuestia ، وأنزازب Anazarbus حيث نالوا اكليل الشهادة فى ١١ من أكتوبر من نفس العام .

مثل هؤلاء الثلاثة أمام حاكم اقليم كيليكية ويدعى نوميريانوس مكسيموس فى مدينة بومبى . ولم يستطع أن يبحث القضية ، فمثلوا أمامه ثانية فى طرسوس . **ودار الحوار بين الوالى مكسيموس وتراكوس Tarachus على النحو الآتى :**

---

(9) Patrologia Orientalis: st. sevére d'Antioch;
Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

(10) Dictionary of Christian Biography, vol. 4, p. 781.

ما اسمك ؟ اجب أنت أولا لأنك أكبرهم سنا ومركزا .

ــ أنا مسيحى .

ــ كف عن هذه اللغة النجسة ، واذكر اسمك .

ــ أنا مسيحى .

ــ (لأحد الجنود) أضربه على فمه وقل له : لا تقدم اجابات ملتوية .

ــ أنا أذكر لك الاسم الذى أحمله فى نفسى . لكن ان سألت عن اسمى المتداول بين الناس فلان والدى أسميانى تراكوس ، وكنت أدعى فى الجيش بقطر .

ــ ما هو عملك ؟

ــ جندى ، من أسرة رومانية ، ولدت فى كلوديوبوليس فى ايسورية . ونظرا لأنى مسيحى فقد صممت أخيرا أن اعتزل الجندية[١١] .

معنى ذلك أنه لم يسمح لك بالبقاء فى الجيش ، لانك كنت فاسدا جدا . من سمح لك بالاعتزال ؟

ــ توسلت الى فولفيو Fulvio قائد المئة أن يطلق سراحى ، فأذن لى .

ــ أنى أرى شعرك الاشيب ، ويسرنى أن أعمل ما فى وسعى لك فى طريق الترقى ، وأصيرك صديقا للاباطرة ، ان أطعتنى واقتربت ، وقربت للآلهة . ان الاباطرة أنفسهم يفعلون مثل ذلك دائما نيابة عن العالم اجمع .

ــ الاباطرة أنفسهم فى خطر شنيع . لقد خدعهم الشيطان .

ــ (لاحد الجنود) اضربه على وجهه من الجهتين لانه يقول ان الاباطرة مخطئون .

ــ أقولها وأعيدها ثانية . ما هم الا بشر ، وهم مخدعون .

ــ دع عنك ذكاءك وقرب لآلهة آبائك .

---

(١١) لما فيها من طقوس دينية وثنية كانت تتعب ضمير المسيحى .

ـــ أنا أعبد اله آبائى ، ليس بدم ذبائح ، لكن بقلب طاهر ، فالله ليس فى حاجة الى مثل هذه الذبائح .

ـــ انى مبق على حياتك . ارحم ما تبقى منها . ولذا فانى أنصحك أن تدع عنك كل هذا الجنون وكرم الاباطرة ، ووقرنى . قدم احتراما لشريعة آبائك .

ـــ سوف لا أترك شريعة آبائى .

ـــ اقترب اذن وضح للآلهة .

ـــ لا يمكننى أن أرتكب هذا الكفر . لقد قلت انى اكرم شريعة آبائى .

ـــ هل توجد شرائع اخرى الى جانب هذه ، أيها الرجل الشرير .

ـــ نعم ، توجد شريعة واحدة ، تلك التى تتعدون عليها بعبادتكم الأوثان .

ـــ (لأحد الجنود) اضربه على رقبته وقل له لا تدع البلاهة .

ـــ سوف لا أكف عن هذه البلاهة ، التى هى خلاصى .

ـــ سأشفيك من هذا الجنون ، وأجعل منك انسانا عاقلا .

ـــ افعل ما تريد . جسمى تحت سلطانك .

ـــ (للجنود) عروه من قميصه واضربوه بالقضبان .

ـــ الآن جعلت منى انسانا عاقلا فعلا . انك بهذه الضربات قويتنى لأثق اكثر فى اسم الله ومسيحه .

ـــ أيها الرجل الملعون ، هل تعبد الهين ؟ لقد اعترفت بها ، ومع ذلك تنكر الآلهة .

ـــ أنا أعبد الله ، الذى هو اله بالحقيقة .

ـــ ومع ذلك تقول ان المسيح اله أيضا !

ـــ نعم . المسيح هو ابن الله الحى ، رجاء المسيحيين ، ومعطى الخلاص لمن يتعذبون حبا له .

ـــ كف عن هذا الكلام التافه ، وتقدم قرب للآلهة .

ـــ ليس هو كلاما تافها ، بل هو الحق . أنا الآن فى الستين من عمرى ، وتربيت على قول الصدق ولا أحيد عنه .

وهنا تدخل ديمتريوس قائد المائة وقال لتراكوس :

ـــ انقذ حياتك يا انسان . اسمع ما أقوله لك وضح للآلهة .

ـــ اذهب عنى . احتفظ بنصيحتك لنفسك ، يا خادم الشيطان .

قال مكسيموس الحاكم :

« ألقوه فى السجن وضعوه فى قيود حديدية ثقيلة » .

وبعد تراكوس ، حاكم مكسيموس الوالى زميليه بروبوس واندرونيكوس اللذين أظهرا شجاعة لا تقل عن تراكوس ، وانتقل الحاكم من طرسوس الى مبسستيا وأخذ معه الثلاثة سجناء كما كان متبعا .

وقدم تراكوس ثانية للمحاكمة :

قال له الوالى :

ـــ أعتقد أن الناس يوقرون الشيخوخة بسبب الحكمة والتعقل اللذين يصاحبانها . لذلك راجع نفسك ، ولا تصر على أوهامك السابقة ، بل قرب للآلهة ونل ثناء التقوى .

ـــ أنا مسيحى ، وأصلى لاجلك ولاجل أباطرتك لتنالوا نفس الثناء ، وتتركوا عنكم كل قساوة قلب وعمى ، حتى ما يقودكم الاله الحق بسرعة الى اعتقاد أسمى وأفضل .

ـــ (لأحد الجنود) دق فمه بالحجارة ، وقل له أن يكف عن بلاهته .

ـــ اذا لم أكن ذا عقل سليم ، فسأكون مجنونا مثلك .

ـــ لاحظ أسنانك التى تكسرت . ارحم نفسك أيها الانسان البائس .

ـــ لا شىء مما فى سلطانك يستطيع أن يؤذينى ، حتى لو قطعت كل اطرافى . انى واقف بثبات أمامكم ، فى المسيح الذى يقوينى .

ـــ من الأفضل أن تتبع نصيحتى . هيا ضح للآلهة .

ـــ اذا عرفت أنه من الافضل أن أفعل ذلك لما تألمت .

ـــ (لأحد الجنود) اضربه على فمه ، وقل له أن يرفع صوته .

ـــ لا أستطيع أن أرفع صوتى ، لأن أسنانى تكسرت ، وفكى قد ترضضا .

ـــ حتى فى هذا لا تذعن أيها الرجل الشرير ! تقدم الى المذبح . واسكب تقدمة شراب للآلهة .

ـــ ولو أنك أسكت صوتى حتى أنى لا أقدر أن أرفعه ، لكنك لا تقدر أن توقف أفكار روحى . لقد صرت بفضلك أكثر شجاعة وثباتا .

ـــ سأهدم ثباتك أيها الوغد !!

ـــ أنا تحت تصرفك . ومهما دبرت فسأكون لك أكثر من ند ، فى اسم الله الذى يقوينى .

(لأحد الجنود) افتح يديه ، وضع عليهما نارا .

لا أخاف من نارك التى هى إلى برهة ، لكنى أخشى اذا أطعتك أن أصير شريك النار الابدية .

ـــ أنظر ، لقد احترقت يداك بالنار . ألا سوف تتخلى عن جنونك أيها الرجل المعتوه وتضحى للآلهة .

ـــ انك تتحدث الى كما لو كنت توسلت اليك الا تستخدم كل ما فى وسعك لاخضاع جسدى . أنا أصم ازاء كل ما تفعله معى .

ـــ (لأحد الجنود) قيد قدميه ، وعلقه منهما ، وسلط على وجهه دخانا كثيفا .

ـــ أنا لم أهتم بنارك ، أتظن انى سأرهب دخانك ؟!

ـــ وافق على التضحية للآلهة ، وأنت الآن معلق .

ـــ قدم أنت ضحايا . أنك معتاد على التضحية حتى بالضحايا البشرية . لكن الله ينهانى عن أن أفعل ذلك .

ـــ (لأحد الجنود) ضع خلا مركزا ممزوجا بملح فى منخريه .

ـــ خلك لذيذ ، وملحك فقد ملوحته .
ـــ (للجندى) اخلط الخل بالخردل وصبه فى منخريه .
ـــ ان ضباطك يخدعونك يامكسيموس . انهم يقدمون لى شهدا عوض الخل .
ـــ سأفكر فى عقوبات اخرى فى محاكمة الغد ، وسأضع حدا لجنونك .
ـــ وسأكون أكثر استعدادا لمكايدك .
ـــ (للجند) انزلوه ، قيدوه بالسلاسل ، وسلموه للسجان .

وقدم تراكوس ثالثة للمحاكمة وأمر الوالى أن يربط على آلة تعذيب خاصة ، فقال له تراكوس :

ـــ أنا قادر ـــ باعتبارى جنديا ـــ أن أطلب من ديوكلتيانوس أن يتمم أمره الذى يقضى بمنع القضاة من وضع الجنود على آلة التعذيب . لكنى لا أريد أن أستخدم حقى هذا خشية أن يخامرك شك فى أننى خائف .

ثم وجه الوالى الكلام اليه وقال :

ـــ أنت تعلل نفسك ، وترجو أن تبخر لك النساء المسيحيات بعد موتك لكنى أعلم يقينا ، أنك سوف لا تنال ذلك .

ـــ افعل بجسدى كل ما يرضيك فى حياتى وبعد موتى .

ـــ (للجند) مزقوا وجهه واقطعوا شفتيه .

ـــ قد أضفت الى نفسى حسنا جديدا بواسطة تشويه وجهى . وحيث أن محبة الله توقيتى ، فلا أخشى شيئا من عذابك البتة .

ـــ (للجند) ضعوا على صدره قضبانا من حديد محمى بالنار .
ـــ لا يصبح قلبى بذلك أقل انتباها لكلام الله .
ـــ (للجند) اسلخوا جلد رأسه ، وألبسوه خوذة محماة بالنار .
ـــ لو سلخت كل جسدى ، فسوف لا تحقق غرضك من أنفصالى عن الهى .

— (للجند) احموا القضبان الحديد أكثر من المرة الاولى ، وضعوها على ضلوعه .

— يا اله السماء اطلع الى وكن قاضيا .

— (للجند) عيدوه الى السجن ، وابقوه لالعاب الغد .

[وقد حوكم أيضا زميلاه وأظهرا شجاعة لا تقل عنه] .

وأخيرا ، طرح المعترفون الثلاثة للوحوش بأمر الوالى مكسيموس . لكن الوحوش كانت تتقدم نحوهم وتلعق أقدامهم ، فهاج الوالى وأمر بقطع رؤوسهم بحد السيف ...

هدريان (١٢) :

حال وصول جالريوس ذات مرة الى نيقوميدية . قدم ثلاثة وعشرون معترفا شهادة مدهشة لايمانهم . وكان ذلك سببا فى تأثر شاب وثنى لدرجة كبيرة بما كان يرى من شجاعة المسيحيين ، حتى أنه سأل عن سرها ... كان هذا الشاب — ويدعى هدريان — رئيسا للموظفين الذين يعملون فى معية الحاكم الذى كان يحاكم المسيحيين .

ولما أحضر هؤلاء المعترفون البواسل أمام جالريوس شخصيا ، ثار لاجابتهم ، ونادى على هؤلاء الموظفين ليكتبوا مذكرة ... تقدم هدريان وقال لجالريوس :

— هل أكتبُ مذكرة باسمى معهم ، فأنا مسيحى أيضا .

جالريوس : هل جننت ؟ أتريد أن تفقد حياتك ؟

هدريان : **لست مجنونا ياسيدى . لقد كنت بالفعل مجنونا فى فترة سابقة . لكن أتيت الى التعقل الكامل الآن .**

— اصمت والتمس مغفرتى . قل بحضرة الجميع ان ما قلته كان من قبيل الخطأ ، وأجابتك ستمحى من مضبطة المحكمة .

---

(12) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

ـــ كلا . من الآن اسأل العفو من الله عن كل افعالى الشريرة ، وأخطاء حياتى الماضية .

وبناء على أمر جالريوس ، حفظ هدريان فى السجن مع باقى المعترفين .

وكان هدريان (٢٨ سنة) ، قد تزوج حديثا منذ نحو عام من سيدة تقية تدعى نتاليا Natalia تنحدر من أسرة مسيحية .

فرحت نتاليا جدا لاعتناق زوجها المسيحية . زارته ورفاقه فى السجن وقضت حوائجهم . وكانت تشجع هدريان حتى يثابر على اعترافه بالمسيح . وانصرفت بعد أن وعدها بأن يعرفها بموعد المحاكمة الاخيرة .

بدأت المحاكمة وأحضر المعترفون أمام جالريوس ـــ وبناء على نصيحة حاشيته ، أمر فأحضر هدريان أولا . فتقدم يحمل الآلة التى كانوا يعذبونه بها . وكانت نتاليا حاضرة بقصد تشديد قلبه وتشجيعه . وسأله جالريوس :

ـــ أما زلت مصرا على جنونك ، وتود أن تموت ميتة صعبة ؟

أجاب هدريان على نحو ما أجاب قبلا ، ان أيام الجنون قد مضت ، وأنه على استعداد لبذل حياته .

ـــ هلا ستضحى ، وتعبد الآلهة كما أفعل أنا وكل أحد ؟

ـــ أنت على خطأ . لمَ تسوق الآخرين الى الخطأ ، مضيعا نفسك وكل أنفس هؤلاء الناس الذين تسوقهم الى عبادة آلهة لا حياة فيها ، ويتركون الله الذى خلق السماوات والارض والبحر وكل مافيها ؟

ـــ أتظن أن آلهتنا هكذا صغيرة ، بينما هى كبيرة ؟
ـــ لا أظن أنها صغيرة أو كبيرة . أنها لا شىء على الاطلاق .

أمر جالريوس الموظفين الحاضرين أن يضربوه بالقضبان ، وهم يرددون « لا تجدف على الآلهة » . وعندئذ أسرعت نتاليا من قاعة المحكمة الى زنزانة المعترفين الآخرين وأخبرتهم أن استشهاد زوجها قد بدأ ، وطلبت صلواتهم . لمعاضدته .

وأثناء الحوار الذى دار بين جالريوس وهدريان . قال الاول :

(جالريوس) لقد تعلمت هذا الأسلوب من هؤلاء الدجالين (يقصد الاكليروس المسيحى) .

(هدريان) لم تدعوهم دجالين ، أولئك الذين يقودوننا الى الحياة الأبدية ؟ انكم أنتم الذين تخدعون الناس ، وتوقعوهم فى حبائل الهلاك ...

وبسبب هذه الردود القوية ، ضاعفوا ضرب هدريان بقسوة أكثر ، بينما أردف جالريوس يقول :

ـــ هلم اعترف بالآلهة ، واحفظ حياتك وشبابك . انى أشفق عليك .
ـــ انى بما أفعله أحفظ حياتى ، ولا أريد أن أهلك تماما .

ـــ اعترف بالآلهة ، حتى ما يتعطفوا عليك ، ويردونك بكرامةالى وضعك السابق . انك لست مثل الآخرين الذين سجنوا معك . فأنت ابن رجل شريف بالمولد . ومازلت حدثا تستحق الترقى . أما هؤلاء الاخرين فهم مخلوقات بائسة من الفلاحين .

ـــ استطيع القول انك تعرف شيئا عن أسرتى وبيتى وأسلافى . لكن **لو عرفت أسرة هؤلاء الرجال القديسين وغناهم ، والمسكن الذى يتطلعون اليه لالقيت بذاتك للحال عند اقدامهم وتوسلت اليهم أن يصلوا عنك . وأكثر من هذا ستحطم آلهتك بيديك .**

أدار الجند هدريان وضربوه على معدته . وبعد قليل أمرهم الامبراطور أن يكفوا عن الضرب لان الجسم الرهيف لايقدر أن يحتمل ما هو أكثر من ذلك ، ثم قال جالريوس :

ـــ أنظر كيف أود أن أنقذك ! اذا دعوت الآلهة بلسانك فقط (أى بدون تقديم قرابين) سأستدعى أطباء حالا لعلاج جراحاتك ، وتكون معى اليوم فى قصرى .

ـــ أنا مستعد أن أفعل ذلك لو أن الآلهة وعدت بصوت مسموع أن تفعل ماقاله الامبراطور .

— هه ! ماذا تقول ؟ أنها لا تقدر أن تتكلم .

— لماذا اذن تقربون قرابينا لاشياء لا تقدر أن تتكلم ؟

— أنا مستعد أن أفعل ذلك لو أن الآلهة وعدت بصوت مسموع أن تفعل ما قاله الامبراطور .

— هه ! ماذا تقول ؟ انها لا تقدر أن تتكلم .

— لماذا اذن تقربون قرابينا لاشياء لا تقدر أن تتكلم ؟

ونقل هدريان الى السجن ، وهناك كسرت مفاصل يديه ورجليه بقضيب من حديد . وقيل أن زوجته نتاليا ، كانت تمسك بيديه بينما كانت تكسر ... **أخيرا مات هدريان فى السجن** . وتروى القصة أن نتاليا أرملته هربت الى بيزنطة (القسطنطينية) هربا من ضابط فى المدينة أراد أن يتزوجها ، وحملت معها يدى زوجها الشهيد المقطوعتين ، فى ستر أرجوانى ، ككنز ثمين .

بقطر الجندى(١٣) :

استشهد تحت حكم الامبراطور مرقس أوريليوس (١٦١—١٨٠) ففى سنة ١٧٧ كان فيضان النيل منخفضا .. **وكالعادة ، عند حلول الكوارث صاح الوثنيون فى الاسكندرية مرددين عبارتهم التقليدية « الموت للمسيحيين »** على اعتبار أنهم سبب هذا البلاء ، لانهم أعداء الآلهة ... وكان الامبراطور قد أصدر أمرا باضطهاد المسيحيين ، فسقطت ضحايا كثيرة فى بلاد الغال وقرطاجنة وآسيا الصغرى وروما ومصر ...

كان بقطر من اقليم كليكية بآسيا الصغرى ، وولد مسيحيا ثم التحق بالجيش وترقى فيه حتى وصل الى رتبة عالية بفضل خلقه ... وقد وصل فى تجواله مع فرقته الى الاسكندرية فوقع اختيار واليها سبستيان عليه ليقدم ضحية للاله هابى (النيل) حتى ما يرتفع منسوب مياهه ، ويأتى الفيضان ، وأعلنه بالأمر

---

(13) Les Saints d'Egypte Tome 2, pp. 3 - 10

الأمبراطورى الصادر بضرورة التقديم لآلهة الدولة . ومن ثم دار بين بقطر والوالى الحوار التالى :

(بقطر) « **ان حكم الامبراطور منقض وزائل . أما أنا فقبل كل شيء جندى ليسوع المسيح الذى ملكه أبدى** »

(**الوالى**) « **بصفتك جنديا لقيصر ، فأنت مجبر أكثر من غيرك بتنفيذ أوامره . فأسرع وضح للآلهة** » .

ـ « أنك لن تجد الشخص الذى يخدم الامبراطور بأمانة مثلى ... ولكن ان كان للامبراطور كل الحق فى السيطرة على جسدى ، فليس له أى حق على روحى المطيعة لله وحده » .

ـ « ان صفاتك الحميدة كجندى توحى لى بأنك انسان تميل الى الحكمة » .

ـ ربما ، لكن هذه الحكمة ليست منى ، بل وهبت لى من الله .

ـ انك تغضبنى يا بقطر ... قرب للآلهة وكل شيء ينتهى .

ـ انى على استعداد لطاعتك فى كل شيء . لكن ليس فى هذا الامر . سأتعذب حسب ارادة الله ، وأكون سعيدا للغاية ان قدمت له الشهادة بدمى .

ـ انك تشرح هذا الامر بطريقة شيقة . هل أنت قارىء (اغنسطس) أو شماس حتى تتكلم هكذا حسنا ؟

ـ للاسف ، لا . لست أهلا لهذه النعمة السامية . لكنى خاضع لنعمة الله التى تضع هذه الكلمات فى شفتى ، وتملأنى بالحكمة والفطنة اللتين تساعدانى وقت الحاجة . مثل حقل مزروع بعناية وينتج فاكهة طالما يصله ما يحتاجه من الماء ، كذلك الأرواح حينما تملك عليها نعمة الله .

ـ اذن فأنت تفضل الموت على الحياة .

ـ نعم ، لان الآلام التى سأتحملها لن تميتنى ، بل تهب لى الحياة الابدية .

واذ رأى الوالى ثبات بقطر ، أراد أن يخيفه فأمر بسحق اصابعه حتى برزت العظام المرضضة من اللحم المهرأ ... وبانتهاء هذا التعذيب ، صاح بقطر وكأنه لم يحس الالم :

(بقطر) **شكرا لسيدى يسوع الذى أعطانى نعمة الاحتمال .**

(الوالى) أطع وقرب للآلهة ، والا تعرضت لتعذيب جديد .

(بقطر) حاشا لى أن أضحى لقطع من الخشب أو كتل من الحجارة ، لكنى أقدم عبادتى فقط للاله خالق السماء والأرض .

كان نتيجة هذا الكلام أن ألقى بقطر فى السجن .

وفى اليوم التالى طلب الوالى بقطر ، وحاول ــ دون جدوى ــ حمله على التضحية للآلهة . لكنه أصر على الرفض ، فقرر الوالى القاءه فى أتون نار ملتهب . فجثا بقطر على ركبتيه وصلى بصوت عال :

ــ يا إله آبائنا . اصغ لخاطىء سيتعذب بسبب محبته لك . احفظ ياالهى جسدى من السنة النيران لكى يؤمن هؤلاء القوم أنك الاله الحقيقى .

ثم رشم ذاته بعلامة الصليب ، وألقى بنفسه فى أتون النار وصوته يعلو بالتراتيل المقدسة .

وبعد ثلاثة أيام من ايقاد النار ، استدعى الوالى بعض الجنود لجمع عظام بقطر المتخلفة .. ولكن ما أكثر دهشتهم حينما وجدوا بقطر حيا سليما ينشد الترانيم وسط لهيب النيران ... وعوض أن يقدم الجنود لواليهم عظاما قدموا له نفسا حية تمجد الله ! أما الوالى فلم يكن لديه تفسير لهذه المعجزة سوى السحر .

فسأل بقطر :

(الوالى) هل وصلت بسحرك الى الدرجة التى تجعلك تتحكم فى النيران ؟

(بقطر) اننى لست ساحرا كما تظن ، لكنى مسيحى .

أرسل الوالى واستدعى أقوى ساحر ، وطلب اليه تركيب سم مميت ، وخلطه بالطعام المقدم لبقطر .

ـــ فقال بقطر : لولا ثقتى الكاملة بربى يسوع ، ما أستطعت اطلاقا تناول ذلك الطعام . انما سأصلى لالهى ، وأتناول منه ، لاثبت قوته فى تحطيم كل سحر .

واذ لم يتأثر من هذا السم ، قدم له الساحر سما آخر ، أقوى من الاول وقال له : « كل من هذا الخليط . لقد وضعت فيه كل خبرتى وتجارب حياتى الماضية ... فان لم يؤثر فيك تركت عنى السحر ، وآمنت بالمسيح الذى تعبده » .

تناول بقطر السم فلم يتأثر به ، فصاح الساحر بصوت خنقته الدموع : « كن سليما معافى يا بقطر ، لقد انتصرت على بالهك . أنت أقوى منى » **ثم جمع الساحر كتب السحر التى عنده وحرقها ، وأعلن ايمانه بالمسيح ... فأمر الوالى بقطع رأسه ، ونال أكليل الشهادة .**

وفى محاكمة اخرى قدم لها بقطر ـــ ربما فى أسيوط ـــ ظل محتفظا بثباته الاول وصلابته ... وقد جرت محاكمته على النحو التالى :

(الوالى) كن عاقلا الآن أيها الشجاع بقطر ، وقرب للآلهة الخالدة .

(بقطر) لقد كنت دائما عاقلا .

ـــ انك ترتكب عملا جنونيا برفضك التضحية للآلهة !

ـــ لقد اختار ربى هذا الجنون ليقضى على حكمة هذا العالم .

ـــ وأين قرأت هذا المبدأ ؟

ـــ فى رسائل بولس الطوباوى .

ـــ بولس اذن اله !

ـــ بولس ليس الها ، لكنه رسول المسيح .

ـــ هذا حسن وجميل ، هيا قرب للآلهة .

ـــ لن أضحى للشياطين بأى حال .

عندئذ فقد الوالى صوابه وأمر بقطع كل أعصاب مفاصله . فصاح بقطر :
ــ ان هذا التعذيب لا يؤلمنى أبدا ، بل أحس ، وكأن هناك من يسحب شوكة من رجلى .

عذب بقطر بعد ذلك عذابا شديدا فى أجزاء من جسمه يمنع الحياء ذكرها .

بعد ذلك بسطوه على حامل حيث سلطت المشاعل المشتعلة على جانبيه ، وكانوا ــ خلال هذا التعذيب ــ يصرخون قائلين « قرب للآلهة . انه أمر الامبراطور » .

فرد عليهم بقوله :

ــ استمروا فى تعذيبى أيها البؤساء ، لكنكم لن ترهبونى ، لان يسوع يقوينى . انى مستعد لكل ألم لاقتناء النعم التى وعد الله بها خدامه .

حينئذ أحضر الوالى محلولا مغليا من الجير المذاب فى الخل ، وقربه من شفتى الشهيد وقال له :

(الوالى) ان نجاح أعمالك الشيطانية وقوة احتمالك يحيرانى . فهيا ضح للآلهة .

وعندما رفض بقطر أمر الوالى بفتح فمه وصب المزيج فيه ، وقلعوا عينيه فقال بقطر : أتظن أنك بأعمالك البربرية ووحشيتك تخضع ارادتى ؟ **كلا . فأنك باقتلاعك عينى الجسديتين . ضاعفت حدة بصرى الروحى .**

(الوالى) سأذيقك أنواعا أخرى من العذاب .

(بقطر) أفعل ما تريد ، نعمة الله حاضرة معى تقوى ضعفى .

وللحال حكم عليه الوالى بالشنق ، فعلق على عامود ورأسه الى أسفل ، واستمر على هذا الحال ثلاثة أيام ، جاء بعدها الجند ، وعقدت الدهشة السنتهم حينما وجدوا بقطر مازال حيا !

اغتاظ الوالى ، وأمر جنده أن يسلخوا جلده ، فقال بقطر : **انك تستطيع نزع جلدى ... لكنك لن تصل الى انتزاع رداء روحى ، اذ هو مصنوع من نسيج الايمان والحب .**

ثم استغرق الشهيد فى صلاة حارة خلال هذه العملية الرهيبة .. قال :

« يا الهى يسوع هلم لمعونتى وخذنى معك . لا تتركنى ولا تطرحنى عن وجهك . ارحمنى ياسيدى وهلم لمعونة خادمك .. فى هذا العذاب ... لا تسمح أن أقهر أمام هذا الوالى القاسى ، أنت تعلم انه من أجل حبى لك ، احتملت كل هذا » .

ولم يكد بقطر ينتهى من صلاته ، حتى ارتفعت من وسط الجماهير صيحة عالية ، اتجهت على أثرها الأنظار الى زوجة شابة لأحد الجنود ، كانت تصيح .

« طوباك يا بقطر ... طوبى للعمل المجيد الذى قدمته لله ... انى ابصر ملاكين ، يحمل كل منهما اكليلا رائعا ، أثمنهما لك ، والاخر سيصبح لى . وعلى الرغم من صغر سنى وضعت طبيعتى كامرأة ، سأحتمل تنكيل الوالى وعذابه ، ليكون لى نصيب فى ملك المسيح » .

استدعى الوالى اليه هذه الشابة ، وجرت محاكمتها على النحو التالى :

(الوالى) ما اسمك أيتها الشابة ؟

(هى) **كورونا Corona**

ــ كم عمرك ؟

ــ ستة عشر عاما .

ــ متى تزوجت ؟

ــ منذ أربعة عشر شهرا .

ــ تقدمى وضحى لآلهتنا الخالدة .

ــ أتظن أيها الوالى العظيم انى افقد هذا الاكليل الأبدى ؟

ــ أيتها الصغيرة المسكينة . ان جنونك هذا سيؤدى بك الى فقد مجوهراتك الثمينة وملابسك الفاخرة .

ــ انى أفضل أن أفقد هذه الاشياء الفانية ، وأسير بدونها أمام المسيح عريسى . انه سيفيض على غنى لا يحد .

ــ للمرة الثانية أقول لك قومى يا امرأة ، وضحى للآلهة الخالدة .

ــ لن أفقد الاكليل السماوى من أجل اطاعة أوامرك .

اغتاظ الوالى ، وأمر بتقريب شجرتين كانتا قريبتين من المحكمة .. ثم قام الجلادون بربط أعضاء المرأة فى كل من الشجرتين . وعند اعطاء الاشارة تركت الشجرتان لتأخذا وضعهما الطبيعى ، واحتفظت كل منهما بنصف الشهيدة .

حينئذ مجد بقطر الله قائلا :

ــ أشكرك ياسيدى يسوع ، لانك عزيت روحى بهذا المشهد الذى أنعشنى . هب لى نفس النعمة ، واقبل روحى فى سلامك الأبدى .

ثم قطع الجلادون رأسه ، فآمن كثيرون من الحاضرين بقلوبهم .

معجزات صاحبت الاستشهاد وأثرها

فى الرسالة التى كتبها فيلياس أسقف تمى الى شعبه قبيل استشهاده بالاسكندرية ، ما يوضح اثر المعجزات التى صاحبت تعذيب الشهداء ... « لو حاولت أن أصف لكم بطولتهم (الشهداء) ، لظننتموها أشبه بالاساطير . لكن حقيقة هذه البطولة أعجب بكثير من كل تصور . **فالمؤمنون الذين شهدوها تشددوا وتعزوا ، أما غير المؤمنين ، فلم يؤمنوا فحسب ، بل اعلنوا ايمانهم جهارا أيضا ، فانضموا بدورهم الى صفوف الشهداء** » .

والآن نسوق بعض أمثلة على معجزات حدثت أثناء تعذيب الشهداء وموتهم كانت سببا فى ايمان كثيرين ــ أحيانا أفراد ، وأحيانا جماعات وجماهير وأحيانا معذبيهم أنفسهم ، بل وأحيانا الحكام الذين كانوا يحاكمونهم .. ولم تقف المعجزات عند حد ايمان هؤلاء ، بل أن بعضهم صاروا هم أيضا شهداء .

أولا

ايمان حكام

(١) مناس وهرموجين حاكما الاسكندرية[1] .

كان مناس Mennas واليا على الاسكندرية وآمن بالمسيح ، وكان يخدم المسيحيين . وما أن وصل الخبر الى مكسيمينوس قيصر حتى أرسل واليا آخر مشهورا بشراسته وعداته للمسيحيين ، ويدعى هرموجين Hermogenes وارسل معه مرسوما امبراطوريا بالقبض على مناس ، وحمله على التضحية لآلهة الدولة .

(1) Les Saints d'Egypte; Dictionary of Christian Biography V. 3, P. 3.

فلما مثل مناس أمام هرموجين لمحاكمته ، أوضح له ايمانه بالمسيح ، وكيف انه لم يكن نتيجة اندفاع وقتى ، بل ثمرة تفكير عميق ، ودراسة ومناقشات طويلة . وختم على ذلك باعلان ايمانه بالمسيح ، وانه على أتم استعداد لتقبل الآلام حتى الموت .. عندئذ دخل مناس فى سلسلة عذابات قاسية ومرعبة : نزع باطن رجليه ، قطع لسانه وقلعت عيناه ، وألقى فى السجن بين حى وميت ...

وقد احتمل كل ذلك فى هدوء ووداعة وصبر المسيحى الحقيقى ، الأمر الذى حرك قلب هرموجين ، وبدأ ضميره يؤنبه . حاول اصلاح خطأه واسكات صوت ضميره ، فأمر بتشييع جنازة مناس . لكن الجنود الذين أرسلوا للسجن لاخراج جثته ، وجدوه معافى ، وقد زالت عن جسده كل اثار الجروح والتعذيب ، يلهج بالشكر لله ... ولفرط دهشتهم سجدوا نحو الأرض ... ثم أفاقوا من دهشتهم ، وذهبوا للوالى ليخبروه .

أتى هرموجين للسجن ليرى بنفسه . فما أن التقيا ، حتى اندفع مناس نحو هرموجين سريعا وقد غمرته فرحة عجيبة ـــ وأمتدت يداه للسلام . **لم يتمالك هرموجين نفسه فانهمرت الدموع من عينيه وتعانقا ، واعترف هرموجين بأعلا صوته بالسيد المسيح الها ومخلصا ، ورجع الواليان الى القصر** ...

ما أن وصل الخبر الى مكسيمينوس ، حتى قرر الذهاب بنفسه للقضاء على ما اعتبره فضيحة كبرى . استجوب الواليين ، ثم أمر بتعذيبهما فقطع يدى ورجلى هرموجين ، لرفضه السجود للآلهة . ثم قطع جسده قطعة قطعة كما عذب مناس عذابات أخرى وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد عوفى الشهيدان وغمرتهما سعادة دافقة ، فأخذا يسبحان الله ... أمام كل ذلك أحس مكسيمينوس بعجزه ، فأمر بقطع رأسيهما بالسيف .

(٢) أركانيوس والى سمنود وسوكيانوس والى أتريب[٢]

كان ايمان هذين الواليين بسبب استشهاد القديس يوليوس الأقفهصى ، كاتب سير الشهداء . كان هذا الاخير مسيحيا يشغل وظيفة كبيرة فى الاسكندرية ،

---

(٢) سيرة الشهيد يوليوس الاقفهصى . مخطوطة ٢٢٦ بدير السريان .

كما كان ثريا من أثريائها الكبار ، وكان موضع ثقة حاكمها ، كان محبا لخدمة المعترفين والشهداء ، وعاصر الاضطهادات التى أثارها ديوكلتيانوس وجالريوس ومكسيمينوس . كان يزور المعترفين فى سجونهم يخفف آلامهم ويداوى جراحاتهم ، ويقضى كل احتياجاتهم ، ويدفن أجسادهم ، يعاونه فى ذلك ثلثمائة غلام من الكتبة المساعدين ، استخدمهم أيضا فى تسجيل سير الشهداء كتابة . ويبدو أنه خلال الاضطهادات المذكورة ، لم يسمح الله أن يستشهد ، بل استبقاه للخدمة العظيمة التى كان يقوم بها . لكن أكثر من واحد من الشهداء تنبأوا له بأنه سيسفك دمه على اسم المسيح .

وفى أوائل عهد قسطنطين ــ وقبل أن تستتب الأوضاع السياسية له نهائيا ، ظهر السيد المسيح للقديس يوليوس الاقفهصى فى رؤيا ، وأمره أن يمضى الى أركانيوس والى سمنود ويعترف بالسيد المسيح .

وفى سمنود اعترف بالمسيح ، وعذب عذابا شديدا ... ثم اقتادوه الى (بربا) (معبد وثنى) لكى يضحى للآلهة ، وكان عدد أصنامها سبعين صنما .. بسط يديه وصلى ، **ففتحت الارض فاها وابتلعت الاوثان جميعها** ، **مع أربعين كاهنا كانوا يخدمونها ... فلما رأى الوالى هذه الأعجوبة آمن وبعض أفراد حاشيته .**

مضى والى سمنود فى صحبة القديس الى سوكيانوس والى أتريب . وهناك عذبهما الوالى . وظل على هذا الحال الى أن كان يوم احتفال فى هيكل الأوثان بأتريب ، وكانوا قد زينوا الهيكل بالمصابيح وسعف النخل . وفى ليلة هذا الاحتفال ، أوثقوا القديس والوالى . طلب القديس من الرب أن يظهر مجده . وفى منتصف الليل **أرسل الرب ملاكا ، ونزع رؤوس الاصنام ، وسودها بالرماد ، وأضاع زينتها . فلما اجتمع الناس فى اليوم التالى ، ورأوا ما حدث ، أسرعوا وأخبروا الوالى ، فآمن هو الآخر بالسيد المسيح** . ورحل ثلاثتهم من أتريب الى طوه ، بناء على رأى يوليوس الاقفهصى ، حيث ينالوا أكليل الشهادة ...

وفى طوه اجتمعوا بواليها الكسندروس ، وحاولوا اقناعه بالمسيح فاعتذر ولم يرد أن يعذبهم ، بل راد أن يرسلهم الى والى الاسكندرية لكنهم الحوا عليه أن

يعذبهم ويقتلهم على اسم المسيح . فكتب الوالى قضيتهم ، وقطعت رؤوسهم بالسيف كما استشهد فى ذلك اليوم نحو الف وخمسمائة على اسم المسيح .

(٣) أريانوس والى أنصنا[٣]

قد لا نكون مبالغين اذا قلنا ، أنه فى كل الامبراطورية الرومانية لم يوجد حاكم أو والى عذب المسيحيين بوحشية وبشاعة وباختراع آلات ووسائل تعذيب مبتكرة ، وبكثرة عدد من استشهدوا على يديه ، مثل أريانوس Arrianus **هذا الرجل الذى لفرط عداوته وقسوته وجبروته ، كان الحكام الآخرون ـــ ليس من أنحاء القطر المصرى فحسب ـــ بل من أقاليم الدولة الرومانية الاخرى ، يرسلون اليه المعترفين المسيحيين من فشلوا فى اخضاعهم** وردهم عن ايمانهم المسيحى ، حتى ما يذيقهم الألم كؤوسا وألوانا ... لكن نعمة الله التى عملت فى شاول الطرسوسى عملت فى أريانوس ، فحولت الذئب المتعطش لسفك الدماء الى حمل وديع يساق الى الذبح !!!

أمر أريانوس ـــ بناء على الاوامر الامبراطورية الصادرة ـــ بالقبض على جميع المسيحيين فى مدينة أنصنا[٤] .

وكثيرون هربوا ، لكن أعضاء الاكليروس استمروا ليشجعوا ايمان المخلصين وقبض على سبعة وثلاثين مسيحيا ، وقدموا للمحاكمة .. وكان يوجد فى أنصنا فى ذلك الوقت ، عازف مزمار بارع يدعى فليمون . وفى نفس الوقت ، كان هذا الشاب طيبا حاز اعجاب الجميع ...

وكان هناك شماس يدعى ابولونيوس . واذ كان لا يريد أن ينكر ايمانه هداه تفكيره الى طريقة يتخلص بها من محاكمة أريانوس . ذهب الى فليمون وقدم له أربعة دنانير من الذهب ، وسأله أن يذهب الى معبد الاوثان ليضحى للآلهة

---

(٣) السنكسار ٨ برمهات؛ Les Saints d'Egypte, T. 1, pp. 365-380

(٤) كانت تعرف قديما باسم انجليزى Antinoe ، والآن قرية الشيخ عبادة مركز ملوى . ظلت أسقفيتها قائمة حتى منتصف القرن ١٤ ثم تخربت تماما فى زمان صلاح الدين الأيوبى . وهى مدينة استشهاد بعض مشاهير القديسين .

نيابة عنه . وافق فليمون على أن يعيره بعض ملابسه ليتنكر فيها . ذهب فليمون الى المحكمة ، بعد أن ترك مزماره لأبولونيوس ، ولم يتعرف عليه أحد .

مثل فليمون أمام أريانوس ، وهناك عملت النعمة الالهية فيه بطريقة عجيبة ، فأعلن ايمانه ورفض أن يقرب للآلهة . وخطر لأريانوس ان يستدعى فليمون ليعزف على مزماره ، لعل أنغامه ترد المتهوسين (يقصد المسيحيين) الى صوابهم ، بحثوا عنه فى كل مكان فلم يجدوه ، وأخيرا أستدعى أريانوس شقيقه ثاؤونا ، وسأله عنه . فأرشد عنه ، وأشار اليه ــ ولم يتعرف عليه أريانوس بسبب تنكره .

وحينئذ أكتشفت خطة الشماس أبولونيوس ، وأحضر أمام الوالى واعترف هو الآخر بايمانه . وعذبا طويلا واجتازا ميتات كثيرة .

أخيرا أمر اريانوس ، أن يعلق فليمون من قدميه ورأسه الى أسفل ، وأن يضرب بالنشاب . لكنها كانت لا تؤثر فيه ، وترتد عن جسده ، الامر الذى جعل أريانوس يتقدم ليرى بنفسه هذا الشىء العجيب . **فأصابته نشابة قلعت احدى عينيه . فطلب من فليمون أن يشفيها له** . لكن فليمون قال له لو فعلت ذلك . لنسبت أنت هذا للسحر ... لكنه أوصاه أن يتوجه بعد موته الى قبره ويأخذ من التراب ، ويدعك بها عينه ، وسيشفى . فأمر بقطع رأسى فليمون وأبولونيوس ودفنهما .

وفى اليوم التالى باكرا جدا ، ذهب أريانوس سرا الى حيث دفن الشهيدان بعد أن أمضى ليلة يصرخ من الالم ، وفعل كما أوصاه فليمون وهو يقول « باسم يسوع المسيح الذى احتمل هذان الشهيدان الموت لأجله ، أدهن عينى لاسترد البصر ، وفى نفس الوقت أومن أنه ليس اله آخر غيره » . وفى الحال أبصر أريانوس . **ومن شدة فرحه بدأ أريانوس يجول فى المدينة ماشيا على قدميه ، وهو يصيح « إنى أبصر . انى أبصر !! وأنا أيضا مسيحى** . ومن الآن لا أخدم الها آخر غير المسيح » . ثم أخذ أطيابا ، وطيب جسدى الشهيدين فليمون وأبولونيوس ، وأفرج عن جميع المعترفين المسجونين .

كان ديوكلتيانوس موجودا آنذاك بالاسكندرية ، وسمع بقصة أريانوس

فأرسل الى أنصنا أربعة مندوبين للقبض عليه وأحضاره اليه . وفى طريقه مر على قبر الشهيد وخاطبهما قائلا : « أشكركما أيها المختاران المغبوطان ، يا من تنعمان فى النور الابدى . اسألا عنى سيدى يسوع أن يهبنى القوة لأكمل شهادتى » . فسمع صوتا من القبر بكل وضوح يجيب « **لا تخف يا أريانوس ان يسوع الذى تؤمن به سيعطيك الشجاعة اللازمة وستزداد قوتك أمام الملك** . وستنال أكليلك مثلنا فى الفردوس . أمض بغير خوف مع المندوبين ، الذين أتوا للقبض عليك . صل عنهم لكى يفتح الرب عيونهم للحق » ، وقد سمع المندوبون أيضا هذا الصوت ... وأمام ديوكلتيانوس اعترف أريانوس بإيمانه الجديد ، ورفض التقريب لآلهة الدولة ، على الرغم من اللين الذى أظهره نحوه ديوكلتيانوس .

أمر ديوكلتيانوس بدفنه حيا فى حفرة ، بعد تقييد يديه ورجليه بالقيود الحديدية ، وربط رحى كبير فى عنقه ... نفذ الجند المكلفين هذا الحكم ، ودفنوه فى حفرة كبيرة ، وردموا عليه التراب . وبعدها أخذ الجند يرقصون فوق الحفرة ، ويقولون « سنرى ان كان مسيحه سيأتى ليخلصه ! » ...

وفى صباح اليوم التالى ، أبصره ديوكلتيانوس ، قائما أمامه بلا قيود فى قصره ، فتعجب جدا ، وأمر أن يوضع فى كيس به رمل ويطرح فى البحر .

وبعدها تقدم الأربعة مندوبين ، الذين رأوا هذه الآية وسمعوا الصوت من قبر فليمون وأبولونيوس ، واعترفوا بايمانهم أمام ديوكلتيانوس فأمر بأن يلقوا جميعهم فى البحر أسوة بأريانوس . وكان ذلك فى بداية سنة ٣٠٥ .

(٤) دجنيانوس والى القيروان[٥]

الأنبا ثيئودورس اسقف القيروان بشمالى افريقيا جمع بين القداسة الروحية والابداع الفنى . كان يبدع آيات فنية بتزيين المخطوطات الى جانب مهامه الرعوية ، حتى أقبل الناس على اقتنائها من خارج مدينته ، وبواسطة فنه جذب عديدين الى الايمان المسيحى .

---

(5) Les Saints d'Egypte Tome 2, pp. 174-176.

استاء دجنيانوس Dignianus الوالى لنشاط الاسقف ، وقبض عليه بناء على الاوامر الامبراطورية الصادرة من ديوكلتيانوس . أمره أن يسلم كل انتاجه الفنى فرفض . أمر بجلده بالسياط حتى سال دمه غزيرا ، وانهكت قواه . لكن ما أن تمالك نفسه ، حتى زحف على الأرض تجاه المذبح الوثنى الذى كان مقاما فى ساحة المحكمة . فظن الناس أن ايمان الأسقف قد ضعف وانه مزمع أن يقرب للأوثان . لكن ما أن وصل اليه حتى دفعه بكل ما تبقى فيه من قوة ، فانقلب على الأرض . ثار القاضى وأمر بسلخ جلده وصب خل على جسمه لكنه فى كل ذلك ظل ثابتا فأمر القاضى بقطع لسانه لكن السيد المسيح افتقده فى السجن وشفى كل جراحاته وأعاد اليه لسانه ...

كانت هذه الأعاجيب سببا فى ايمان لوكيوس Luciusحارس السجن أما دجنيانوس فملكت عليه الدهشة فأفرج عن الأسقف ...

اعتمد لوكيوس على يد الأنبا ثيئودورس ، وحاول اجتذاب الوالى والقاضى الى الايمان . فأفلح مع ديجنيانوس ، وفشل مع القاضى . وغادر لوكيوس وديجنيانوس البلاد ، وذهبا الى جزيرة قبرص . وهناك كشف أمرهما فذهب لوكيوس وأعلن أيمانه أمام والى الجزيرة ، وقطعت رأسه بالسيف . أما ديجنيانوس فقضى بقية حياته فى سيرة مقدسة .

(ثانيا)

ايمان جموع

+ القديس جاورجيوس (مارجرجس) :

أثناء العذابات المروعة ، والميتات الكثيرة ، التى احتملها هذا الشهيد ، آمن كثيرون جدا بالمسيح ، اله جاورجيوس . ومن ضمن هؤلاء الملكة اسكندرة زوجة ديوكلتيانوس ، والساحر اثناسيوس الذى أعد له السم المميت . وسيأتى الكلام عن هذا الشهيد فى موضع آخر[٦] .

---

(٦) أنظر ص ١٨٧ بهذا الكتاب .

+ يفنوتيوس المتوحد(٧)

كان متوحدا قرب دندرة بصعيد مصر ، ونال شهرة كبيرة فى كل المنطقة المحيطة . أعلنه ملاك الرب باستشهاده . بعث أريانوس والى أنصنا جندا لاحضاره مقبوضا عليه ، فلم يجده الجند فى صومعته ، بل ذهب وقدم نفسه بناء على اعلان الملاك .

اجتاز عذابات أليمة . كبلوه بالسلاسل الحديدية ، مزقوا جسده بأسياخ محماة ، حتى برزت أحشاؤه . مرت فوق جسده عجلات مسننة ، تطايرت بسببها أشلاء جسده . **وكان فى كل مرة يقيمه الرب ، ويعود معافى سليما** . آمن بسبب هذه المعجزات الجنديان اللذان كانا يجلدانه ، ديونيسيوس وكليماخوس ، وأعلنا ايمانهما ، وقطعت رأساهما .

آمن أربعون جنديا كانوا فى سجنه لما رأوا نورا سماويا باهرا ينبعث من زنزانته وهو يصلى ، وظنوه فى بادىء الامر حريقا . أعلنوا ايمانهم أمام أريانوس ، فأمر باحراقهم بالنار خارج المدينة . **آمن اربعمائة وثنى ممن كانوا** يشاهدون محاكمته ، وما حفلت به من معجزات ، وأعلنوا ايمانهم وأحرقوا .

أخيرا علق فى عنقه حجر ، وألقى فى النيل لكنه طفا على الماء حيا ، وشوهد جالسا على الحجر . أخيرا بناء على أمر أريانوس صلب فى مدينة طيبة على صليب حتى أسلم روحه . فأنزله بعض الجنود من على الصليب أشفاقا عليه ، وحتى هؤلاء أيضا آمنوا واستشهدوا ...

+ مكاريوس ابن باسيليدس الوزير(٨)

هو أحد أفراد عائلة بعثت للسماء شهداء كثيرين معروفين : باسيليدس وزير الامبراطور نوماريوس ، وبقطر بن رومانس ، وأبادير ، وايرينى ، ويسطس بن نوماريوس ، وثاوكليا ، وابالى ، واقلاديوس ... وهو أحد أقرباء ديوكلتيانوس نفسه .

---

(٧) سنكسار ٢٠ برمودة. Les Saints d'Egypte Tom. 2, pp. 349-357.

(٨) سنكسار رينيه باسيه .

ترك قصر ديوكلتيانوس فغضب عليه ، وأرسله صحبة بعض الجنود الى الاسكندرية لكى يعذب ويقتل هناك . ودع أمه بأنطاكية ، ووصل الى الاسكندرية ، وبقى محبوسا بها بعض الوقت . ثم مثل أمام أرمانيوس واليها ، واعترف الاعتراف الحسن بمسيحه ، ووبخ الوالى على عبادته للأصنام بشجاعة انجيلية فأمر الوالى بتعذيبه : قيدوه بالسلاسل ، قطعوا أصابعه ووضعوا عليها خلا ، دحرجوه على مسامير حديد محماة بالنار صبوا فوق رأسه قارا مغليا حتى غشى عليه . لكن الرب أقامه معافى صحيحا بعد أن رأى السيد المسيح فى رؤيا وحوله جمهرة من القديسين ، أخذوا يعزونه . اندهش الوالى للأمر وأمر بمزيد من العذابات . وضعوا سيخين محميين بالنار فى حنجرته .

أرسله أرمانيوس الى مدينة بشاتى[٩] . وفى الطريق مات أحد الجنود بعد أن صدمته عربة الوالى . فصلى مكاريوس ، وبقوة الرب أقامه حيا ... فآمن ذلك الجندى ، بل آمنت مدينة بشاتى كلها بالمسيح ...

سقوه سما ، مزجه له ساحر ماهر فلم يؤذه ... وهكذا بعد عذابات كثيرة أكمل جهاده الحسن فى مدينة شطانوف بعد أن قطعت رأسه بحد السيف .

+ ايماخوس البلوزى[١٠]

استشهد فى الاضطهاد الذى أثاره الامبراطور ديسيوس . كان مواطنا من بلدة بلوزيوم[١١] القديمة . سمع بالأهوال التى كان يقاسيها المسيحيون فى الاسكندرية على يد ابيليان Appelien ، مندوب الامبراطور الخاص بالاسكندرية للأشراف على تنفيذ أوامره الامبراطورية ، التى تقضى باضطهاد المسيحيين . فاستقل سفينة متجهة الى الاسكندرية . توجه رأسا بملابسه القروية ، الى حيث كان يحاكم المسيحيون . **تقدم نحو مذبح البخور بقاعة المحكمة ، وبضربة واحدة**

---

(٩) كانت مدينة عظيمة وعاصمة لكل مصر السفلى وعلى بعد ميل من فرع شطانوف الشرق .

(١٠) السنكسار تحت يوم ١٤ بشنس .

Les Saints d'Egypte T. 2, pp. 471-475.

(١١) كانت تسمى فى عهد الفراعنة بيرومى Peromi ومعناها قرية الطين . ومحلها الآن بلدة التينه شرق بورسعيد . وكان موقعها خطيرا وكانت تعتبر مفتاح مصر.

ألقى به على الأرض ، وأخذ يوبخ القاضى على وحشيته ...

انقض عليه الجند وبعد أن أوسعوه ضربا ، كبلوه بالقيود الحديدية والقوه فى السجن ، حيث كان يثبت المعترفين ويشجعهم ، مما أثار القاضى أكثر . مثل أمام المحكمة ولما سئل عن اسمه اجاب « مسيحى » . وعذب كثيرا ومنها تمزيق عضلات جسمه بالموس .

كانت تجلس فى مقدمة الصفوف فتاة عمياء أحست بقلبها بآلام الشهيد فبكت تأثرا ... **انتثر دمه ووقعت نقطة من دمه على عين تلك الفتاة فأبصرت فى الحال ، وصاحت وأحدثت ضجة فى المحكمة** ، وازدحم الناس حولها ، وآمن كثيرون وهم يمجدون الله ... وخشية حدوث معجزات أخرى وايمان آخرين أنهى القاضى حياة ابيماخوس بقطع رأسه على حجر ...

+ أبا قسطور القس :

من أهالى بردنوها مركز مطاى محافظة المنيا بصعيد مصر . ظل خادما لمذبح الله نحو ثمانين عاما بين شماس وكاهن . متزوج وله أبناء ، ومع ذلك قرن خدمة المذبح بحياة النسك . ابان اضطهاد ديوكلتيانوس ، كان مداوما على تثبيت رعيته وافتقاد المعترفين المسجونين .

سمع عنه والى القيس[١٢] فقبض عليه وأذاقه ألوانا من الأهوال : جلدوه بالسياط ، وضعوه فى الهنبازين ، ثم فى مستوقد حمام . وفى كل ذلك كان الرب يقيمه سليما معافى ... لما تعب منه والى القيس ، أرسله مقيدا بالسلاسل مع بعض المعترفين الى والى الاسكندرية . وهناك عذب بألوان أخرى من العذاب ، ومنها شرب السم الذى قدمه له ساحر يدعى سيدراخس . رشم عليه بعلامة الصليب فلم يؤذه ، فآمن الساحر سيدراخس وحكم عليه بالموت حرقا ، **وبسبب هذه المعجزة آمن واعترف تسعمائة وعشرون شخصا أكملوا شهادتهم مع سيدراخس حرقا بالنار .**

---

(١٢) مدينة القيس كانت قديما مقرا لأسقفية ، وحاليا قرية صغيرة قرب بنى مزار .

أما أبا قسطور فوضع فى خلقين زيت مغلى فلم يمت . تراءى له السيد المسيح ومعه الملاكان ميخائيل وغبريال فى السجن فى رؤيا .. وأخيرا أكمل جهاده بقطع رأسه بالسيف فى اليوم السابع عشر من شهر توت .

(ثالثا)

ايمان أفراد

+ كورونا Corona

شابة صغيرة عمرها ١٦ سنة ، كانت زوجة لأحد الجنود ، ولم يمض على زواجها سوى أربعة عشر شهرا . آمنت أثناء تعذيب الشهيد بقطر ، ورأت ملاكين كل منهما يحمل اكليلاً . أحدهما لبقطر ، فاندفعت هى وأعلنت ايمانها لتفوز بالثانى . وقد أوردنا خبرها فى ثنايا حديثنا عن هذا الشهيد(١٣) .

+ استشهاد قزمان ودميان وأخوتهم وأمهم(١٤)

فى عهد ديوكلتيانوس ، أمام الوالى ليسياس ، اعترفوا الاعتراف الحسن وعذبوا بألوان عذاب مختلفة . وأخيرا أمر الوالى أن يقيدوا ، ويلقوا فى البحر مقيدين بالسلاسل . لكن ملاك الرب حطم هذه السلاسل وأنقذهم ، وأعادتهم أمواج البحر الى الشاطىء سالمين . فتعجب الجميع وآمن البعض ، ومنهم الجنود الذين كانوا قد ألقوهم فى اليم ، واعترفوا واستشهدوا . وبعد سلسلة من العذابات الاخرى ، ختمت حياتهم بشهادة الدم ، وقطعت رؤوسهم جميعا بالسيف ...

+ أوكسنتيوس القس ويوستراتيوس ويوجينيوس(١٥)

فى عهد ديوكلتيانوس كانت المسيحية قد أصبحت راسخة فى اقليم كبادوكية وما حوله ، حتى أن أرمينيا المتاخمة ، أصبح يحكمها ملك مسيحى . ولذا فقد

---

(١٣) راجع ص ١٦٦ بالكتاب .

(14) Dictionary of Christian Biogyaphy Vol. 1. p. 691.

(15) Mason: Historic Martyrs of the Primitive Church.

رأى ديوكلتيانوس ، أن يسند حكم كبادوكية وما حولها الى حاكمين عرف عنهما الصرامة والقسوة ومقت المسيحية . كان أحد هذين الحاكمين يدعى ليسياس .

كان على رأس المسجلين فى ديوان ليسياس رجل مسيحى محنك يدعى يوستراتيوس . وقد غذى وجدانه ، ما رآه من معجزات صاحبت تعذيب المعترفين ، ومناظر أكره على مشاهدتها تختص بتعذيبهم ... وكلف ذات يوم أن يستدعى للمحكمة قسيسا يدعى أوكسنتيوس Auxintius ، كان قد اعترف اعترافا حسنا أمام ليسياس . وفى أثناء المحاكمة ، أبدى يوستراتيوس اعجابه بالقس ، فأعلن هو أيضا مسيحيته .

كان يوستراتيوس قد أمضى فى وظيفته كسكرتير عسكرى للوالى سبعة وعشرين سنة . وكلن أن جلب له اعترافه هذا التعذيب بالنار ، فكان يبتسم للألم . وسأله الحاكم المغتاظ : « أتريد أن أفكر لك فى شىء آخر بسيط يسليك ؟ » رحب يوستراتيوس بالاقتراح . أمر الحاكم أن يؤتى بمحلول ملح مركز يضاف ، اليه خل ، وتحك مواضع حروقه بقطع من الفخار ، ثم يصب عليها من المحلول . لكن يوستراتيوس احتمل كل ذلك فى هدوء .

وكان أحد مرؤوسيه ويدعى يوجينيوس Eugenius حاضرا . فلما رأى ثباته الرائع ، صاح هو الآخر « أنا مسيحى ، وألعن ديانتكم ، ومصمم على مقاومة رغباتكم وأوامركم » . بعد ذلك أجريت عليهم صنوف التعذيب الرهيبة دون جدوى . أخيرا أعلن الحاكم أنه من العسير عقاب هؤلاء الناس لان ذلك يقتضيه وقتا طويلا هو أحوج ما يكون اليه فى تدبير شئون البلاد ، فأمر بوضعهم فى القيود الحديدية مع سواهم ممن سيستجوبون .

وحين أسدل الليل ستاره سار الوالى فى رحلة الى مدينة نيكوبوليس Nicopolis ، وأصدر أوامره بأن يسير السجناء المسيحيون فى أثره . ووضعت المسامير فى أحذيتهم لتجعل السير شاقا . وفى اليوم التالى مرت الرحلة بمكان يسمى أروراكا Arauraca ، وكان هو موطن يوستراتيوس ويوجينيوس ، وفى أثناء سيرهم أنضم اليهم كثيرون .

أخذ الوالى يحاول مع اوكسنتوس الكاهن لعله يرجع عن ثباته ، فأجابه « سأقول لك فى ايجاز : تشهد على عدالة السماء التى تسجل كل شىء أن تفكيرى لن يتحول . واننى أعرف الها واحدا ، ولست أعرف سواه » . فأمر الوالى ببتر رأسه .

وحدث أن استدعى الوالى مسيحيا آخر يدعى مارداريوس Mardarius — وكان قد انضم اليهم مؤخرا — وخشى الرجل أن يسخر الوالى منه لأنه لم يكن مثقفا . فتوسل الى يوستراتيوس « صل عنى ، وأخبرنى كيف أجيب على أسئلة هذا الذئب ؟ » . فأجابه يوستراتيوس « لا تقل شيئا يا أخى سوى : انى مسيحى . انى خادم المسيح » . فعل الرجل حسب هذه النصيحة . فما كان من الذئب الا أنه أمر بأن يعلق الرجل ورأسه الى أسفل فى حبل يخترق عقبيه ، وأن توضع عليه قيود حديدية محماة . فما لبث أن قضى الرجل نحبه وشفتيه ترددان الشكر لله . وسرعان ما لحق به يوستراتيوس ويوجينيوس .

(رابعا)

إيمان سحرة

+ كانت المعجزات التى تحدث مع الشهداء أثناء تعذيبهم ، ينسبها الولاة لقوة السحر . ولذلك استعان بعض الولاة بالسحرة ، لابطال مفعول سحر هؤلاء المسيحيين . لكن السحرة بسحرهم وقفوا عاجزين أمام قوة اله المسيحيين ، فأعلنوا عجزهم ، وبعضهم آمن وأعلن ايمانه واستشهد . ومن أمثلتهم :

أثناسيوس الساحر[١٦] فى قصة مارجرجس الكبادوكى .

وسيدراخس الساحر[١٧] مع أبا قسطور القس .

اسكندر الساحر[١٨] مع ابسخيرون القلينى .

وساحر مجهول الاسم[١٩] مع الشهيد بقطر الجندى .

---

(١٦) أنظر هذا الكتاب ص ١٨٧

(١٧) أنظر هذا الكتاب ص ١٧٧

(١٨) أنظر هذا الكتاب ص ١٩٤

(١٩) أنظر هذا الكتاب ص ١٦٤

فئات الشهداء ونماذج من بطولاتهم

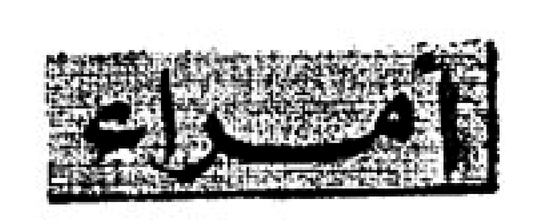
جاء المسيح مخلصاً للجميع .. إلهاً للعالم أجمع ، فادياً للبشرية كلها . فآمن به من كل الفئات والأجناس والأعمار ، والطبقات ، والثقافات ، فى كل أنحاء الدنيا ...

وحينما تصدت الامبراطورية الرومانية للمسيحية تحاربها بكل قوتها ، كان أمرا طبيعاً أن يتقدم للشهادة من كل فئات المؤمنين ، مؤلفين بذلك باقة جميلة من الزهور المختلفة ، من كل الألوان وقدموها للآب السماوى ...

والمرء تأخذه الدهشة للقوة التى جمعت أولاد الله من كل الفئات والأوضاع الاجتماعية والثقافات والأجناس فى باقة واحدة متجانسة ... لا شك أنها قوة محبة الله التى ملأت قلوبهم وسيطرت على عواطفهم ، وملكت عليهم افكارهم ...

كنت ترى الأمير وقد احتقر مجد هذا العالم ، حاسبا عار المسيح غنى أفضل من كل الكنوز الأرضية .. والأم وقد أحبت الله أكثر من أطفالها متممة بذلك وصية الرب ... والفتيان ، والفتيات ، والصبيان .. كل هؤلاء اقتدوا بالكبار ، وأعلنوا ايمانهم فى قوة عجيبة تفوق قدرة البشر .. أما الأطفال ، فقد لحقوا بركب الاستشهاد وانضموا اليه ، بعد أن أعلنوا مسيحيتهم ... لقد كانت الكلمات الأولى التى تلقتها الأم المسيحية لطفلها وهى تعلمه النطق « أنا مسيحى » !

ونود الاشارة الى أن أسماء الشهداء التى أوردناها هنا ليست سوى أمثلة فقط ... أما الشهداء بحسب أسمائهم وأعدادهم ، فأمر لا يحصيه غير الله ، ولا يعلمه سواه ... كما أنه يأتى فى مقدمة الشهداء المسيحيين جميعا رسل ربنا يسوع المسيح . لكننا لم نتناولهم فى هذا الكتاب . بل تحدثنا عن الشهداء الذين أتوا من بعدهم ...



أمراء

• يسطس بن نوماريوس الملك ، وزوجته ثاؤكليا ، وابنهما الفتى أبالى[١] :

استشهدوا جميعا فى عهد ديوكلتيانوس بعد أن تقدموا طواعية واختيارا وسعوا نحو الشهادة بأنفسهم . أرسلهم الى أرمانيوس والى الاسكندرية ، الذى أرسل يسطس الى أريانوس والى أنصنا ، وثاؤكليا الى مدينة صاالحجر[٢] وابالى الى مدينة بسطه[٣] . وبعد التعذيب قطعت رؤوس الجميع .

• بهنام بن سنحاريب ملك الفرس وسارة أخته[٤] :

كانوا يعبدون النار ، وأعلن فى حلم لبهنام أن يلتقى بالناسك متى فوق جبل معين وسيعرفه طريق الحياة . تمم ما رآه فى الحلم وآمن على يد هذا الناسك . وكانت سارة أخته مريضة فأحضروها له فشفاها ، بعد أن آمنت . لكن لما علم الملك بخبر ايمانهما أمر بقتلهما .

• كوبتلاس بن سابور ملك الفرس ، واخته اكسو ، وصديقه طاطس[٥] :

كان طاطس رئيسا على احدى المقاطعات ، وكان مسيحيا ، فوشى به لدى الملك فأمر بتعذيبه . ألقى فى أتون نار ، لكنه رسم على النار بعلامة الصليب فانطفأت . هذه المعجزة كانت سببا فى ايمان كوبتلاس خصوصا بعد أن رسم علامة الصليب على النار فتراجعت الى الوراء ، وكانت النار تعبد فى بلاد فارس ، أمر الملك بقطع رأس طاطس ، وسجن ابنه بعد تعذيبه أرسل اليه أخته

(١) السنكسار ــ مخطوطة ٢٧٠ ميامر بدير السريان .

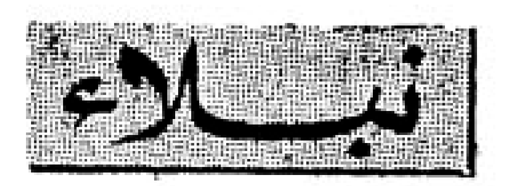
(٢) صا الحجر أو مدينة سايس ، كانت عاصمة الدلتا فى عهد أبسماتيك (الاسرة الفرعونية ٢٦) . كانت تقع على فرع رشيد جنوبى فوه .

(٣) قرب مدينة الزقازيق الحالية .

(٤) سنكسار ١٤ كيهك .

(٥) سنكسار ٢٢ توت .

فى السجن لتثنيه عن ثباته ، فأقنعها وأرسلها الى أحد الكهنة سرا فعمدها . وذهبت واعترفت أمام أبيها بايمانها المسيحى . أمر الملك بتعذيبها فماتت تحت التعذيب . أما كوبتلاس فربط فى ذيل فرس ، وسحل على الجبال حتى فاضت روحه .



• **ماربقطر بن رومانوس(٦) :**

كان أبوه وثنيا ووزيرا لديوكلتيانوس ، أما أمه فكانت مسيحية ، فنشأ هو مسيحيا نقيا حريصا على ايمانه . ولما قطعت رأس القديسة ثاؤدوره أم الشهيدين قزمان ودميان ، بقى جسدها مطروحا لم يجسر أحد أن يدفنه . فصرخ قزمان قائلا : « يا أهل هذه المدينة ؟ » أما يوجد أحد قلبه رحيم يتقدم فيستر هذه الأرملة العجوز ويدفنها ؟ عندئذ تقدم بقطر بن رومانوس وأخذ الجسد وكفنه ثم دفنه غير مبال بأمر ديوكلتيانوس .

وفى مرات كثيرة كان يبكت والده على عبادته للأوثان . فأبلغ هذا الكلام الى مسامع ديوكلتيانوس ، الذى استحضر بقطر وخاطبه فى أمر عبادة آلهة الدولة . **فما كان من بقطر الا أن حل منطقة الجندية ورماها فى وجهه قائلا له : « خذ ما أعطيته لى »** فأشار أبوه على الامبراطور أن يرسله الى الاسكندرية ليعذب هناك . وفى الاسكندرية عذبه واليها أرمانيوس عذابا عنيفا ، ثم أرسله الى أريانوس والى أنصنا ، الذى قطع لسانه وقلع عينيه . وكان الرب يقويه ويقيمه سليما معافى .

وكانت الى جوار موضع التعذيب فتاة تنظره ، فرأت أكليلا نازلا من السماء على رأسه . فذهبت واعترفت بذلك أمام الوالى وجمهور الحاضرين فأمر الوالى بقطع رأسها مع القديس بقطر ، ونالا اكليل الشهادة .

---

(٦) سنكسار ٢٧ برمودة ــ مخطوطة ٢٥٩ ميامر بدير السريان .

- **أبولونيوس :**

عضو مجلس السناتو (الشيوخ) فى روما . وقد أشرنا اليه قبلا(٧) .



ولاة

- **أريانوس والى أنصنا :**

وقد تكلمنا عن ايمانه واستشهاده(٨)

- **أركانيوس والى سمنود ، وسوكيانوس والى أتريب**

وقد تكلمنا عن ايمانهما واستشهادهما(٩)

- **مرقس والى البرلس والزعفران والد الشهيدة دميانة :**

كان مسيحيا وزوجته مسيحية ولم يرزقا سوى دميانة التى أحسنا تربيتها . وفى الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس ، طلب اليه مع بقية الولاة أن يصحبه الى الهيكل ليبخر للأصنام معه . ضعف مرقس وخاف على فقدان مركزه ، فأشترك فى التبخير للآلهة . وما أن سمعت دميانة بالخبر حتى تركت عزلتها وقابلت والدها وبخته بقولها « كان الأهون على نفسى أن أسمع خبر انتقالك الى دار الخلود من أن أسمع أنك أنكرت فادينا الحبيب » . ألهبت هذه الكلمات قلبه ، فذهب لفوره وقابل ديوكلتيانوس ، وندم أمامه على ما أتاه .

وأعترف بالايمان المسيحى فأمر الطاغية بقطع رأسه .

- **يوحنا الهرقلى(١٠) :**

من هرقلية بآسيا الصغرى وكان أبوه واليا فى عهد ديوكلتيانوس ، وتربى

(٧) أنظر ص ١٤١ تحت باب محاكات الشهداء وأحاديثهم الخالدة .

(٨) أنظر ص ١٧١ .

(٩) أنظر ص ١٦٩ .

(١٠) مخطوطة ١٥٥/٢٢٠ (أ) بالمتحف القبطى .

تربية مسيحية ـــ ولما تنيح والده صار واليا عوضا عنه وهو فى سن العشرين . تقابل مع ديوكلتيانوس ، ورفض تقديم العبادة للاله أبولون ، ووبخ الملك فألقاه فى سجن ، حيث أظهر الرب يسوع ذاته له فى رؤيا ، فقواه وشجعه .

أراد ديوكلتيانوس أن يخادعه فأرسله الى مصر ليجمع الخراج ، ويجدد برابى الأصنام المتهدمة ... فاتخذ القديس من ذلك سببا ، وشرع يهدم البرابى وفى محفل جمعه مع الوالى سرياقوس ـــ وكان يعذب المعترفين المسيحيين ـــ أبصر ملائكة تضع أكاليل سمائية على رؤوسهم ، فصاح قائلا : « أنا مسيحى » بعد ملاطفة لم تفلح ، أمر الوالى أن يقيدوه بالسلاسل ويرسلوه الى أريانوس والى أنصنا ، مع بقية المعترفين .

وهناك علق على الهنبازين ، وضربوه بالسياط حتى سال دمه على الارض سلخوا جلده ، وأتوا بمسح شعر ، وكانوا يحكون بها جراحاته ... وضعوا جمر نار تحت جنبه ، وأسياخ محماة بالنار على وجهه ، وكووه بقضبان حديدية محماة ... ربط الى ذيل فرس ، وسحل ووجهه الى الأرض ... وأخيرا قطعت يداه ورجلاه ثم رأسه بحد السيف فى نواحى القوسية بجوار أسيوط فى الرابع من بؤونة .

• يعقوب[١١] (المقطع) :

نشأ باحدى مدن بلاد فارس ، من أسرة مسيحية عريقة فى حسبها وثروتها . وتولى مناصب مختلفة فى بلاط الملك يزدجرد الأول Isdigerd ، الذى كان وثنيا من عبدة النار . لكنه كان يعطف على المسيحيين ، حتى قيل انه فى سياسة مملكته كان يأخذ مشورة ماروتا أسقف تكريت فى بلاد ما بين النهرين ، وعبدا مطران العاصمة الفارسية . لكنه غير سياسته نحو المسيحيين فى أواخر عهده ، نتيجة سوء تصرف عبدا هذا ، الذى وضع نارا فى هيكل لعبادة النار بقصد احراقه ، فأحرقته ودمرته . ولما طلب منه الملك أن يعيد بناءه على نفقة المسيحيين رفض على اعتبار ان هذا العمل تشجيع للعبادة الوثنية . فاغتاظ الملك وأمر باعدامه .

---

(١١) سنكسار ٢٧ هاتور .

Dictionary of Christian Biography, Vol 3, p. 336.

وبسبب هذا الحادث أشعل الملك نار اضطهاد ضد المسيحيين فى بلاده . ومن الذين ضعفوا أمام الاضطهاد يعقوب الذى أنكر ايمانه المسيحى . وسرعان ما مات الملك يزدجرد ، وخلفه ابنه فارارانس الرابع Vararanes .

أما أم يعقوب وقرينته فحزنتا لسقطته وطلبتا اهتدائه بالحاح ، فكتبتا اليه بعد موت الملك يزدجرد : « قد عرفنا منذ زمان أنك رفضت محبة الاله الذى لا يموت اكراما للملك ، وحبا فى حطام الدنيا وكراماتها . لكن ماذا حل بمن اعتبرته اعتبارا عظيما ؟ لقد فاجاءه الموت وصار رمادا . فلم يبق لك وجه للرجاء به ، ولا يقدر أن يخلصك من العذاب الابدى . وأعلم انك اذا بقيت فى اثمك يقضى عليك العدل الالهى بهذا العذاب كما قضى على حبيبك الملك . أما بالنسبة لنا ، فلا نريد أن يكون بيننا وبينك أية علاقة » .

تأثر يعقوب من هذه الرسالة تأثرا شديدا وتأمل فى عظم خطيته وبشاعتها ، فأعلن ايمانه المسيحى . فلما بلغ الملك فارارانس أمر عودته للمسيحية استدعاه . اعترف أمامه بشجاعة ، فغضب ، ودار بينهما حوار ، أثبت فيه يعقوب تمسكه بالايمان المسيحى ، فأمر أن يعذب ثم يقطع عضوا عضوا . وقبيل البدأ فى تعذيبه ، طلب مهلة ، صلى فيها ، ثم أسلم نفسه للمعذبين ...

بدأوا فى قطع أسابع يده اليمنى ، أصبعا وراء أصبع ... ثم انتقلوا الى اليد اليسرى ، وبعد ذلك بدأوا يقطعون أصابع الرجلين ، ثم قطعوا رجليه ويديه وذراعيه وفخذيه واحرقوها ... وكان فى كل هذا يشكر الله متعزيا . أخيرا تقدم أحد الحراس وقطع رأسه ... ولهذا السبب سمى بالمقطع . وكان استشهاده فى سنة ٤٢١ .

ضباط عظام

- **مرقوريوس[١٢] (أبو السيفين) :**

ولد فى أوائل الجيل الثالث المسيحى من أبوين مسيحيين ، ودعى باسم فيلوباتير . ولما كبر انتظم فى سلك الجندية ، وأعطاه الرب قوة وشجاعة اكسبته ثقة ورضى رؤسائه فأسموه مرقوريوس ، وأصبح مقربا الى الامبراطور ديسيوس (٢٤٩ــ٢٥١) ، الذى كان شديد البغضه للمسيحيين ، وكان عهده عهدا أسودا عليهم . وفيما هو خارج ذات مرة فى أحدى المعارك ، **ظهر له ملاك الرب فى شبه انسان بلباس أبيض ، وأعطاه سيفا قائلا له : « اذا ما غلبت أعداءك فأذكر الرب الهك »** .

فلما غلب أعداءه وعاد ظافرا ، ظهر له نفس الملاك ، وذكره بقوله الاول بعد ذلك رفض أن يخر للأوثان .. وبعد احتمال ألوان كثيرة من العذاب أرسله ديسيوس مقيدا الى قيصرية حيث قطعت رأسه حوالى سنة ٢٥٠ .

- **جورجيوس الكبادوكى[١٣] (مارجرجس) :**

ولد حوالى سنة ٢٨٠ فى أحدى مدن أقليم كبادوكية من أسرة شريفة مسيحية . مات أبوه فى الرابعة عشر من عمره ، فرحلت أمه الى بلدة اللد بفلسطين وهو موطنها الأصلى ، حيث كان لها ثروة وممتلكات هناك . التحق بخدمة الجيش برتبة قائد مئة ، وسرعان ما ترقى حتى أصبح مشيرا فى ديوان ديوكلتيانوس . توفيت والدته وهو فى سن العشرين ، فأنطلق الى مدينة نيقوميدية مركز المملكة الشرقية ، حيث كان يقيم ديوكلتيانوس .

وبعد أن أصدر ديوكلتيانوس مراسيمه باضطهاد المسيحيين فى ٢٣ فبراير سنة ٣٠٣ ، عتق عبيده ووزع أمواله وثروته ، وبدأ يستعد للاستشهاد **قيل انه هو**

---

(١٢) سنكسار ٢٥ هاتور .

(13) Dictionary of Christian Biography Vol. 2, pp. 645-648.

الشاب الذى مزق منشور ديوكلتيانوس وكان معلقا على حوائط قصره فى مدينة نيقوميدية ، لكن يبدو أن هذا الرأى لا تؤيده الأسانيد القوية .

دخل على ديوكلتيانوس وبدأ يوبخ الملك على مراسيمه ضد المسيحيين ، وأعلن مسيحيته — وكان ديوكلتيانوس لا يعلم قبلا أنه مسيحى . **أمر ديوكلتيانوس بطرده من المحفل وأيداعه السجن . وبدأ سلسلة مروعة من العذابات** .

وفى السجن وضعوا رجليه فى المقطرة ، ووضعوا فوق صدره حجرا كبيرا ثم وضعوه فى الهنبازين حتى تمزق لحمه . وشوهد الى جانب الهنبازين انسان وجه يشع نورا وفى ثياب بيضاء . أختفى هذا المنظر ، وبعدها شوهد القديس فى معبد أبولون معافى ، سليما ، طليقا ، من جميع قيوده ، حيث كان ديوكلتيانوس قد ذهب ليقدم ذبيحة شكر لأبولون لخلاصه من جورجيوس .

أمر ديوكلتيانوس بطرحه هذه المرة فى حوض مملوء من الجير الحى ليحترق ، ويمكث مطمورا فيه ثلاثة أيام . فى نهاية الأيام الثلاثة أرسل ديوكلتيانوس جنوده ليجمعوا بقايا جورجيوس ويلاشوها ، فوجدوه حيا بمنظر بهى ...

كان ديوكلتيانوس ينسب كل هذه القوات لمفعول السحر .

ألبسوه حذاء من حديد وفيه مسامير محماة بالنار ، وكانوا يضربونه بالعصى ليمشى وكان يهزأون به . أحضر فى اليوم التالى أمام ديوكلتيانوس يسير فى قامة معتدلة وكأن شيئا لم يكن .

اغتاظ الملك وأمر أن يجلد بأعصاب البقر بكل قسوة ، حتى سال دمه على الأرض . وفى كل ذلك ظل جورجيوس محتفظا بهدوئه وبشاشته . فقال الملك أن إحتمال جورجيوس ليس صادرا عن فضيلة وشجاعة بل عن صناعة السحر .

استدعى ساحر ماهر يدعى اثناسيوس ، وجهز، له مشروبين فى كأسين : الأول استخدم فيه سحره بقصد أن يأتى القديس جورجيوس نادما خاضعا للملك بعد أن يشربها ، واذا لم تؤثر فيه يعطى الكأس الثانى ، وفيها سم قاتل . لكنه شرب الكأس الأولى بعد أن رشم عليها بعلامة الصليب فلبث كما هو .

فقالوا له أن هذه العلامة هى السحر بعينه . فربطوا يديه خلف ظهره وقدموا له الكأس ليشربها ، فقال لهم مشيرا برأسه : أتريدونى أن أشربها من هنا أم من هنا أم من هنا أم من هنا ... وهو بحركة رأسه هذه رسم علامة الصليب أيضا على الكأس دون أن يفطنوا ذلك ، ثم شربها فلم يقتله السم .

فى كل هذه المرات التى عذب فيها القديس ، كان يدور نقاش طويل شيق بين جورجيوس وديوكلتيانوس . وبعد حادث السم قال القديس جورجيوس معلقا « لقد وعدنا المسيح بأن من يؤمن به يعمل الأعمال التى عملها هو » . فاستفسر منه الملك عن الأعمال التى عملها . فأخذ القديس يعدد أعمال المسيح المعجزية ، ومنها أقامة الموتى .. فالتفت ديوكلتيانوس الى أثناسيوس الساحر ، وسأله عن رأيه فى هذه الأعمال التى ذكرها جورجيوس ... أجاب الساحر نحن لم نسمع أن انسانا استطاع أن يقيم ميتا ، ثم أرشدهم عن انسان يعرفه هو معرفة شخصية ، كان قد مات أخيرا ، ودفن منذ وقت قصير . وقال ان استطاع جورجيوس أن يقيم هذا الميت فنحن نكرم الهه لأنه قادر على كل شىء ... **وفعلا أستطاع القديس جورجيوس بالتضرع الى الرب يسوع أمام الجميع أن يقيم هذا الميت** ... آمن اثناسيوس الساحر(*) ولكن الملك وأكابر مملكته ، بسبب عنادهم نسبوا المعجزة للسحر ... حكم الملك بأن يقتل أثناسيوس الساحر فى الحال بضربه بالبلطة هو والميت الذى قام من الموت ، فماتا لوقتهما ...

وبعد هذه السلسة الطويلة من العذابات رأى الرب يسوع فى حلم ، وشجعه وأعلمه بقرب أنطلاقه من سجن الجسد ، ووضع على رأسه أكليلا ... أما ديوكلتيانوس فلم ييأس من الظفر بالقديس . وفى محاولة أخيرة استخدم معه اللين والكلام المعسول ، وطلب اليه أن يصحبه الى معبد أبولون . فوافق الشهيد وذهب معه . وهناك خاطب الصنم ليفصح عن حقيقته . وحينئذ نطق الشيطان من التمثال وقال مرغما « أنا لست الها ، لا أنا ولا أى صنم مثلى . لكن الاله هو واحد فقط . وهو من تنادى به ... » وبعد ذلك سقطت التماثيل وتحطمت .

(*) تقول احدى الروايات أن أثناسيوس الساحر آمن بالمسيح بعد أن شرب مار جرجس السم الذى أعده هذا الساحر ولم يؤثر فيه .

حينئذ هاج كهنة الأوثان ووثبوا على القديس ، وهيجوا كثيرين من الشعب الحاضر ، فوثبوا على الشهيد وقيدوه ، ثم صرخوا نحو الملك قائلين « أرفع هذا من الحياة ، فأننا لم نعد نحتمل رؤية هذه المناظر » ...

أخيرا حكم عليه بقطع رأسه بالسيف ... وفى مكان الاعدام صلى صلاة حارة ومد رقبته للسياف فقطع هامته . ونحتفل بتذكار استشهاده فى ٢٣ برمودة .

هناك رواية تقول ان الملكة اسكندره زوجة ديوكلتيانوس استشهدت مع القديس جورجيوس . على أن هناك رواية أخرى ، يرويها لكتانتيوس الذى كان معاصرا لديوكلتيانوس . فيقول ان اسكندره وفاليريا ابنتها (زوجة جاليريوس) — المسيحيتين ، أقامتا معا بعد اعتزال ديوكلتيانوس الحكم ... وبموت جاليريوس ، وقعتا فى يدى مكسيمينوس المتعصب الذى صادر كل ما تمتلكان ، ونفاهما إلى سوريا ، وعبثا حاولتا الخلاص من المنفى ولما أصبح ليكينيوس سيدا على الشرق بعد انتحار مكسيمينوس . توجهتا اليه فى نيقوميدية واستقبلهما فى قصرة بترحاب . ولكن بعد انقلاب ليكينيوس على قنسطنطين واضطهاده للمسيحيين ، هربتا . ولمدة خمسة عشر شهرا ظلتا تتجولان متنكرتين فى ثياب فقيرة فى الأقاليم التى كانتا فيها يوما ملكتين . وأخيرا كشف أمرهما فى تسالونيكى ، وقتلتا وطرحت جثتاهما فى البحر[١٤] .

• سرجيوس وواخس :

كانا قائدين كبيرين فى الجيش الرومانى تحت ولاية جالريوس ومكسيمينوس ولما دعيا ذات مره لحضور الاحتفال بذبيحة كانت ستقرب للآلهة ، رفضا بثبات فحمى غضب القيصر عليهما ، وجردهما من رتبهما وملابسهما العسكرية . وأمر أن توضع عليهما ثياب نسائية فى حضوره ، وأن يوضع القيد الحديدى فى عنقيهما ، وأن يمر بهما بين الجنود فى هذه الحالة ، حتى ما يعتريهما الخزى والمهانة . ولقد احتمل القديسان بكل شجاعة هذه الاهانات . ثم احالهما الى

(14) Lactantius: de Mortibus Persecutorum, cc. 39-41, 50. 51.

أنطيوخس حاكم سوريا لكى يعذبهما .

واذ فشل فى كل محاولاته لردعهما ، أمر بأن يصلب واخس عاريا ، ويجلد جلدا قاسيا بأعصاب البقر . فأسلم روحه تحت هذا التعذيب الوحشى أما القديس سرجيوس فبعد أن اجتاز سلسلة من العذابات المريرة ، أثبت فيها صلابة وايمانا ، أمر بقطع رأسه فنال أكليل الشهادة .

- تاوضروس الشطبى[١٥] (الأسفهسلار) :

ولد فى أخائية وتربى فى هرقلية على البحر الأسود . وقد سمى بالشطبى نسبة الى بلدة شطب بصعيد مصر بجوار أسيوط ، لأن والده ويدعى يوحنا كان من قرية تدعى تابور تبع شطب . تجند والده وأرسل الى أنطاكية ، وهناك تزوج بأبنة أحد الامراء ، وكانت وثنية ، فرزق منها هذا القديس . ولما عرفت أن زوجها يوحنا مسيحى ، حاولت أن تشركه فى عبادتها الوثنية فرفض ، فغضبت عليه وطردته . أما الصبى فبقى مع أمه الى أن كبر وتثقف ثقافة عالية ...

ويبدو أنه من أجل صلوات أبيه أنار الله بصيرته ، فآمن بالمسيحية واعتمد . وقد شق على أمه سماعها هذا الخبر . التحق بخدمة الجندية وتدرج فيها حتى وصل الى منصب اسفهسلار (قائد حربى) ، فى زمان ليكينيوس قيصر . أعلمه أحد غلمانه بقصة أمه مع أبيه ، فسافر الى صعيد مصر ، وعاش مع أبيه لحين وفاته . ثم عاد الى اخائية وقت اضطهاد ليكينيوس واعترف أمامه الاعتراف الحسن بالمسيح الرب مخلصا . وبعد سلسلة من العذابات حكم عليه بالحرق حيا وكان ذلك سنة ٣٢٠م .

- مار مينا (العجائبى)[١٦] :

هو أشهر الشهداء المصريين قاطبة . ونال شهرة لم ينلها أى شهيد مصرى آخر سواء داخل مصر أو خارجها . ولعل السبب فى ذلك هو العجائب الكثيرة التى أجراها الرب بشفاعته . ولقد عثر الباحثون على قنينات صغيرة عليها رسمه

---

(١٥) سنكسار ٢٠ أبيب ، مخطوطة ٢٧٤ ميامر بدير السريان وضعه البابا الاسكندرى بنيامين ٣٨ .

(١٦) الشهيد المصرى مار مينا العجايبى : كنيسة مار مينا بفلمنج (سنة ١٩٦٣) .

واسمه ، فى بقاع مختلفة من العالم ، كان يحملها من يزور كنيسته ورفاته الى ذويهم فى مواطنهم ، وفيها زيت أو ماء من المنطقة .

كان مسيحيا بمولده ، وقد حملت به أمه بوعد الهى . كان شريفا اذ كان أبوه حاكما لأحد الأقاليم المصرية وكذلك عمه ، وكان جده لأبيه حاكما أيضا ولد حوالى سنة ٢٨٥ ، وفقد والديه ولم يتجاوز عمره أربعة عشر ربيعا . فى سن الخامسة عشر أصبح جنديا فى الجيش فى فرقة فى أفريقيا القديمة[١٧] ، فى منصب ممتاز نظرا لمكانة والده ...

وبعد ثلاث سنوات فى الجيش ـــ فى سنة ٣٠٣ ، حينما أصدر ديوكلتيان منشوره باضطهاد المسيحيين ترك خدمة الجيش ، وتوجه الى الصحراء ليتعبد فيها ، وهناك أمضى خمس سنوات فى حياة نسكية وفى نهايتها رأى فى رؤيا ، الملائكة تكلل الشهداء بأكاليل بهية ، فاشتهى أن يصير شهيدا . وفيما هو يفكر فى الأمر سمع صوتا ينبئه أنه سينال ثلاثة أكاليل : أحدها للبتولية ، وثانيها للنسك والتوحد ، وثالثها للشهادة .

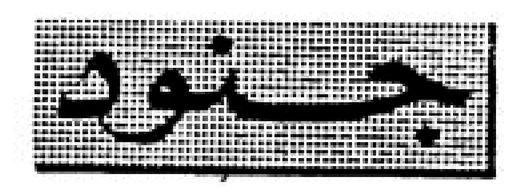
وكان مارمينا فى ذلك الوقت ، فى صحراء افريقيا القديمة . توجه الى المدينة فى ثياب ناسك ، وكان ذلك اليوم يوافق احتفال دينى كبير . تقدم إلى ساحة الأحتفال وهو يردد بصوت عال « وجدت من الذين لم يطلبونى ، وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا عنى » ...

تعرف عليه بعض العسكريين . أمر الوالى بايداعه السجن . ثم أحضر أمامه ، وبعد مناقشات ووعد ووعيد أمر بتعذيبه : ضرب بسياط من أعصاب الثيران حتى سالت دماؤه . وضعوه فى الهنبازين ، سحبوه على أوتاد حديدية حادة مدببة حتى تمزق جسده ، أخذوا يدلكون جراحه بأقمشه خشنة ، سلطوا مشاعل متقدة على جنبيه لمدة ساعتين ، ثم أمر الوالى أن يضرب بالعصى ويجلد بسياط بها قطع من الرصاص ... **واذ فشل الوالى فى زعزعة ثباته ، أرسله الى حاكم اخر .**

---

(١٧) الجزائر الحالية تقريبا .

وفى المحاكمة الثانية ، أمر الحاكم بجلده بسياط من جلد الثور ثم أحضروا منشارا لينشروه ، لكنهم وجدوا الحديد ينصهر ... وبعد فشل كل المحاولات أمر بقطع رأسه بالسيف . **وفى مكان الاستشهاد ركع الشهيد وصلى رافعا يديه الى السماء . وبعدها هوى السياف بسيفه وقطع رأسه** . ويقال أن كثيرين ممن تأثروا بشجاعته وصبره ووداعته أكملوا أيضا جهادهم معه . كان ذلك حوالى سنة ٣٠٩ ، وله من العمر ٢٤ سنة .



• تاوضروس المشرق(١٨) :

وهو جندى ، وسمى بالمشرق ، لأنه ولد فى أحدى بلاد المشرق كما ذكر ذلك القديس غريغوريوس أسقف نيصص ، حيث كانت تحتفظ كنيسة تلك البلدة بذخائر هذا القديس وقد ذكر البعض مدينة صور مسقطا لرأسه ، لكننا لا نستطيع أن نقطع بصحة هذا الرأى . عسكر مع فرقته فى مدينة أماسيا Amasea عاصمة أقليم البنطس بآسيا الصغرى ، لكنه رفض أن يقدم العبادة للآلهة الوثنية كسائر زملائه ، كان وديعا متواضعا لكنه كان شجاعا وصريحا فى الحق .

قدم للمحاكمة بحضور الوالى والقائد واعترف أمامهما الاعتراف الحسن ، ووبخ نفاقهما وعبادتهما للأصنام . لكنهما أخذا من حرارة ردودة وقوتها . واذ أرادا أن يتدبرا الامر ، منحاه فرصة للتفكير والتروى والتعقل . وقد استغل هو هذه الفرصة فى أن أشعل النار فى معبد وثنى لأم الآلهة ، كان مقاما فى وسط المدينة على شاطىء نهر الأيرس Iris .. فاحترق المعبد عن آخره وتحول الى رماد . واعترف بكل جراة بأنه هو الفاعل . فكان نتيجة ذلك أن **عذب بلا رأفة ، فجلدوه بالسياط وعذبوه بأنواع مختلفة ... لكنه ظل هادئا يرتل**

---

(١٨) السنكسار مخطوطة ٢٦٨ ميامر بمكتبة دير السريان ميمر كتبة تاوضروس رئيس أساقفة انطاكية .
Dictionary of Christian Biography, Vol. 4, pp. 956-957.

المزمور القائل « أبارك الرب فى كل وقت ، وفى كل حين تسبحته فى فمى » ...

وقد افتقده الله فى سجنه بالملائكة الذين أضاءوا زنزانته بضوء بهى .. أخيرا صدر عليه الحكم بأن يحرق حيا ، وكان ذلك فى سنة ٣٠٦ تحت حكم مكسيمينوس وجالريوس .

• أبسخيرون القلينى[١٩] :

ولد فى قلين بمحافظة كفر الشيخ من أبوين مسيحيين . إنتظم فى سلك الجندية ، وأصبح من جند أريانوس والى أنصنا ... ولما رأى أبسخيرون أن الوالى يعذب المسيحيين ، ويفرط فى تعذيبهم بعد ورود مراسيم ديوكلتيانوس أعلن ايمانه على الملأ مبينا ضلال ديوكلتيانوس ، ولعن الأوثان . فقبضوا عليه وطرح فى السجن ...

ولما كان الوالى متغيبا فى أسيوط ، فقد أرسلوه اليه هناك ، حيث عذبوه بعذابات مرعبة . وكان الرب يقيمه منها ويقويه . أخيرا أحضروا ساحرا اسمه اسكندر ، بارعا ومقتدرا فى سحره . فتقدم هذا الساحر وصاح قائلا « يارئيس الشياطين ، اعمل فى هذا المسيحى كما تشاء » .. وإذا لم يستطع الشيطان أن يؤذى القديس إندهش الساحر فقال له القديس : « ان الشيطان الذى استعنت به على هو يعذبك ، بقوة سيدى يسوع المسيح » وللوقت صرعه الشيطان ، وبدأ يخبطه فى الأرض ، حتى اعترف بالسيد المسيح . أما جزاؤه فكان قطع رأسه .

أما الوالى فقد ازداد حنقا على القديس ، وعذبه ثانية بوحشية أكثر .. أخيرا أمر بقطع رأسه بحد السيف .

• أبا بجول الجندى[٢٠] :

كان على عهد ديوكلتيانوس ، رفض أن يقرب للآلهة شأن سائر الجنود حوكم

---

(١٩) سنكسار ٧ بؤونة .

(٢٠) عن مخطوطة بكنيسة تلا بالمنيا .

أمام كلوسيانوس والى الاسكندرية ، الذى أمر أن يعصر بالمعصرة حتى ظهرت عظامه وانحل جسده من شدة العذاب . **رفعوه عن المعصرة ، ووضعوه على سرير من حديد وأوقدوا تحته النار** .. لكن ملاك الرب حول النار الى ندى بارد ، فصرخ القديس بصوت عظيم — وهو فى وسط النار وقال « أنظر أيها الوالى وتأمل واخز ... » !

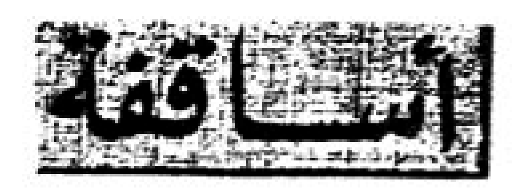
خلف كلوسيانوس وال آخر اسمه ارمانيوس ، فقال أبا بجول له « هو هو الهى يسوع المسيح ، **ولو أقمت يومين أو ثلاثة ، وأنا مربوط على هذا السرير والنار تأكل جسدى ، فلن أسمع منك** ، ولا أعبد آلهتك النجسة » . أمر الوالى أن يضرب على رأسه بالقضبان حتى سال الدم من أنفه وفمه . أمر أن يجلد مائتى جلدة على فترات ليطول عذابه ... وضع فى قدر نحاسى وأوقدوا تحته ، لكن ملاك الرب قواه ...

أرسله أرمانيوس الى أريانوس والى انصنا الذى أمر أن يرفع على الهنبازين دون جدوى ... ولما رأى ذلك أريانوس صاح فى غضب قائلا « سأرى من يقدر أن ينقذك من يدى » .. قلعوا أظافر يديه ورجليه ، وضرب بمرازب حديد على رأسه ، حتى سال الدم من فمه وانفه ، وكان الملاك ميخائيل يقويه ، حتى تعب الجندى وخارت قوتهم . **سألهم أريانوس عن سبب توقفهم عن تعذيبه فقالوا « لقد تعبنا نحن ، وهو لا يحس بالعذاب** . نحن نضرب على رأسه بالمرازب الحديد كما يضرب الحداد على السندان بالمطرقة وهو لا يتألم » فقال لهم « أصعدوه على معصرة ذات أسنان حادة كالمنشار » رشم عليها القديس علامة الصليب فلم يقدر الجند أن يديروها . علقوه على سارى طويل منكس الرأس ، ثم قطعت الحبال لكى يسقط على رأسه فيموت . لكن ملاك الرب كان يسنده ، فيقف على قدميه سالما . آمن كثيرون من شعب أنصنا بسببه ، وبسبب العجائب التى صنعها ...

حار أريانوس وقال فى غضب « انى لا آكل ولا أشرب حتى انظر ان كان المصلوب يقدر أن يخلصه من يدى » ... طرحوه فى مستوقد حمام ليحترق . فاختطفه ملاك الرب وجاء به الى أريانوس ، وكان جالسا يأكل مع ندمائه ،

ويفتخر بأنه أهلك بجول .. آمن جندى يدعى قلته ، فأمر الوالى بقطع رأسه فورا .

أرسله أريانوس الى ديوكلتيانوس . وهناك قال له القديس « ان كان أبولون الها دعنى القيه فى البحر ، واعطنى بقية آلهتك لألقيهم فى النار ، حتى تنظر كيف يفنون ، فتعلم انهم ليسوا آلهة » . قال له رومانوس الوزير « احفظ لسانك ولا تجاوب الملك هكذا ، أما تستحى منه ؟ » قال « كيف أستحى وداود يقول : كنت أتكلمك بشهاداتك قدام الملوك ولا أخزى » .. أمر الملك أن يضعوه على سرير حديد ويشعلوا نارا تحته . أخيرا قطعوا رأسه بالسيف (١٣ بشنس) .



• أغناطيوس الأنطاكى :

هو خليفة ماربطرس الرسول على كرسى انطاكية ومن الآباء الرسوليين العظام . بلغ حبه للاستشهاد حدا عجيبا ، حتى أنه كثيرا ما كان يقول « لا أعتقد أننى أحب سيدنا يسوع المسيح دون أن يسفك دمى كله لأجله » ...

ورسالته التى كتبها الى المؤمنين فى رومية ـــ وهو فى طريقه اليها ليلقى للوحوش ـــ يتوسل اليهم أن يكفوا عن العمل على عرقلة استشهاده ، تعتبر أروع رسالة يسجلها شهيد قبيل استشهاده . ولم يسبق للكنيسة أن شهدت مارفع من مجد الاستشهاد مثل تلك النشوة الروحية ، التى انطلق بها ذلك الشهيد الملتهب حماسا ، انطلاق الشهاب ، من الشرق الى الغرب ليلقى حتفه .

سمع عنه الامبراطور الرومانى تراجان وعن نشاطه الكرازى ، وبغضه لعبادة آلهة الدولة ورفضه الخضوع لاوامره . مثل امامه فى انطاكية بعد أن استدعاه لمحاكمته ، ودارت بينهما مناقشة تبشيرية[٢١] .. ولما رفض أن يذبح لآلهة

(٢١) أنظر هذه المناقشة ص ١٤٠ .

الدولة ، أصدر الامبراطور أمره أن يساق الى روميه مقيدا . حيث يقدم هناك طعاما للوحوش الضارية ، أرضاء للشعب .

لما سمع الأسقف حكم الامبراطور . ابتهج جدا ، لان الساعة التى طالما اشتهاها قد جاءت . لذلك حينما تقدم الجنود اليه ليقيدوه . جثا على ركبتيه . وصرخ فى ابتهاج قائلا « أشكرك أيها السيد الرب لأنك وهبتنى أن تشرفنى بالحب الكامل نحوك ، وسمحت لى أن أقيد بسلاسل حديدية كرسولك بولس » .

ونقتطف بعض عبارات من رسالته الى أهل رومية :

« بالصلاة قد وهب لى أن أرى وجوهكم الفائقة الكرامة أمام الله فنلت أكثر مما طلبت .. ان اراد الله أن يجعلنى مستحقا لنوال الختام (الاستشهاد) ، فستكون البداية حسنه (الحكم الصادر عليه) ، ان وهب لى نوال نصيبى دون أن يوجد عائق لذلك حتى النهاية . لاننى **أخشى أن محبتكم لى تسبب لى ضررا** لانه يسهل عليكم أن تنقذوا من تشاءون ، لكن يصعب على البلوغ الى الله ان منعتم استشهادى ... ان التزمتم الصمت من نحوى فسأصير لله ، أما **اذا أظهرتم محبة لجسدى ، فسأصبح مضطرا الى أن أركض شوطى من جديد** اذن صلوا الا يوهب لى احسان أعظم من أن أقدم لله ، مادام المذبح لا يزال معدا ... جيد لى أن أرحل من العالم الى الله لاقوم فى الله مرة اخرى ... »

« ... اننى اكتب الى الكنائس وأشدد عليها جميعا بأننى سأموت اختيارا لاجل الله ، ما لم تمنعونى أنتم عن ذلك . أطلب اليكم ألا تظهروا لى عطفا فى غير أوانه ، بل اسمحوا لى أن أكون طعاما للوحوش الضارية التى بواسطتها يوهب لى البلوغ الى الله . اننى خبز الله . اتركونى أطحن بأنياب الوحوش لتصير قبرا لى ، ولا تترك شيئا من جسدى ، حتى اذا ما مت لا أتعب احدا . فعندما لا يعود العالم يرى جسدى ، أكون بالحقيقة تلميذا للمسيح . توسلوا الى المسيح من أجلى حتى أعد بهذه الطريقة لاكون ذبيحة لله ...

« ليتنى أتمتع بالوحوش الضارية التى أعدت لى فاننى أصلى أن يكون لها شغف أكثر لتنقض على . واننى سأغريها لتفترسنى سريعا ، حتى لا تعاملنى كما تعامل

البعض ، اذ لا تمسهم لأن الخوف قد انتزع منهم . وان لم تشأ أن تهجم على فسألزمها بالهجوم على ... » .

أرسل القديس اغناطيوس الى روما مخفورا بعشرة جنود ، أساءوا معاملته جدا فى هذه الرحلة ، حتى انه يلقبهم فى رسالته بالفهود . وما أن وصل الى نهاية الشوط حتى جثا على ركبتيه ، هو ومن معه ، طالبا من المسيح ان يرفع الاضطهاد عن الكنائس ، عندئذ أسرع به الجنود الى الساحة ، وأطلقوا عليه أسدان ، أفترساه للحال ، ولم يبقيا من جسده سوى قليل من العظام الخشنة . وجمع المؤمنون هذه الذخائر الطاهرة الثمينة . وأرسلوها إلى شعبه فى أنطاكية .

- **بوليكربوس[٢٢] أسقف أزمير :**

كان فى حداثته ممن يستمعون للقديس يوحنا الرسول ، وتتلمذ على يديه . وقد أقامه يوحنا أسقفا لأزمير . ويغلب على الظن أنه هو ملاك كنيسة سميرنا (أزمير) التى ذكرها يوحنا فى رؤياه (رؤ٢:٨) .

كتب أغناطيوس الشهيد الانطاكى اليه فى احدى رسائله ، وهو فى طريقه الى الاستشهاد ، يقول « **ان الزمن فى حاجة اليك احتياج البحارة الى الريح ،** واحتياج من تتقاذفه أمواج البحر الى مرفأ . فتأهب كما يليق برجل الله . أثبت كما يثبت السندان تحت ضربات المطرقة . فواجب جندى الله أن يتلقى الضربات ، ثم ينتصر كن دؤوبا اكثر مما أنت ، وتعلم كيف تميّز الأزمنة » . وكأنما كانت تلك الكلمات نبوءة . فقد ظل أربعين أو خمسين سنة بعد ذلك ثابتا فى مكانه لا يتزعزع ، يعلم الاجيال ما تلقاه من الرسل مقاوما كل انحراف . وقد جاء الزمن الذى يسير فيه بوليكاربوس على الدرب الذى سار فيه أغناطيوس ، وينال الاستشهاد مثله .

ففى سنة ١٥٥ وفى عهد الامبراطور انطونيوس بيوس Antoninus Pius اندلعت نار الاستشهاد مستعرة فى أزمير ، فعذب عدد من المسيحيين ، أو ألقى بهم للوحوش الضارية . وطالب الوثنيون بالبحث عن بوليكاربوس . وحين علم

---

(٢٢) يوسابيوس ٤:١٥ .

بذلك ، رغب فى أن يبقى حيث هو فى أزمير ، غير أن الاخوة ، حثوه على مغادرتها . فإنسحب الى بيت ريفى مع بعض الأخوة ، حيث ظل يصلى ليل نهار ، من أجل الجميع ، ومن أجل الكنائس فى أنحاء العالم .

وقبل القبض عليه بثلاثة أيام ، بينما كان يصلى ، أخذ فى غيبوبة ، ورأى الوسادة التى تحت رأسه تحترق . فألتفت لمن حوله ، وقال لهم « لابد وأن أحرق حيا » . كان فى استطاعته الهرب . ولكنه أبى قائلا « لتكن ارادة الله » وقد أثار جلال شيخوخته (٨٦ عاما) ، وحضور ذهنه ، اعجاب من حوله ، وهو يحادث من جاءوا للقبض عليه ... طلب ممن أتوا للقبض عليه أن يتأنوا عليه ساعة ليصلى بمفرده ، فوقف وصلى ، وكان ممتلئا نعمة وسلاما .

طلب منه الجند أن يخرج معهم ، ثم أركبوه حمارا ... وفى الطريق التقى بهم ضابط الشرطة المكلف باحضاره مع أبيه ، فأركبه فى مركبته ، وشرعا يقولان له « ماذا يضرك لو قلت الرب قيصر ، وقدمت البخور ، وما الى ذلك ، وبذا تنقذ نفسك ؟ » . لم يجب القديس على هذا الكلام ، لكن لما ألحا عليه قال « اننى لا أستطيع أن أصنع ما تشيران به على » . واذ فشلا فى اقناعه ، هدداه واهاناه ، ودفعاه الى أسفل بشدة من المركبة فجرحت ساقه ، ودون أن يلتفت الى الخلف ، أكمل سيره الى الملعب ، حيث كان الوالى وجمهور كثير من الوثنيين هناك .

وبينما هو داخل الى الملعب ، جاءه صوت من السماء يقول « تقو يا بوليكاربوس وكن رجلا » . تقدم نحو الحاكم ، ولما تأكد من شخصيته أنه هو بوليكاربوس ، حاول أن يستميله بقوله :

ـــ وقر شيخوختك . واقسم بعبقرية قيصر[٢٣] وقل « ليهلك الكفار » .

رفع القديس نظره الى السماء ، ثم تنهد وقال « ليهلك الكفار » .

ثم حثه الوالى أن يحلف ويلعن المسيح ليطلقه ، فأجاب بوليكاربوس :

---

(٢٣) قسم بدىء فى استخدامه منذ عهد يوليوس قيصر ـــ انظر
Documents of the Christian Church - Genius Caesaris, p. 14.

ــ لقد خدمت المسيح ستة وثمانين عاما ، ولم يصنع بى شرا ، فكيف أجدف على ملكى الذى خلصنى ؟

وعاد الوالى وألح وقال : « أقسم بعبقرية قيصر » ، فأجاب بوليكاربوس :

ــ لا تظن انى سوف أقسم بعبقرية قيصر كما تطلب ، كأنك لا تعرف حقيقتى : انى مسيحى . واذا كنت على استعداد لمعرفة العقيدة المسيحية ، فأسمح لى بيوم لتسمعنى فيه .

فقال (الوالى) : اقنع الشعب .. وان لم تعدل عن رأيك فسألقيك للوحوش المفترسة ، أو أحرقك بالنار .

(بوليكاربوس) : انك تهدد بالنار التى تحرق لوقت قصير ، وبعد ذلك تخمد : وذلك لأنك تجهل نار العقاب الابدى المعد للاشرار . لكن لماذا تتأخر ؟ افعل ما تريد .

وبينما كان يقول هذه الاقوال وغيرها ، كان ممتلئا شجاعة وفرحا ، وكان منظره تطفح عليه النعمة . حتى أن الوالى تملكته الدهشة ، وأعلن ثلاث مرات وسط الملعب « لقد اعترف بوليكاربوس أنه مسيحى » . وللحال صاح المجتمعون ــ وثنيين ويهودا ــ « هذا هو معلم آسيا كلها ، وأبو المسيحيين ، مبدد آلهتنا ، الذى يعلم كثيرين الا يضحوا لها أو يعبدوها » ... واستمروا فى صياحهم ... وأخيرا صدر الحكم بحرقه حيا .

أسرع الوثنيون ــ وكان يساعدهم اليهود بحماس عجيب ــ وجمعوا الحطب والأخشاب ، ليضرموا ناراً شديدة . ولما حاولوا تسميره على خشبة ، حتى لا يتحرك من حريق النار قال لهم « اتركونى هكذا فان الذى وهبنى قوة لكى أحتمل شدة حريق النار ، هو نفسه سيمنحنى قوة ان أبقى هادئا وبلا حركة بدون مسامير » .

ولما انتهى من صلاته تقدم اليه الجنود وأوقدوا النار « واشتعلت النار مستعرة ، واذ بنا نرى عجبا ، اتخذت النار شكل قوس كبير ، أشبه بشراع سفينة ملأه الريح ، فأحاط بجسد الشهيد كأنما هو جدار . ووقف الرجل وسط

النار — لا كجسم يحترق — بل كخبز ينضج ، أو أشبه بذهب أو فضة ينقى فى فرن . وشممنا عبيرا حلوا كأنما قد انتشر فى الجو حولنا عبير بخور أو طيب ثمين »[٢٤] .

ويروى ان المكلفين باحراق القديس ، أصابهم القلق لبطء النار فى التهام جسده ، فأمروا جلادا أن يغمد خنجرا فى جسده ... ولما فعل ذلك تفجر الدم غزيرا فأطفأ النار . وتعجب الجمع وقالوا انه لم يكن رجلا كسائر البشر وجمع الاخوة فى أزمير حطام عظامه ، ووضعوها فى المكان اللائق . وتناقلت الكنائس وصف استشهاده ، الذى كتبه مسيحيو أزمير حتى تشارك جميع الكنائس فى تمجيد الله .

• بوثينوس أسقف ليون[٢٥] :

حل بكنائس غاليا (فرنسا الحالية) — وعلى الاخص فى ليون وفينا — اضطهاد مروع فى عهد ماركس أوريليوس . وحين انقضت ذروته ، كتبوا قصة ما نالهم من أهوال ، وبعثوا بها الى كنائس آسيا الصغرى ؟ التى كانوا على صلة وثيقة بها . وهذه القصة تشكل وثيقة من أثمن وثائق المسيحية الاولى . وقد دونها لنا يوسابيوس المؤرخ الكنسى فى كتابه الخامس ف ١ . وكان فى مقدمة شهداء هذه المنطقة : بوثينوس Pothinus أسقف ليون . وتصف هذه الوثيقة استشهاده فتقول :

« **أما المغبوط بوثينوس الذى كان قد أوكلت اليه أسقفية ليون ، فقد سحبوه الى كرسى القضاء ، وكان عمره يزيد على تسعين سنة** ، وقد وهنت كل قواه، ويكاد بالجهد يتنفس بسبب ضعف جسده . لكنه تقوى بالغيرة الروحية ، بسبب رغبته الحارة فى الاستشهاد . ومع أن جسده قد حطمته الشيخوخة والامراض ، فقط حفظت حياته لكى ينتصر المسيح فيها .

« عندما أتى به الجند الى المحاكمة يرافقه بعض الولاة المدنيين ، وجمهور من

---

(24) Martyrum Polycarpi; (Documents of the Christian Church. pp. 12-16).

(٢٥) يوسابيوس ٥:١ .

الشعب يهتفون ضده بكل أنواع الهتاف كأنه هو المسيح نفسه ، شهد شهادة نبيلة » .

« **ولما سأله الوالى : من هو اله المسيحيين ؟ أجاب : ان كنت مستحقا فستعرف** . عندئذ جروه بفظاظة ، ولطموه بكل أنواع اللطمات ، فالقريبون منه لكموه بأيديهم ، وركلوه بأرجلهم غير حاسبين أى حساب لسنه . والبعيدون منه قذفوه بكل ما وصلت اليه أيديهم . والكل ظنوا بأنهم يعتبرون مجرمين ، ان قصروا فى اهانته بكل اهانة ممكنة ، لانهم توهموا أنهم بذلك ينتقمون لآلهتهم . من ثم زج به فى أعماق السجن ، وهو يكاد لا يقوى على التنفس ، ثم مات بعد يومين » .

• الانبا بساده أسقف ابصاى(٢٦) :

سيم الانبا بسادة أسقفا على ابصاى(٢٧) وفى مدة الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس ، سمع بنشاطه الدينى والى المنطقة ، فأبلغ الامبراطور الذى بعث بدوره ، رسالة مقتضية الى الاسقف يقول :

« **من ديوكلتيانوس الامبراطور الى بساده** : سلام . ان قبلت الخضوع للأوامر الصادرة منى اليك بأن تبخر لآلهتى ، فأنى أعطيك سلطانا أوسع . وآمر جنودى بحراستك حيثما سرت . أما ان رفضت الاذعان ، فليس أمامك سوى الموت »

وحين وصل رسول الامبراطور الى ابصاى (بتولومايس) ، كان الاسقف يقيم القداس الالهى ، وعرف بالروح مضمون الرسالة ، وحالما انتهى من خدمة القداس استدعى اليه الرسول وقال له « أتستطيع أن تصنع معى معروفا ؟ » أجابه « بكل سرور ، إن كان فى امكانى » . قال له الاسقف « أمهلنى أربعا وعشرين ساعة » . وقبل الرسول هذا الطلب .

---

(26) Les Saints d'Egypte, Tom. 2, pp. 570-577.

(٢٧) ابصاى مدينة بصعيد مصر . كانت تعرف فى العصر البطلمى باسم بتولومايس وحاليا المنشأة شرق بجوار أخميم .

جمع الأسقف كهنته وشعبه ، وأخذ يوضح لهم عظم المسئولية الملقاة عليه ، وشرف الثبات على الايمان . بكى الحاضرون وتوسلوا اليه أن يجد مخرجا من الموت . فقال لهم :

« **يا أولادى ، كلنا سنموت حتما ، ان عاجلا أو آجلا . لذلك فمن دواعى مجدى أن أموت الآن على اسم السيد المسيح مخلصى** ، فذلك خير لى من أن أعيش مدة قد لا تتجاوز يوما ، وقد تطول أعواما ، وهذه المدة أعيشها فى خجل مطأطأ الرأس ، لانى خنت عهد سيدى الفادى ، الذى بذل نفسه لاجلى . فهلم بنا اذن نصلى جميعا القداس الالهى ، ونشترك معا فى التناول من السر المقدس كى تتحصن به نفوسنا فنستطيع أن نحلق إلى العلى بأكثر سرعة » فتعزى الشعب بهذه الكلمات ، واشتركوا فى الصلاة .

ولما انتهى القداس كان وجه الانبا بساده يضىء بلمعان ساطع مما ملأ قلوبهم سكينة وعزاء . ثم ساروا مع أسقفهم الى حيث كان الجند فى انتظاره . وكانوا يسبحون الله كأنهم ذاهبون الى وليمة عرس . وودعوه ، وقاده الجند الى الاسكندرية وسلموه الى واليها ، الذى حاول معه بشتى الطرق لكى يبخر للآلهة . ولكنه رفض بعزم .

أراد الوالى أن يرهبه فألقى به فى سجن قذر مظلم وختم بابه بخاتم الدولة وتركه خمسة عشر يوما . ثم عاد اليه بعد هذه المدة وقاده الى قاعة المحكمة . ذهل الوالى حين رآه مضى الوجه تشع منه الحيوية فقال له :

(الوالى) : لابد أنك ساحر ، لاننى ختمت الباب بالختم الامبراطورى وفضضته بنفسى الآن . ومعنى هذا ، أنك ظللت فى السجن الضيق القذر خمسة عشر يوما محروما من كل طعام وشراب . وكنت أتوقع أن أراك نحيلا شاحب الوجه لا تقوى على الوقوف . أما وقد وجدتك على غير ما توقعت فأظن أن لديك قوى سحرية تقهر بها الجوع والعطش .

(الاسقف) : انى أشفق عليك يا عزيزى ، لانك لم تعرف بعد أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

وكانت الجماهير اذ ذاك قد تجمعت فى ساحة القضاء وسمعت هذا الحديث فهتفوا : « يا أبانا القديس بساده . ان اله المسيحيين هو الاله الحق » .

فأوعز الوالى الى القاضى ، أن يسرع باصدار الحكم ، قبل ان تتزايد الجماهير . وهنا قال القاضى للجند « خذوا هذا الرجل خارج المدينة واقطعوا رأسه » فساقه الجند الى مكان الاعدام وتبعته جموع من الناس .

وفى الطريق اقترب شماس شاب من الاسقف يسأله :

ـــ يا أبى ، لماذا ارتديت الثياب البيضاء التى ترتديها حين ترفع القرابين ؟

ـــ يا أبنى أنا ذاهب الى حفلة العرس ، فكيف لا ألبس الملابس البيضاء . وسألتقى بربى والهى فى مجده . ولقد عشت السنين الطويلة مشتاقا لهذا اللقاء . أما أنت يا أبنى فانضم الى الجموع قبل أن يلحظ الجند أنك تحدثنى . والى اللقاء فى النور الاعظم .

ولما وصلوا الى ساحة الاعدام رفع الانبا بساده عينيه نحو السماء ، ورفع يديه وصلى بصوت عال قائلا « يا ربى والهى احرس هذا الشعب ، واحفظه فى الايمان القويم ، وأرسل ملائكتك ليحيطوا به ، وتقبل روحى بين يديك » .

ثم تقدم الجلاد وهوى بسيفه ، فانفصلت رأسه عن جسده .

- **أنبا اباديون أسقف أنصنا**(٢٨) :

سامه البابا بطرس خاتم الشهداء لاسقفية أنصنا . وبعد أن استلم أريانوس الوالى مراسيم ديوكلتيانوس باضطهاد المسيحيين ، أرسل واستدعى الاسقف أنبا أباديون وقال له « احضر لى النصارى ليسمعوا كتب الملك ويسجدوا لمعبوداته » . فأجابه الأسقف : « **عرفنى ما الفائدة التى ربحتها من الملك ؟ مضيت من عندنا وأنت صديق ، فعدت وأنت عدو . مضيت وأنت أنسان ، فعدت وحشا كاسرا** » فقال له أريانوس « أهل الصعيد قساة القلوب غلاظ الرقاب ، فلأجل هذا أقامونى حتى أؤدبهم » . فأجابه الأسقف « أحترس على

---

(٢٨) سنكسار طبعة رينيه باسيه تحت يوم أول أمشير .

هذه الأوثان لئلا يسرقوها منك ، ويبيعوها » .

ثم مضى الاسقف من عنده الى البيعة وجمع الشعب ، وعرفهم بكل ما حدث ، ثم وعظهم للثبات على الايمان . فلما رأى ثبات ايمانهم وفرحهم لسفك دمائهم على اسم المسيح ، أخذهم وجاء بهم الى أريانوس واعترفوا علانية بالسيد المسيح **فغضب وأمر بأخذ رؤوسهم جميعا حتى أمتلأت شوارع مدينة انصنا بالدم** .

أما الانبا أباديون الاسقف فاصطحبه أريانوس معه وأقلعا الى أسيوط وفى أسيوط استشهد عدد كبير من المدينة وأخذت رؤوسهم بالسيف .

ثم تابع أريانوس سيره بحرا الى أخميم وفى أخميم اجتمع الانبا أباديون بالشعب فى الكنيسة (لان أسقفهم أوضاكيوس ، كان قد تنيح قبل ذلك بقليل) وكانت ليلة عيد الميلاد ، فوعظهم وتقرب الشعب للاسرار المقدسة . فأرسل أريانوس الوالى جنده ، **وأمرهم بقتل جميع الشعب الذين فى الكنيسة وظل يقتلهم حتى جرى الدم أنهارا فى شوارع أخميم** .

أما القديس أباديون فأخذه معه ثانية الى انصنا وبعد أن عذبه كثيرا ألقاه فى خزانة مظلمة لمدة خمسة أيام ، وختم بابها ... وبعدها أخرجه ، فوجده كمن هو عائد من وليمة . فأمر بصلبه ، وأن يسمروه بخمسة عشر مسمارا وكان يقول له « إنى أصنع بك كسيدك » .

أما القديس فكان يسبح الله ويشكره وهو على الصليب . وقد أتت حمامتان ووقفتا على الصليب ، وظهر له المخلص فانحلت المسامير وتساقطت من جسده فلما سمع أريانوس اغتاظ وأرسل سيافا وقطع رأسه وكان ذلك فى أول يوم من أمشير .

• البابا بطرس خاتم الشهداء :

قبض عليه فى الاسكندرية بموجب مراسيم الاضطهاد التى أصدرها ديوكلتيانوس وأعوانه ضد المسيحيين . أما السبب المباشر فى ذلك فيرجع الى

شكوى أحد أشراف أنطاكية ويدعى سقراط[٢٩] تقدم بها الى الامبراطور مكسيمينوس ، من أن أمراته المسيحية وتدعى سارة غادرت أنطاكية الى الاسكندرية لتعمد ولديها . فلما عادت الى أنطاكية أستدعاها الامبراطور ، واتهمها بأنها ذهبت لتزنى مع المسيحيين فى مصر . أما هى فأجابت بجرأة أن المسيحيين لايزنون ، ولا يعبدون الأصنام ، وأنها على استعداد لتحمل ما يريد أن ينزله بها . وكان جزاؤها أن أمر **بشد يديها وربطها الى خلفها ، ووضع ولديها على بطنها ، ثم حرقوهم جميعا بالنار .**

ومن ناحية أخرى فقد ثارت ثائرة الامبراطور على بابا الاسكندرية ، ليس من أجل هذا السبب وحده ، بل لصلابة الشهداء المصريين ، وتحديهم للأوامر الامبراطورية ، وجهودهم فى حث المسيحيين على الثبات والاستشهاد ، ليس فى مصر وحدها بل وخارجها أيضا .

وفى سنة ٣١١ أصدر مكسيمينوس أمرا فقبض على البابا بطرس ، وطرح فى السجن . فتجمهر الشعب حول السجن ، يريد أن ينقذ راعيه المحبوب . وكانوا يقولون « اذا قتلنا كلنا ، حينئذ تؤخذ رأسه » . فلما رأى القائد المكلف بتنفيذ حكم الاعدام ذلك ، خشى حدوث شغب يسقط بسببه قتلى كثيرون . فأجل تنفيذ حكم الاعدام الى اليوم التالى ، اذ كان يعتقد أن المتجمهرين سينصرفون حينما يحين الليل . لكن خطته فشلت حين وجدهم ساهرين أمام السجن . وكان القائد يفكر كيف يخرج البابا بطرس من السجن .

واذ شعر البابا بطرس بالموقف ، وازاء حرصه على سلامة شعبه ، انفذ الى القائد سرا ، واتفق معه ان ينقب حائط السجن فى المكان الذى سيطرق عليه ، وهو من الجهة التى لا يتجمهر فيها المسيحيون ... أدهش هذا الكلام القائد ، لكنه عمل كما أشار عليه البابا القديس ...

خرج البابا مع الجند الى مكان الاعدام فى بوكاليا ــ وهو نفس مكان استشهاد مار مرقس ــ .. فطلب منهم أن يسمحوا له بالتوجه الى حيث جسد

---

(٢٩) هو أحد قادة جيش ديوكلتيانوس المتقاعدين . كان مسيحيا وجحد ايمانه تذلفا لسيده .

مارمرقس للتبرك منه ، فسمحوا له . وهناك صلى طالبا من الله انهاء الاضطهادات ، وختمها بقوله « **تقبل يا الله حياتى فداء عن شعبك ، وسمع صوت من السماء يقول « آمين »** .

ثم تقدم الى الجند بشجاعة وثبات ، وقد سطع وجهه بنور سماوى بهى حتى أن الجند ذهلوا ، ولم يجسر أحدهم أن يرفع عليه يده . فأخرج الضابط المنوط به تنفيذ حكم الاعدام ، خمسا وعشرين قطعة من الذهب وقال « هذا الذهب لمن يتقدم ويقطع رأس هذا الشيخ » فتجاسر واحد ، وضرب عنقه بالسيف فقطع رأسه . وما لبث أن أنتشر خبر استشهاده فى الاسكندرية ، فتجمع المؤمنون ورفعوا الجسد ، وحملوه الى الكنيسة المرقسية ...



+ أبا كلوج القس[٣٠] :

من بلدة الفنت بمصر الوسطى ، وكان بتولا . ولما وصل أريانوس والى أنصنا الى الفنت لتنفيذ أوامر ديوكلتيانوس الخاصة باضطهاد المسيحيين ، استدعاه . فلما مثل أمامه سأله عن اسمه ، **أجاب ، اسمى مسيحى ، وبلدى أورشليم السمائية ... !** .

لحق به أهل البلدة وبكوا قائلين « كيف تتركنا يتامى ؟ » أجاب « ان نفسى مسرورة بما تقبله من آلام على اسم سيدى يسوع المسيح . فاذا ما سفكت دمى على اسمه القدوس ، أجد القربى والدالة أن أطلب منه عنكم ... » .

ثم التفت الى الشعب وقال « من يحب الله ، ويقدر على الجهاد فليأت معى » . فتبعه جمع كبير ، وكان يسير فى وسطهم كمن هو ذاهب الى وليمة .

ولما هدده الوالى أجابه « انى لا أرهب عذابك أيها الوالى » . فأمر الوالى أن يقيد ويطرح فى أتون نار متقد ، فصار الأتون كالندى ... فظنوه ساحرا .

---

(٣٠) عن مخطوطة رقم ١٦ بمكتبة كنيسة العذراء الاثرية بزويلة ، تاريخها ١٤٢٦ سنه .

أمر الوالى أن يرقد على ظهره ، ويدحرجوا عليه عمودا كبيرا جدا ... ثم أمر بأن يضرب بمطارق ، وشوك ، وأعصاب البقر حتى سال دمه ... وفى كل ذلك كان الرب يقويه ويقيمه معافى ...

اصطحبه الوالى معه مقيدا الى اهناسيا . طافوا به المدينة حتى يخيفوا الشعب ... لكن حدث عكس ذلك . **فبسبب معجزاته التى أجراها وهو فى مسيرته ، آمن كثيرون وأعلنوا ايمانهم ... واستشهد فى اهناسيا على يد أريانوس نحو ألفى نسمة ...**

وفوق كل ذلك ، فقد أقام أباكلوج ابن أريانوس الوالى بعد أن مات ، وكان صبيا ... ومع كل ذلك تقسى قلبه فلم يطلقه ... أخيرا أكمل جهاده بقطع رقبته بالسيف فى بلدته الفنت فى اليوم العشرين من شهر طوبة .

+ أبا بجول القس[٣١] :

قبض عليه ، ووقف أولا أمام كلوسيانوس والى الاسكندرية ، فلما شاهد صديقه أبا بجول الجندى يعذب ، صرخ فى وجه الوالى قائلا « الويل لك ياكلوسيانوس ! حتى متى تعذب عبيد العلى ؟ » ثم وقف للمحاكمة ثانية أمام أرمانيوس الوالى خلف كلوسيانوس ، واذ أظهر ثباتا على ايمانه ، أمر الوالى أن يجلد ، ويعذب بشدة ، فاحتمل بهدوء وسكينة ...

وأجرى الرب على يديه بعض معجزات أثناء تعذيبه ، فنسبها الوالى للسحر ، وقال له « يا معلم السحرة ، أما تترك سحرك وتسجد للآلهة ، لأن الذى أنت متكل عليه لن يقدر أن يخلصك من يدى هذه المرة » . أجاب القديس « الى متى تهين روح الله . كف عن هذا » .

فأمر أرمانيوس أن يرفع على الهنبازين ويعذب . ثم وضعوه على سرير حديد ، ووضعوا حجرا كبيرا على بطنه من الصباح حتى منتصف النهار . علق بعد ذلك على عمود مرتفع والحجر مربوط على بطنه . وبقوة الله انحل الحجر من على

---

(٣١) عن مخطوطة بكنيسة تلا بالمنيا .

بطنه وسقط على الأرض واقفا على قدميه ، دون أن يصيبه أذى . **وأخيرا صدر الحكم بأن تؤخذ رأسه بالسيف** ، فتهلل وقال « الآن قد كمل فرحى ، وأتممت كهنوتى فى أيامك . فلى اليوم أربعون سنة أخدم الرب لأجل هذه الساعة » ... ثم تقدم وقطعوا رأسه . وكان اليوم الخامس عشر من أمشير .

+ أبا قسطور القس[٣٢] :

من بلدة بردنوها بمصر الوسطى ، وكان متزوجا وله بنون . وفى زمان الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس وأعوانه ، كان يفتقد المعترفين فى السجون ويشجعهم ... جلده والى الاقليم بالسياط حتى سال دمه .

ثم أرسله إلى كلوسيانوس والى الاسكندرية مقيدا بسلاسل حديدية ، وفى عنقه جنزير ثقيل ... مر بسلسلة من العذابات **كالكى** بالنار ، ووضعه فى قمين جير حى ،ونزع شعر رأسه ولحيته وأظافره ، وتدليك مكانهما بالخل والجير ، **وشرب سم قاتل أعده له ساحر يدعى سيدراخس ، ولم يضره فآمن الساحر** . ووضعه فى خلقين زيت مغلى مع الشحم والكبريت ... وكان الرب يقويه ويقيمه معافى .. أخيرا قطعت رأسه بالسيف ، ونال أكليل الشهادة فى السابع عشر من توت ...

شمامسة

+ أستفانوس :

رئيس الشمامسة وأول الشهداء (أع٦،٧) .

+ سانكتوس[٣٣] :

هو أحد شهداء ليون المشهورين . الذين استشهدوا فى عهد مرقس أوريليوس سنة ١٧٧م . كان سانكتوس شماسا من فينا ، واحتمل آلام تعذيب فوق الطاقة ،

---

(٣٢) عن مخطوطة ببيعة الشهيد ببردنوها ١٥٦٧ سنه .

(٣٣) يوسابيوس ١:٥ .

ومع ذلك لم يستطع معذبوه ولا الحكام أن يظفروا منه بكلمة واحدة أو أية معلومات عن أسمه أو موطنه أو جنسيته ... كان جوابه على جميع الأسئلة المتنوعة ، بعبارة واحدة « أنا مسيحى » ... كان يرددها باللغة الاتينية ، ولا يزيد عليها كلمة أخرى .

واذ فشل الوالى فى انتزاع أية معلومات منه ، امتلأ غضبا ، وأمر أن يعذب بلا رأفة . وبعد أن أتم أنواع العذابات المألوفة ، ربطت صفائح نحاسية محماة الى أجزاء جسمه الرقيقة (الحساسة) ، فاحترقت . ومع ذلك ظل ثابتا منتعشا ومتقويا .

تشوه جسمه وتهرأ بشكل بشع ، حتى أنه ــ كما تصفه رسالة كنائس ليون وفينا ــ صار « أبعد ما يكون عن شكل الأنسان » ... واذ وجد سليما ومعافى ، بعد أن ظنوه قد مات ، وضعوا نفس الصفائح المحماة على جسده . لكنه انتعش وانتصب واقفا وسط كل هذه التعذيبات ، وأستعاد شكله الطبيعى ... فبدأوا يعذبونه بأنواع أخرى . ومنها شيه على كرسى حديدى يوقدون تحته ... أخيرا فاضت روحه تحت آلام التعذيب .

+ بروكوبيوس[٣٤] Procopius

هو أول شهداء فلسطين فى الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس . ولد فى مدينة أورشليم فى أوائل النصف الثالث . كان مسيحيا صادقا ، بل ناسكا معروفا بحياته التقوية . غادر أورشليم ، وسكن فى مدينة شيطوبولس Scythopolis على شاطىء الاردن . **كرس نفسه لخدمة كنيستها برتبة أغنسطس** . وكان يترجم أيضا من اللغة السريانية .

قبض عليه فلافيانوس الوالى . ولما طلب اليه أن يقدم سكيبا للأباطرة الأربعة رفض مقتبسا من الياذة هوميروس قوله « حكم الكثيرين ليس بصالح ، فليكن هناك حاكم واحد وملك واحد » . وكان يقصد حكم الله وملك المسيح . فأمر بقطع رأسه فى الحال .

---

(٣٤) يوسابيوس : شهداء فلسطين ١ .

+ **رومانوس**[٣٥] :

من مواطنى قيصرية فلسطين لكنه نزح الى أنطاكية ، وكان شماسا فى كنيستها . واذ رأى كثيرات من المؤمنات وأطفالهن متوجهات لمعابد الأوثان بناء على أوامر ديوكلتيانوس ، أخذته الغيرة المسيحية ، ووبخهن بصوت مرتفع .

قبض عليه وحوكم أمام الوالى اسكلبياديس Aesclepiades ، الذى بعد أن عذبه كثيرا ، أمر بقطع لسانه . فأخرج لسانه بهدوء وسرور لمن قطعوه . أخيرا قطعوا رأسه .

+ **تيموثاوس**[٣٦] **وعروسه مورا Maura**

كان تيموثاوس قارئا (شماسا برتبة أغنسطس) بكنيسة بلدة صغيرة تدعى بيراب Perape فى أقليم انطنوى (أنصنا) فى مصر الوسطى ... وكان قد تزوج منذ أيام قليلة . وبموجب المراسيم التى أصدرها ديوكلتيانوس باضطهاد المسيحيين وحرق كتبهم المقدسة ، سيق تيموثاوس الى المحاكمة أمام أريانوس الوالى ، باعتباره شماسا وفى عهدته كتب الكنيسة المقدسة ... وقد جرت محاكمته على النحو الآتى :

ـ من أنت وما عملك ؟

ـ أنا مسيحى ، وأعمل قارئا فى الكنيسة .

ـ ما اسمك ؟

ـ تيموثاوس .

ـ فأنت الوحيد اذن فى قريتك الذى يحتقر أوامر أباطرتنا العظام ، الذين يأمرون بموت من لا يضحى للآلهة الخالدة !

ـ ربما ! لكن على أى حال ، أنا فى روح الله ، ولن أضحى أبدا .

ـ انظر جيدا ، ها آلات التعذيب أمامك .

ـ الا ترى الملائكة التى يرسلها الله لمعونتى ؟

---

(٣٥) يوسابيوس : شهداء فلسطين ٢ .

(36) Les Saints d'Egypte Tome 1. pp. 577-585.

ــ سلمنى كتبك المقدسة لأقف على ما فيها من منفعة .

ــ أيمكن أن يسلم أب أولاده بنفسه لعدو مهلك ؟

ــ يا لها من عبارات جميلة ! ان كل هذا لايفيد شيئا . اذن فأنت ترفض أن تسلمنى كتبك وأن تضحى .

ــ لا ... والف لا ، لأنى مسيحى .

ثم انتقل أريانوس من المحاكمة الشفهية الى التعذيب البدنى . فأدخل الجلادون أسياخ حديد محمى فى أذنيه ، فأنتفخ وجه ، ويكاد يكون بصره قد ضاع ... صاح الجلادون :

ــ أيها المسكين الغبى ! ان عنادك فى عدم التقريب للآلهة قد أفقدك بصرك

ــ لقد فقدت عينى ، اللتين اعتادتا النظر الى المناظر البغيضة ، لكن سيدى يسوع المسيح ينير أكثر عينى روحى .

- ثم مددوا جسمه على آلة تعذيب خاصة ، وصاح أريانوس :

ــ قرب للآلهة ، وسأكف عن تعذيبك .

لا فائدة من الالحاح ، فأنا لا أحس بالتعذيب . ان سيدى يسوع يحمينى .

ــ (أريانوس للجلادين) حلوه من آله التعذيب . واوثقوا يديه خلف ظهره ، وعلقوه من قدميه فى عمود ، ورأسه منكس الى أسفل ، ثم ضعوا كمامة فى فمه ، وأربطوا حجرا فى عنقه .

وكان التعذيب هكذا عنيفا حتى اندهش الحاضرون ان الآلام العنيفة لم تستطع أن تنتزع منه كلمة اعتذار . ثم قال تيموثاوس بصوت عال :

ــ « أنا أعترف أمامكم جميعا ، بأن رب السموات والأرض ، هو الذى سينجينى من هذه الآلام المرعبة » .

اقترح حاشية أريانوس عليه ــ حتى يقلب عناد ذلك الشاب ــ أن يستدعى عروس تيموثاوس ، ولم يكن قد مضى على زواجه بها ثلاثة أسابيع فقد يخضع لأغراء توسلاتها وبكائها ولطفها .

فأرسل أريانوس واستدعى زوجته وكانت تدعى مورا .

أخذ أريانوس يبدى مشاعره من نحوها ، وأنه يشفق على حظها التعيس . ونصحها أن تبذل ما فى وسعها لانقاذ زوجها الشاب ، وذلك بأن تعود الى بيتها وتتزين بالثياب الجميلة وتتعطر بالعطور ، وتأتى اليه لعله يثوب الى رشده .. نفذت مورا هذه الوصية . واقتربت من زوجها المعلق من قدميه ، فقال لها :

ــ أين أبى القس باسيليوس .

أسرع نحوه القس ، وكان حاضرا المحاكمة وسأله :

ــ ماذا تريد يا ابنى العزيز ؟

ــ شيئا واحدا يا أبى ... غط لى رأس مورا ، حتى لا أشم رائحة هذه العطور الكريهة .

ثم أخذت مورا بتوسلاتها تكلم زوجها ... تركها هو تتكلم دون مقاطعة ، وأخيرا قال لها :

(تيموثاوس) مورا ، يا اختى العزيزة وزوجتى التى أحبها . لقد رأيتك تخرجين من مسكننا ، وشيطانا الى جانبك . وهو الذى كان يبهج نفسك بأمور هذا العالم الفانى . لقد رفضت أنا الآن كل هذه الأشياء التافهة التى تلهى العقل .

(مورا) ولكنك يا أخى ، أنت لم ترفض عمل الله . ومن سيقوم بقراءة كتبنا المقدسة فى السبوت والآحاد ؟

ــ يا أختى ، دعى عنك أمور هذه الحياة الوقتية ، وتعالى جاهدى معى فى معركة الاستشهاد الجميلة ، التى بها نحصل على الاكاليل الأبدية . لو تقدمنا بشجاعة ، فالله ــ دون أدنى شك ــ سيسامحنا بجميع خطايانا .

ــ ياللسعادة يازوجى العزيز ، أن أصحبك ، وأنا لم أيضا معك . لقد كان هذا هو حلمى ، ولكنى كنت أجد نفسى غير مستحقة . لقد رفعت كلماتك الالهية روحى الى قوة الله . حينما كنت تتكلم كان روحه القدوس ، يقوى

روحى . وأصبحت أفضل خيرات السماء على كنوز العالم .

اذا كانت هذه هى أفكارك يا عزيزتى مورا . فأذهبى الى الوالى ، الذى ينتظر بفارغ الصبر نتيجة لقائنا .

ـــ سأفعل ذلك برضى ، لكنى أخشى أن تفتر عزيمتى وسط العذابات ! اننى صغيرة جدا ، وسأذهب اليه فى ضعفى الشديد .

ـــ ضعى كل ثقتك فى المسيح ، سلمى له نفسك بالكلية . وسيصبح كل تعذيب يصبه عليك البشر كالبلسم لاعضائك ، وكالزيت للجرح . ان جسدك سيكون بطريقة ما ، فاقد الحس بنعمة سيدنا يسوع .

حينئذ استغرق الشهيد فى صلاة حارة من أجل مورا .. وفجأة قامت كما لوكان بوحى ، ودخلت المحكمة ، ووقفت أمام أريانوس وقالت له :

ـــ أيها الرجل الغادر . ألم تخجل أن تغرينى بطعم الثراء . لقد جعلتنى أقدم ذهبا وفضة ثمنا للكفر وأردت بذلك أن تجذب روحينا ـــ أنا وزوجى ـــ الى الموت الابدى . سوف لا أدع نفسى تنخدع بطعمك التافه . أنا لا أرهبك أبدا ، لان يسوع المسيح قد ألبسنى درعا لا يمكن أصابته .

قال أريانوس موجها الكلام الى حاشيته « ألم أقل لكم أن تيموثاوس ساحر هوذا قد سحر زوجته ، ثم وجه كلامه الى مورا » :

ـــ (أريانوس) والآن يا مورا ، هل تفضلين الموت على الحياة ؟ قارنى العذابات التى لا يعبر عنها ، مع ما يصحبها من آلام قاسية ، بالملذات ومسرات وأفراح هذه الدنيا . واذا كان زوجك فى تشامخه المريض ، وعناده الاجرامى ، يريد أن يترك هذا العالم ، فما ذنبك أنت حتى يدركك فى النهاية حزن كهذا ؟ أليس هو عدم الشعور ؟ عزى نفسك . سأعقد زواجك على واحد من ضباطى . لن تخسرى شيئا فى هذا التغيير ، بل سيصبح لك زوج أنبل من تيموثاوس .

ـــ لا ! ان تيموثاوس لهو أفضل من جميع القادة .. هو ليس مجنونا ولا معاند ولا ساحرا . انه فى حمى الرب ، كما أنا أيضا ، ولذلك فنحن نهزأ بكل

آلات تعذيبكم .

أمام هذا الثبات الهادىء ، تملك أريانوس الغضب ، وباشارة تقدم الجلادون ، وأمرهم أن ينزعوا (ينتفوا) شعر مورا بلا رأفة ... وبعدها وقفت مورا ثابتة والدم يسيل من رأسها .

ثم قال لها أريانوس مشيرا الى خصلات شعرها :

ــ (أريانوس) هذا هو ما كان يزين رأسك .. ولا حظى ان هذا التعذيب ما هو الا بداية . انى احتفظ لك بعذابات اخرى .

ــ (مورا) بانتزاع شعرى الذى زينته وعطرته بناء على أمرك لاقود زوجى الى الكفر ، جعلتنى استغفر عن خطأ أرتكبته دون وعى . ولن يكون شعرى الآن سببا فى ايقاع أحد فى شر .

ازاء هذا الرد أمر الوالى أن تقطع كل أصابعها . فقالت :

ــ (مورا) أشكرك . لقد كانت أصابعى هى التى تعمل فى تجميلى لاشبع غرورى . انك ــ دون قصد منك ــ صرت سببا فى مغفرة خطية اخرى .

واذا بالاب القس باسيليوس الذى كان جالسا فى السفوف الاولى للحاضرين يقول :

« أيتها الابنة الشجاعة الامينة مورا ، كم يجب عليك أن تتعذبى ! » .

أما هى فأدارت رأسها ناحيته ، وقالت له « انى لا أشعر بألم البتة » .

أمر الوالى بالقائها فى ماء مغلى ، فوقفت فى وسطه بدون ألم ، وقالت للوالى :

ــ مرة ثانية أشكرك أيها الوالى لقد قاربت هنا أن أطهر نفسى كلية . وهكذا سأصل الى الله دون أدنى دنس ... كل ما أرجوه أن تزيد غليان مائك ، فهو حمام رطب لا أشعر فيه بألم .

تعجب أريانوس وأراد أن يختبر بنفسه درجة حرارة الماء فاقترب من مورا ، وطلب منها أن تضع بعضا من الماء فى يده ، فاحترقت يد أريانوس للحال .

ولم يستطع أن ينكر المعجزة .

فصاح تلقائيا « ليتبارك حقا اله مورا » . وبعدها أعطى أمرا باطلاق سراحها .

وما لبث أن قبض عليها مرة ثانية ، وأحضرت الى المحكمة ، وقال لها أريانوس :

ـــ (أريانوس) لقد رددت لك الحرية . لكن لا تجعلينى أندم على هذا المعروف ... أتركى جانبا مسيحك المصلوب ، وقربى للآلهة الخالدة .

ـــ (مورا) ان كنت أرجعتنى لهذا السبب ، فانك ستضيع وقتك .. لن أضحى أبدا لآلهتك ، أما عن عذاباتك فأنا أسخر منها ، لان الرب معى ويحمينى ...

ـــ اذا رفضت تقديم القربان ، سأضع فى فمك جمر نار .

ـــ حسنا . ان هذا مقابل خطايا لسانى ، على نحو ما طهر الله قديما شفتى نبيه أشعياء ... أنظر أية سعادة ستلحقنى حين اجتاز هذا الامتحان وكم أود أن تضع هذا الجمر ـــ ليس فقط فى فمى ـــ لكن على كل أجزاء جسمى حتى أتطهر من كل خطاياى .

لم يكمل الوالى تهديداته ، فقد غير نوع العذابات ، وأمر باحضار نوع من المشاعل مملوءة قارا وكبريتا يرتفع منه السنة لهيب عالية لحرق جسمها وكان الامر بشعا حتى ان الحاضرين استنكروا هذا الامر . لكن مورا نظرت الى الحاضرين وقالت لهم « لست بحاجة الى شفاعتكم . فالله الذى وضعت كل ثقتى فيه ، يرعانى ، وهذا يكفينى » ... ثم قالت لاريانوس « أيها الوالى الشهير ، سأطيع أوامرك » .

تقدم المعذب ووجه النار المضطرمة ببطء نحو كل أجزاء جسمها ... أما هى فأخذت تكمل حديثها مع أريانوس كما لو كان لم يصبها شىء :

ـــ أما زلت تعتقد أن هذا المشعل يرهبنى ... فكر قليلا . فكر قليلا .

ألم يكن الماء المغلى أكثر حرارة منه ؟ أن ناره تشبه ندى الصباح الرطب الذى ينبت الورد والفاكهة .

واذ أدركت السلطات عدم جدوى التعذيب حفظا لهيبتها ، أصدرت حكمها بصلب كل من تيموثاوس ومورا ...

وفى الطريق الى مكان الصلب ، أسرعت والدة مورا نحوها ، وأخذت تسمعها أشواقها من نحوها ، وتذكرها بمجوهراتها وحليها . لكن مورا قالت لها :

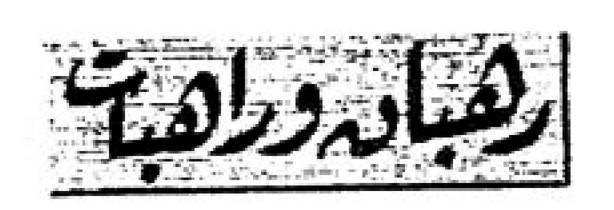
ـــ « يا أمى الحبيبة ، ان الثراء فان . والعثة تلازم الملابس ، والجمال سيعبر وسيذبل مع العمر والزمن ، ولكن الاكليل الحقيقى وثراء وحلى السماء ، هى خالدة ولن تزول » ...

وعندئذ قبلتها وودعتها ، وأفلتت بسرعة من يدها لتلحق بزوجها .

صلب الواحد منهما مقابل الآخر . واتفقا على ألا ينعسا لئلا يأتى الرب فيجدهما نياما .

وبمعجزة أخرى بقيا أحياء تسعة أيام مملوه تعزيات ، كانا خلالها يتحدثان . وفى منتصف اليوم العاشر نزل ملاك نورانى من السماء ليأخذ روحيهما ... وحينئذ قالت مورا موجهة كلامها لشهود المسيح الحقيقيين غير الظاهرين .. لقد حان الوقت لننال جزاءنا . تمموا دائما ارادة سيدنا يسوع المسيح . وستذهبون مثلنا فيما بعد للفردوس .

ثم استودع تيموثاوس ومورا روحيهما فى يدى الله ، وانطلقا ليأخذا مكانا فى عرس الحمل الابدى .



لم تخل العزلة التى عاشها الرهبان ، من أن يشاركوا الكنيسة فى زمان الاستشهاد . وهناك أمثلة لكثير منهم ، قدموا أنفسهم بارادتهم للموت ، أو سعى أعداء المسيح ليفتكوا بهم .

وكأمثلة نذكر الآتى :

+ خمسة آلاف راهب مع أسقفهم الانبا يوليانوس بصحراء انطنوى (أنصنا) على يد الحاكم مرقيان مدة الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس وأعوانه(٣٧) .

+ **انتيموس ولاونديوس وابرابيوس** ، وهم اخوة الشهيدين قزمان ودميان ، فى اضطهاد دوكلتيانوس . بعد أن عذبوا كثيرا قطعت رؤوسهم(٣٨) .

+ **القديس أباكير** ، وكان ناسكا من الاسكندرية ، اعترف امام واليها بالمسيح وبعد أن عذب قطعت رأسه(٣٩) .

سبعة نساك من تونة الجبل بمنطقة الاشمونين بمصر الوسطى ، اعترفوا أمام الوالى بايمانهم فعذبهم ، ومن ثم أمر بقطع رؤوسهم(٤٠) .

+ **الانبا موسى الاسود** : وهو أحد الآباء المشهورين فى برية شيهيت . له دير خارج دير البراموس الحالى . قتل بيد البربر ومعه سبعة رهبان . وحدث أن اختفى أحد الرهبان فرأى ملاك الرب وبيده أكليل ، وهو واقف ينتظره ، فخرج الى البربر وقتلوه أيضا(٤١) . ومازال جسد الانبا موسى الاسود بدير البراموس بوادى النطرون .

+ **التسعة والاربعون شيخا شيوخ برية شيهيت** ، ذبحوا بيد البربر فى عهد الملك الارثوذكسى ثيئودوسيوس الصغير (٤٠٨ــ٤٥٠) . ومازالت أجسادهم محفوظة بدير القديس مقاريوس الكبير بوادى النطرون . وقد بنيت على أجسادهم كنيسة تعرف بكنيسة الشيوخ .

+ **أنبا ديسقوروس وسكلابيوس أخوه Esculapios(*) كانا ابنى رجل من**

---

(37) Dictionary of christian Biography, vol. 3. p. 482; Les Saints d'Egypte. Tome. 1. p. 309.

(٣٨) سنكسار ٢٢ هاتور .

(٣٩) سنكسار ٦ أمشير .

(٤٠) سنكسار ٢٩ بؤونة .

(٤١) سنكسار ٢٤ بؤونة .

(*) مخطوطة بالمتحف القبطى ٤٧٤/٩٥ ميامر تاريخها ١٠٧٥ سنه/١٣٥٨م .

ذوى اليسار يدعى امونيوس . وبعد نياحة أبيهما مضيا الى جبل أخميم ، وتتلمذا لشيخ بار عابد . ثم عاشا بجبل أخميم لمدة ٤٥ سنة . وبعدها ظهر لهما رئيس الملائكة ميخائيل ، بينما كانا يصليان تحت صخرة فى الجبل ، وعرفهما بالاضطهاد المزمع أن يحل بمدينة أخميم ، وطلب اليهما أن ينزلا الى المدينة ليثبتا الشعب ، كما أنبأهما بأنهما سينالان أكليل الشهادة .

نزلا الى المدينة فوجدا أريانوس الوالى قد وصل اليها ونصب محكمته ، وبدأ يحاكم المسيحيين ويعذبهم . فكانا يثبتان الناس على الايمان المسيحى ويعلمان الشعب . ثم أعلنا ايمانهما أمام الوالى ، وأخبراه عن قصة رؤية الملاك الذى أرسل لهما لتثبيت ايمان المسيحيين فى أخميم .

فلما سمع أريانوس ذلك قال « ما هذه الخرافات .. هلم بخرا الآن لئلا تعاقبا لجحودكما » . حينئذ أجاباه « نحن لا نضحى للآلهة ... ونحن لاننسى الذين استشهدوا فى هذا اليوم ، فقد كنا نرى أرواحهم صاعدة أمامنا الى السماء . ونحن مستعدون كذلك أن نموت مثلهم . ومهما أردت أن تفعل فأصنع بنا لنلحق بأخوتنا » ... فغضب الوالى وأمر جنوده أن يضربوا القديسيين ومن معهما بالدبابيس ، وعذبوهم بأنواع عذاب مختلفة . وقيدوهم ووضعوهم فى حبس . وكان يحرسهم أربعون جنديا على رأسهم اكوديوس وفليمون ...

وفى منتصف الليل ، ظهر ملاك الرب الى ديسقوروس وقال له « قم صل فان اكوديوس وفليمون وجنودهما سوف يسبقونكم ويصيرون تقدمة لله فى هذه المدينة » . فظن القديس أن أحد الاخوة هو الذى يكلمه . فقال له « كيف أقدر القيام الآن ؟ » **أجابه الملاك « قم صل لأن الرب يحل المقيدين » . وللوقف انحلت القيود التى كان مقيدا بها وكذا قيود جميع المعترفين** . فقاموا جميعا وسبحوا الله ومجدوا اسمه . وكان نور سماوى يشرق من مكان الحبس ويضيىء على اكوديوس وفليمون ...

فلما شاهد الجنود هذا كله دخلوا واعترفوا أمام أريانوس . وبعد أن عذبهم أمر بقطع رؤوسهم ... ومعهم اكوديوس وفليمون . وكان ذلك فى اليوم الاخير من شهر كيهك . أما القديسان ديسقورس وسكلابيوس فأكملا شهادتهما فى

اليوم التالى (أول طوبة) .

+ **القديسة بربارة**[٤٢] :

نشأت فى النصف الاول من القرن الثالث المسيحى فى احدى بلاد المشرق لم يتفق المؤرخون على تحديدها ، من أبوين وثنيين ثريين جدا ، وكانت بربارة آية فى الجمال الجسدى حتى أن أباها خاف عليها ، فبنى لها برجا لتعيش فيه .. عرفت الله الخالق بقواها الطبيعية ، حينما كانت تتأمل فى الطبيعة بما فيها من كواكب وكائنات ، بالقياس مع الآلهة الوثنية ...

واتفق وجود العلامة المصرى أوريجينوس فى تلك الجهة ، فعلم بخبرها ، واتصل بها وآمنت بالمسيحية على يديه ... ومن ثم بدأت تحدث تغييرات فى مسكنها . ومن ذلك أنها جعلت فيه ثلاث طاقات يدل طاقتين على اسم الثالوث القدوس ، ورسمت علامة صليب على عمودٍ كان فى حمامها ... أراد أبوها ديسقوروس أن يزوجها ، فأعتذرت بلطف بحجة أنه تقدم فى السن ، وتريد أن تبقى لخدمته .

لكن سرعان ما اكتشف أبوها أمر ايمانها المسيحى ، بعد أن لاحظ التغييرات التى احدثتها فى مسكنها الخاص . فأهانها وعذبها ، وجرد سيفه عليها ، لكنها هربت من أمامه ، فركض خلفها ، واعترضتها صخرة وهى تجرى فأنشقت الى نصفين . لكن أباها دار حول الصخرة فوجدها مختبئة فى مغارة ، فوثب عليها وساقها الى الوالى . وهناك عذبت كثيرا بعد أن أعلنت ايمانها وتحدت كل تهديدات الوالى : جلدت بقساوة حتى امتلأ جسدها جروحا ، وألبسوها مسحا من شعر خشن ، وألقوها فى سجن مظلم .فظهر لها السيد الرب يسوع وشفاها وعزاها . وفى اليوم الثالث قدمت للمحاكمة ومشطوها بأمشاط حديدية مزقت جسدها .. أحرقوا جنبيها بمشاعل متقدة ، وقطعوا ثدييها .. ثم أمر الوالى بأن تساق عارية تماما فى شوارع مدينتها حتى يرهب باقى بنات جنسها ، فابتهلت الى الله من جهة هذا الامر وطلبت اليه أن لا يبصرها أحد عارية ، فسمع الله

---

(٤٢) سنكسار ٨ كيهك .

طلبتها وكساها بثوب نورانى .

اخيرا أمر الحاكم بقطع رأسها على أن يكون ذلك بيد والدها .. فساقها الوالى الى الجبل ، وهناك أعمل فيها سيفه ، متجردا من الحنان الابوى الطبيعى ... لكن الله أنتقم منه ، فأدركته صاعقة التهمته ، وهو فى طريقه من الجبل الى المدينة .

+ القديسة افرونية الناسكة(٤٣) :

كانت من بلاد ما بين النهرين (العراق) ، والتحقت راهبة بدير كانت خالتها هى رئيسته . ولما أثار ديوكلتيانوس الاضطهاد على المسيحيين ، خافت بقية العذارى وتركن الدير ، ولم يبق فى الدير سوى افرونية ، وراهبة أخرى ، ورئيسة الدير ..

أتى الجند وقبضوا على الرئيسة ، فقدمت افرونية نفسها ، وقالت للجند أتركوا هذه العجوز وخذونى أنا . فأخذوها الى الوالى . وهناك أعترفت أمامه الاعتراف الحسن فعذبها كثيرا . وهى محتفظة بثباتها . فلما رأتها خالتها تتعذب صرخت نحو الوالى قائلة : « يشقك الله من وسطك أيها المنافق » . فغضب الوالى وشدد عليها العذاب . فقطعوا لسانها وحطموا أسنانها ، وكان الرب يقويها ويشفيها . أخيرا أمر الوالى بذبحها ، وكان عمرها عشرين سنه .

+ أغابى وايرينى وشيونيه(٤٤) Chionia :

من مدينة تسالونيكى ، عشن مع بعضهن حياة النسك . وكن يترددن على ديارات الراهبات ولما أثار القيصر مكسيميانوس أضطهاده ، خفن وهربن الى الجبل ومكثن فى مغارة مداومات أعمال النسك والعبادة . وكانت أمراة عجوز تفتقدهن بكل ما يحتجنه فى كل أسبوع وتبيع شغل أيديهن .

---

(٤٣) سنكسار أول أبيب .

(٤٤) سنكسار ٨ برمودة .

Dictionary of Christian Biography. Vol. 3, p. 284.

عرف أحد الاشرار قصتهن وأبلغ عنهن . ولما وقفن أمام الوالى ، اعترفن اعترافا حسنا ورفضن التقريب للآلهة ... وبعد محاكمة وتعذيب أمر بحرقهن أحياء .

+ القديسة تكلا أولى الشهيدات(٤٥) Thecla :

هى تلميذة بولس الرسول . ولدت من أسرة وثنية . وبعد أن مات أبوها عاشت امها مترملة . كانت تكلا فريدة الجمال الجسدى ، مخطوبة لشاب من نبلاء المدينة يدعى تاميرس Thamyris .

وتبدأ القصة حينما أخرج بولس الرسول من أنطاكية بيسدية وأتى الى أيقونية(٤٦) . التقت به تكلا هناك بعد أن استمعت اليه من طاقة بيتها ، الذى كان ملاصقا للبيت الذى كان نازلا فيه بولس . وبعد أن استمعت الى وعظه وتبشيره التهب قلبها . تقابلت معه وتتلمذت على يديه ، ونبذت خطيبها ورفضت الزواج نهائيا ، الامر الذى كان شاذا فى الاوساط الوثنية . وتعرضت لنقد عنيف وضغط شديد من خطيبها وأمها وكل أقاربها ، لكنها ظلت صامدة أمامهم لا تلين .

أخيرا شكاها خطيبها الى قاضى المدينة ، بعد أن أعلنت له ايمانها بالمسيح . أحضرها القاضى أمامه ، ولما صممت على موقفها ، حكم عليها بأن تلقى حية للنيران لتحرقها .... جردوها من جميع ملابسها والقوها للنيران ، ولكن النار فقدت قوتها ولم تحرقها .. وفى مرة اخرى القيت للوحوش الضارية فخضعت لها ولم تمسها .. أخيرا أطلقت وعاشت حياة التعبد والنسك والتبشير والخدمة وماتت فى سلوكية ميناء أنطاكية وحفظ جسدها هناك .

لها مكانة عظيمة فى الكنيسة المسيحية فى العالم كله ، وأجمع الكل على تلقيبها أولى شهيدات المسيحية ، كما أن استفانوس هو أول الشهداء ... وان كانت قد ماتت ميتة طبيعية أى بدون سفك دم ، ومع ذلك فهى معتبرة من الجميع

---

(45) Dictionary of Christian Biography. Vol. 4, pp. 882-896 Patrologea Orientalis: St. Sevére d'Antioch.

(٤٦) أع ١٣:٥١ .

أنها شهيدة لما احتملته من عذاب ، فنالت اكليل البتولية وأكليل الشهادة . وقد مدحها كثيرون من آباء الكنيسة المعتبرين ، من أمثال الاسقف الشهيد ميثوديوس والقديس امبروسيوس ، وغريغوريوس النزينزى ، وباسيليوس الكبير وغريغوريوس أسقف نيصص ، وأيرونيموس وابيفانيوس ويوحنا الذهبى فمه ، وساويرس الانطاكى .

+ القديسة دميانة والاربعون عذراء:

هى أعظم شهيدات مصر دون منازع . ولدت من أبوين مسيحيين . كان أبوها مرقس واليا على البرلس والزعفران ، وأحسن تربيتها . وفى سن الخامسة عشر رفضت الزواج . وكشفت عن عزمها على حياة البتولية ، فرحب والداها بهذا الاتجاه . **ولتحقيق هذه الرغبة بنيا لها قصرا فى جهة الزعفران لتنفرد فيه للعبادة واجتمع حولها أربعون من العذارى اللواتى نذرن البتولية .**

وفى اثناء الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس ، ضعف أبوها مرقس وبخر للأوثان . فما أن سمعت دميانة هذا الخبر ، حتى خرجت من عزلتها لتقابل والدها . وما أن قابلته حتى ابتدرته بقولها « كان الأهون على نفسى أن أسمع خبر انتقالك الى دار الخلود من أن أسمع أنك أنكرت فادينا الحبيب » . الهبت هذه الكلمات قلب مرقس ، فتركها للوقت وذهب لمقابلة ديوكلتيانوس ، وجهر أمامه بالايمان ، وندم عما اتاه من تبخير للأصنام . فثارت ثائرة الطاغية وأمر بقطع رأسه .

وبعد ايام معدودات علم ديوكلتيانوس أن السبب فى رجوع مرقس الى الايمان المسيحى ، انما يرجع الى ابنته دميانة ، فأرسل اليها بعض الجنود ، ولما رفضت التبخير للأوثان ، أعملوا السيف فيها ، ومن معها من العذارى فنلن جميعا أكاليل الشهادة ... وقبل أن يهوى السيف على رقبة القديسة دميانة قالت « انى أعترف بالسيد المسيح ، وعلى اسمه أموت ، وبه أحيا حياة الأبد » .

وكان قد تجمع حول المكان نحو اربعمائة شخص من أهالى ذلك الموضع فلما رأوا ما حدث اعترفوا هم ايضا بالايمان المسيحى ، فأطاح الجند برؤوسهم .

ومازال جسد الشهيدة دميانة فى كنيستها ، التى شيدتها لها الملكة هيلانة ، أم الملك المسيحى قسطنطين ، والكائنة قرب بلقاس فى شمال الدلتا .

+ **ثيئودوسيا**(٤٧) :

فى مدينة قيصرية — وفى زمان اضطهاد مكسيمينوس — يوم احتفال الكنيسة بعيد القيامة . كان جماعة من السجناء المسيحيين يحاكمون أمام القاضى ... فاقتربت منهم عذراء تدعى ثيئودوسيا ، دون الثامنة عشر من عمرها كانت من مدينة صور ، وحيتهم ، وسألتهم أن يذكروها عندما يمثلون أمام الرب . فقبض عليها فى الحال وسيقت للوالى كأنها ارتكبت فعلا شائنا !!

اما الوالى فانقض عليها كمجنون أو كوحش مفترس وعذبها تعذيبا مبرحا فى جنبيها وثدييها حتى وصل الى العظام .. لكنها احتملت الآلام والتحقير بثغر باسم . وبعد نقاش بينها وبين الحاكم أظهرت خلاله ثباتا على ايمانها ، أمر بالقائها فى اليم .

أطفال وصبيان وفتيات

+ **الفتيات بيستس وهلبيس وأغابى**(٤٨) :

كانت أمهن صوفية وثنية من احدى مدن ايطاليا ، ورزقت من رجلها هؤلاء الفتيات الثلاث . اهتدت الى الايمان المسيحى ، ولذا رحلت مع بناتها الى رومية بقصد نوال نعمة العماد — وربما كان ذلك عقب ترملها ... وبعد عمادهن استترن بنعمة الهية خاصة ، وتولدت فى الأم غيرة قوية لتبشير غير المؤمنين . فشرعت تعمل بين الوثنيين ، حتى كشف أمرها . وكان ذلك فى عهد الامبراطور هدريان (١١٧—١٣٨) .

وما أن علم الامبراطور حتى استدعى الأم مع بناتها . وأمام الامبراطور اظهرن جميعا ثباتا رائعا ، فأمر بقطع رأس بيستس وهلبيس ، وكان عمر الأولى ١٢

---

(٤٧) يوسابيوس : شهداء فلسطين٧ .

(٤٨) سنكسار ٣٠ طوبة . ومعنى هذه الأسماء على التعاقب [ايمان ، رجاء ، محبة] .

سنة والثانية عشر سنوات . أما أغابى — وكان عمرها تسع سنوات — فقد أمر بحرقها . واذ لم تحترق أمر بقطع رأسها هى الاخرى . أما الأم فرافقت أجساد بناتها الى الدفن . وهناك القت نفسها فوقهن ، وأسلمت روحها فى يدى الرب .

+ الصبى بونتيكوس[٤٩] Ponticus

كان فى الخامسة عشر من عمره ، استشهد فى سنة ١٧٧ ضمن شهداء ليون فى عهد مرقس اوريليوس . وبعد القبض عليه وتعذيبه ، كان يؤتى به كل يوم من الحبس ، ليشاهد آلام المعذبين الآخرين ، عسى أن تنهار مقاومته لكنه ظل ثابتا ، بفضل تشجيع اخته له ، ولهذا السبب تعرض لكل انواع العذاب ، وبعدها أسلم روحه .

+ ديونيزيا[٥٠] Dionysia

وفى زمان الاضطهاد الذى أثاره ديسيوس ، وفى سنة ٢٥٠ فى مدينةترواس بآسيا الصغرى ، قدم للوالى ثلاثة من المسيحيين ، كان أكبرهم شخص يدعى نيكوماكس Nichomacus ، فاعترف بايمانه فى بادىء الامر ورفض أن يقدم قربانا للآلهة . فبدأوا يعذبونه ، فلما برح به الألم صاح « انني مخطىء ، ما كنت مسيحيا قط ، سوف أقدم القرابين للآلهة » وانزل من آلة التعذيب . **ولم يكد يضع لحم الضحية على شفتيه حتى قضى نحبه ، ومات جاحدا .**

وكانت هناك فتاة فى نحو السادسة عشرة تدعى ديونيزيا ، وكانت الفتاة مسيحية . **واذ روعها هذا المنظر صاحت « أيها البائس المسكين . من أجل لحظة قصيرة ، نلت آلاما أبدية لا توصف »** . فسيقت أمام الوالى ولما سألها عما اذا كانت مسيحية ، أجابت « نعم ، ولهذا فقد تملكنى الأسى على ذلك المسكين الذى لم يستطع أن يتحمل قليلا فيجد راحة أبدية » . فأمرها أن تحذو

---

(٤٩) يوسابيوس ٥ : ١ .

(50) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

حذوه ، والا فانها ستعذب ثم تحرق حية .

وفى اليوم التالى جىء بأندراوس وبولس — رفيقى نيكوماكس ، أمام القاضى . ورأى الوالى أن يسلمهما للجمهور ليرجمهما حتى الموت . فأوثقت أقدامهما معا وأخذا خارج المدينة . وحدث أن رأتهما ديونيزيا — وكانت فى طريقها الى حيث تتلقى الحكم النهائى عليها . فأفلتت من حارسها وألقت بنفسها على اندراوس وبولس قائلة « فلأمت معكما على الأرض ، حتى أحيا معكما فى السماء » . ولم يشأ الوالى أن يجيبها الى ما طلبت ، وأمر بأن تبتر رأسها .

+ قرياقص بن جوليتا[٥١] :

كان موطن جوليتا (التى تذكر فى الكتب العربية باسم يوليطة) مدينة ايقونية فى اقليم ليكاؤنية . تزوجها أحد أشراف المدينة ، لكنه سرعان ما توفى بعد أن أنجبت الطفل قرياقص . فى ذلك الوقت أصدر ديوكلتيانوس مراسيمه باضطهاد المسيحيين . واذ رأت الاضطهاد حاميا ، تركت مدينتها الى مدينة سلوكية . لكنها قابلت نفس الحالة هناك ، فقررت الذهاب الى طرسوس .

وعلى أثر وصلها ، عرف واليها اسكندر أنها مسيحية ، فقبض عليها . **ولما سئلت أمامه ، أجابت بكل شجاعة أنها مسيحية ، وكذلك طفلها ، وكانت تحمل طفلها الصغير على ذراعيها ، وكان ابن ثلاث سنوات** . وبعد محاكمة اظهرت خلالها ثباتها على الايمان وشجاعتها ، أمر الوالى أن تتجرد من ثيابها ، وتجلد بأعصاب البقر بلا شفقة .

كان الطفل قرياقص جميل الصورة جدا . فأمر الوالى أن يؤخذ من أمه . ولكن الطفل كعادة الاطفال تشبث بها ، فانتزعوه من أمه بكل قسوة .. أخذ الطفل يبكى بشدة ويندفع نحو أمه بكل جسمه ، وهو لا يحول نظره عنها . أخذه الوالى لكى يلاطفه ، فازداد صياحا ، وأخذ يضرب الوالى بيديه ورجليه ، وينشب أظافره فى وجهه ، **وصرخ بكلمات واضحة مسموعة من الجميع « أنا**

---

(٥١) سنكسار ١١أبيب ،

Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, p. 756.

مسيحى » ... امتلأ الوالى غيظا وأمسكه من قدميه وطرحه بشدة على الأرض من كرسيه المرتفع ، فأرتطم رأسه بالأرض وتهشم ، وفاضت روحه .

واذ رأت جوليتا أن طفلها قد سبقها الى المجد ، شكرت الرب . أما الوالى فأعاد تعذيبها بتمزيق جسمها بمخالب حديدية ، وسكبوا عليها قارا مغليا ، أخيرا قطعوا رأسها . وكان ذلك سنة ٣٠٥ .

+ بيفام خال ماريوحنا الهرقلى(٥٢) :

كان الصبى بيفام له من العمر عشر سنوات ، عندما استشهد مار يوحنا الهرقلى . وقد حضر واقعة استشهاده ، وأخذ الصبى يبكى لأنه صار وحيدا . فخرج صوت من جسد مار يوحنا يقول « ياحبيبى بيفام ، ان كنت تريد أن تصير شهيدا ، فدع جسدى هنا وأسرع لتلحق بالوالى فى مدينة أسيوط فيكتب قضيتك . وها الرب قد أمر أن يوضع جسدك مع جسدى » .

فأسرع الصبى نحو الوالى وهو يصيح « أنا مسيحى ، ولست أخاف من عذابك أيها الوالى » ... فغضب أريانوس وأمر أن يعذبوه ثم أخذت رأسه بالسيف ، فى الخامس من شهر بؤونة . ومازال جسده مع جسد مار يوحنا الهرقلى محفوظا بالكنيسة بأم القصور بجوار أسيوط .

+ أجنس(٥٣) Agnes :

ولدت بروما فى أواخر القرن الثالث ، شريفة بالمولد ، مسيحية الوالدين بارعة الجمال . وما أن بلغت عامها الثانى عشر ، حتى اتجهت بكل اشواقها نحو الرب . تعلق قلب شاب يدعى بروكبيوس بها — وكان أبوه حاكم مدينة روما ، وعزم على الزواج بها . أرتضى أبوه ذلك ، وطلب البنت من أبويها ولما تأخر ردهما ، نفذ صبر الشاب ، فحاول أن يكلمها مظهرا عواطفه من نحوها ، فالتقى بها فى الطريق واقترب منها ليكلمها ، لكنها رجعت الى خلف كأنها

(٥٢) مخطوطة ١٥٥/٢٢٠ (أ) بالمتحف القبطى .

(53) Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, p. 62.

أبصرت حية ... وقالت له « اغرب عنى يا حجر العثرة ... أنا لا يمكننى أن أنكث بعهدى وأخون عريسى الالهى الذى لا أحيا الا بحبه » ... ثم أفاضت فى اظهار مشاعرها نحو هذا العريس الالهى ، ورفضت هدايا كان قد قدمها اليها .

ظن الشاب أنها تحب شخصا آخر غيره ، وانها لفرط حبها اتخذته معبودا لها !! ومن فرط هيامه وتعلقه بالفتاة مرض . قلق عليها والده واستدعى أجنس وفاتحها فى الأمر ، لكنها **شرحت له فى أدب نذر بتوليتها ... فلم يستطع أن يفهم هذا الأمر ، الذى لم يكن له نظير فى الوثنية ... فتدخل احد الحاضرين وأفهمه أن الفتاة مسيحية ... وحينئذ خيرها بين أمرين : أما أن تعبد الآلهة الوثنية وتتزوج بابنه ، وأما أن تعذب حتى الموت** ... وأمهلها حتى اليوم التالى لتعطيه جوابا ... لكن الفتاة رفضت هذه المهلة للتفكير . وقالت له أن الأمر لا يحتاج الى تفكير ، لأنها قد انتهت من اختيار الطريق . وكانت اجابتها هذه بداية لآلامها .

أمر الحاكم أن تقيد بالأغلال الحديدية وسحبوها الى هيكل للأصنام لتسجد لها . أما هى فرسمت ذاتها بعلامة الصليب ، ولم تنظر نحو الأوثان . ولما لم يفلح فى أرهابها ، هددها بارسالها الى ما خور فساد ... أما هى فقالت له « لا أخاف بيت الفساد ، لأن معى ملاكا يحفظنى من كل سوء » .

شرع الجند يعرونها من ثيابها ليدخلوها الى ذلك الماخور ، لكن شعرها غطى كل جسدها حتى تعجب الكل من ذلك . وما أن دخلت ذلك البيت حتى أضاء نور من السماء ، فتعزت وشكرت الرب . أما بعض الأشرار ممن أتوا لارتكاب المنكر مع هذه العذراء ، فلما رأوا المنزل مضيئا بنور لا مثيل له ، أرتعبوا ولم يجسروا أن يتقدموا .

غير أن بروكوبيوس ابن الحاكم الذى كان يود أن يتزوجها ، تجاسر ودخل ذلك البيت ، ليفسد أجنس الطاهرة . **وحينما اقترب منها ، ضربه ملاك الرب فخر ميتا** . ولما رأى الحاضرون ذلك هربوا وأذاعوا الخبر فى كل المدينة فأسرع سيمبرونيوس الحاكم والد بروكوبيوس . وبعد أن عنفها عاد يتذلل اليها طالبا منها أن تقيم ابنه الميت ... فصلت أجنس وقام الشاب بروكبيوس وهو يصيح

« ليس اله حق الا الذى يعبده المسيحيون » ... انتشر خبر هذه المعجزة فى كل رومية ، لكن كهنة الأوثان هيجوا الناس وقالوا : لتمت أجنس الساحرة .

أما سيمبرونيوس الحاكم فجبن ازاء صخب الناس ، وترك الأمر لوكيله ، الذى استحضر أجنس ، وأمر أن تلقى فى النار . لكن النار لم تؤذها ، بل شوهدت وسطها واقفهة تصلى .. فلما رأى ذلك ، أمر بأن تقطع رأسها بالسيف . **فأقترب منها جندى لينفذ الحكم ، لكنه ارتعد وتراجع . أما هى فشجعته وقالت له « هلم ، اقتل هذا الجسد الذى أعثر غير عريسى السماوى » . وكان استشهادها فى الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس . وكان لها من العمر ١٢ أو ١٣ سنة .**

وفى اليوم الثامن لاستشهادها تراءت فى حلم لوالديها ، ومعها زمرة من الفتيات الصغيرات ، ومعها أيضا حمل أشد بياضا من الثلج ، وقالت لهما « ألا كفا عن الحزن لموتى ، وافرحا لأنى ظفرت باكليلى » وكان لقصة استشهاد هذه الفتاة العذراء أثر كبير فى الأوساط المسيحية فى القرون الأولى ، ومدحها القديسون امبروسيوس واوغسطينوس وايرونيموس وغيرهم .

+ ماكسيما ودوناتيلا وسيكوندا(٥٤) :

أثناء الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس ومكسيمنوس ، حل انيولينوس Anulinus والى افريقيا بمدينة ثيوبربو Thuburbo (بشمال افريقيا) وأرسل ضابطين لدعوة جميع المسيحيين الى ضيعة امبراطورية ليقدموا القرابين للآلهة . وقد تجمع أمامه جمهور كبير ، وللأسف بدأوا ينهارون وينكرون ايمانهم ... وكان بينهم امرأة تعسة ، أضافت الى خطية جحودها خطية الخيانة . وذلك حين تقدمت قائلة « لقد جئنا لنعبد الآلهة ، عدا فتاتين هما ماكسيما Maxima ودوناتلا Donatilla » . وجىء بالفتاتين أمام الوالى ، **ودار حوار معهما .**

كانت مكسيما فتاة فى الرابعة عشر من عمرها . وحين قال لها الوالى فى اثناء المحاكمة ، أنها مالم تضح للآلهة ، فان اليوم سيكون خاتمة حياتها ، أجابت

---

(54) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church; Dictionary of Christian Biography, Vol. 1. p. 881.

الفتاة « ألا فلتضح لها أنت لأنك شبيه بها » . وجاء دور دوناتلا فلم تكن أجابتها أقل قوة من اجابات اختها . ثم أمر أن تساقا الى المدينة على أن يمنع عنهما الطعام والشراب . وفى طريقهما الى ثيوبربو **انضمت اليهما صديقة تدعى سيكوندا** Secunda ، **فى الثانية عشر من عمرها** ، كانت قد وطنت نفسها على أن تظل عذراء طوال حياتها . وكانت تطل من شرفة قصر أبويها الثريين ، حين شاهدت مكسيما ودوناتلا ، فقفزت اليهما وتوسلت اليهما أن تصحبهما وحاولتا أن تثنياها عن عزمها لأنها وحيدة أبويها ، لكنها أبت قائلة أنها لاتخشى قصاص الأرض ، وأنها تشتاق لعريسها الروحى الذى يقوى ويعزى أضعف الناس .

وبعد أكثر من محاكمة أمر الوالى بأن تجلد الفتيات . ثم أمر بأن ترقدن على ظهورهن الممزقة فوق قطع الزجاج والخزف . وتوالت انواع التعذيب ، التى كان منها وضع الفحم المشتعل على شعورهن ورؤوسهن . أخيرا أقر الوالى بأنهن ارهقنه دون جدوى ، فأمر بأن يطلق عليهن دب جائع . وكان كل ما فعله الدب أنه ظل يلعق قدمى ماكسيما . وحينئذ أمر الوالى ببتر رؤوسهن وكان ذلك فى اليوم الثلاثين من شهر يوليه سنة ٣٠٤ .

+ الفتى شنوسى[٥٥] Chenousi

كان عمره ١٢ سنة ، طاهرا تقيا ، من بلدة بلكيم[٥٦] من أعمال أبو صير ظهر له ملاك الرب وحفزه على المضى للأستشهاد ، بينما كان فى الحقل يرعى الغنم ، وشجعه بأنه سيكون معه . ودع أمه دون أن يخبرها . صلى وسار فى طريقه الى مدينة طوه ، فوجد الوالى قد غادرها الى سرسنا ، ومنها الى داكو . أمسى عليه الليل فطلب مكانا يبيت فيه . فأرشده الى امرأة مسيحية اسمها مريم ، كانت مقيدة بالحديد . سألها أن تفتح له فقالت له ادخل يا أبنى لتنتزع هذا الحديد من يدى ...

حضر الضابط ثانى يوم ، وبعد مناقشة ساقة للقائد وأعترف أمامه ، فسلمه للجند ليمضوا به الى سرسنا الى مجلس الولاية ... **أمر الوالى أن يعلقوه على**

(٥٥) سنكسار ٤ بؤونة تحت اسم سينوسيوس ـــ مخطوطة ٢٦٧ بدير السريان .

(٥٦) مركز السنطة الحالى .

المعصار ويعصروه . علق شنوسى على المعصار فانكسر الى اثنين قال له الوالى « علمت انك ساحر » . فأمر أن يعذب بوضعه على سرير حديد ويوقد تحته . ثم أركبه هو مريم مركبا متجهة الى قبلى مع الوالى . وشفى فى الطريق صبيا من الخرس والصمم .

سمع الوالى بذلك فأمر بأن يعصر بالمعصار ، ولكن الرب أقامه سليما . سلطوا مشاعل على جنبيه وبطنه لمدة ثلاث ساعات ... وفيما هم يعذبونه تطلع فى الجمع **فنظر امرأة تدعى سارة ، وطفلها ثاوفيلس على كتفها . فصرخ الشهيد شنوسى وقال « ياثاوفيلس احضر لكى تأخذ الاكليل وتفرح مع المسيح فى ملكوته غير الفانى »** . فأجاب الطفل وقال للقديس « امض بنا يا معلمى القديس شنوسى الى المكان الذى تريده ، لأن يسوع الهى وملكى ، ملكه فى السماء وعلى الأرض » ... ولما شاهدت سارة طفلها يتكلم ، صرخت وقالت « ليس اله الا يسوع المسيح الناصرى ، اله القديس شنوسى » . ثم أنها ملأت يدها ترابا وطرحته فى وجه الوالى ، ولعنته . فأمر أن تؤخذ رأسها هى وطفلها . فأخرجوهما خارج المدينة وأعدموهما . وكان ذلك فى الرابع من بشنس .

أما شنوسى فقيدوه بسلاسل والقوه فى المركب ووضعوا حجرا فى عنقه . وظل هكذا ، لمدة ستة عشر يوما . وبعدها ابحروا الى انصنا وطرح فى السجن هناك ... وقام يصلى فأضاء السجن كله بنور عجيب . وظهر له الرب يسوع وشجعه وقواه ... مثل أمام أريانوس واعترف أمامه بثبات ، ورفض أن يبخر للألهة . أمر أريانوس أن يثقب كعباه ، ويربط بهما حبال ويسحل فى الشوارع .. وأخيرا ، بعد ألوان من التعذيب ، قطعوا رأسه بحد السيف ، وكان ذلك فى الرابع من بؤونه .

+ أبانوب النهيسى[٥٧] :

من بلدة نهيسه بجوار سمنود . كان وحيدا لوالديه ، وفقدهما وهو صغير . وفى يوم عيد من أعياد المسيحيين سمع الكاهن فى الكنيسة يعظ الشعب أن يثبتوا

---

(٥٧) مخطوطة ٢٦٦ ميامر بدير السريان .

أبان الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس .. **خرج من الكنيسة وصلى الى الله أن يهديه الى الموضع الذى يتألم فيه لأجل اسمه . ثم سار حتى وصل الى سمنود .**

واذ كان يصلى ظهر ميخائيل رئيس الملائكة وأضاء المكان ، فسقط الصبى أبانوب على وجهه من الخوف ، فشجعه الملاك وأعلمه أنه سيتألم فى سمنود ثلاثة أيام ، وسيكون هو معه . مضى الى الوالى واعلن ايمانه ولعن أوثانه ، فطرحه فى السجن .

أما الوالى فبعد أن أعمل سيفه فى المعترفين المسيحيين فى سمنود ، وقتل منهم عددا كبيرا (قيل ثمانية آلاف) . أقلع الى أتريب وأخذ معه الصبى أبانوب ، وعلقه منكس الرأس على صارى المركب ، عقابا له على ما فعله ، اذ لعن الوالى وأوثانه ، وملأ يديه من تراب الأرض ونثرها فى وجهه .

وفيما كان الوالى فى المركب التصق الكأس الذى كان يشرب منه بكف يده ، ولم يقدر أن يرفع يده الى فمه ... كما أصيب الجنود بالعمى ... رفع الوالى نظره الى أبانوب ووجد دما كثيرا ينزف من فمه وأنفه (وهو فى الوضع المعلق فيه) . ورأى الملاك ميخائيل يظلل عليه ويمسح له هذا الدم ...

فصرخ الوالى نحو أبانوب وقال « أنا اؤمن بالحقيقة أيها الصبى انك عبد يسوع المسيح اله النصارى . والآن اشفنى ، ونصبح أنا وكل جنودى مسيحيين ، لأنى رأيت عجبا » ... فأجاب أبانوب « حى هو الله ، لن يكون هذا ، حتى نصل الى المكان الذى انت ماض اليه حتى يعلم الكل أن ليس اله الا يسوع المسيح » . وكان الجنود يصرخون ويقولون نحن نصارى .

وفى أتريب عذبه واليها كثيرا تارة بالسياط ، وتارة بطرحه على سرير حديد ويوقدون تحته . وأمر بأن يوضع سيخان من حديد محمى بالنار فى عينيه ، وعصروه بالهنبازين ... وفى كل هذا كان الرب يظهر قوته ويقيمه سليما معافى .

آمن كثيرون بسبب هذه المعجزات واستشهد ١٨٥ نفسا فى ٨ بشنس . أمر الوالى بتقطيع أعضائه بفأس (رجليه وساعديه) . وشفاه ملاك الرب . ونهض يسير أمام الناس . فكانوا يهتفون : « ليس إله فى السماء وعلى الأرض سوى اله القديس أبانوب ... » .

ارسله الوالى مقيدا الى أرمانيوس والى الاسكندرية ، وهناك بعد أن عذبه قطع رأسه بالسيف ، فى الرابع والعشرين من شهر أبيب ، وكان له من العمر ١٢ سنة .. ومازال جسده فى كنيسته بسمنود ، تصدر عنه معجزات وعجائب .

+ زكريا الطفل :

فى أثناء مذبحة أخميم ، حينما أعمل أريانوس الوالى سيفه فى المسيحيين وقتل منهم مئات ومئات ، لاحظ طفل صغير يدعى زكريا ابن رجل صياد يدعى فاج ، انه فى الوقت الذى كان يطرح فيه بعض الشهداء فى النار — بناء على حكم أريانوس — ان أناس نورانيين يحيطون بهذه النار ، ويمدون أيديهم ويأخذون أرواح هؤلاء الشهداء من النار ، ويضعون أكاليل بهية على رؤوسهم لفت الطفل نظر أبيه بصوت مرتفع الى هذا المشهد . واذ سمعت الجماهير المحتشدة ما كان يقوله الطفل أسرعوا نحوه يستفسرون منه عما رأى .

ولما رأى الوالى تلك الجموع تندفع نحو الطفل ، أمر باستدعائه وقطع لسانه ، فحمله أبوه على كتفه ، ورآه وهو ينفذ فيه الحكم . وفجأة شفى ميخائيل رئيس الملائكه لسان الطفل ، **فصار يتكلم ويتهلل . فعاد به أبوه الى الوالى** ليخبره بما كان ، لعله يرتدع عن طغيانه ، حينما يرى بعينيه ما حدث . أما الوالى الطاغية ، فأمر بأن يحرق الطفل وأبوه ... وبسببهما آمن كثيرون وأعلنوا مسيحيتهم أمام الوالى الذى أمر بقتلهم بالسيوف والرماح ... وقيل أن عددهم بلغ ستمائة وأربعة شهيدا .

+ شورة الصبى[٥٨] :

كان هذا الصبى من قرية تدعى طناى ، ومقيما ببلدة شنشيف تبع مدينة أخميم . وكان راعيا للغنم . ولما وصل أريانوس الوالى الى أخميم ، أرسل جنوده الى كل مجاوراتها ليحضروا اليه المسيحيين لتنفيذ مراسيم ديوكلتيانوس وتوجه خمسه منهم الى شنشيف ، فالتقوا بالفتى شورة وهو يرعى غنمه ، فسألوه « من

---

(٥٨) سنكسار رينيه باسيه ، تحت اليوم العاشر من شهر كيهك .

أنت » . اجابهم « أنا مسيحى » ... فأسرعوا خلفه ليقبضوا عليه ، لكنه تمكن من الهرب . فاغتصبوا خروفين من الغنم وحملوهما على خيولهم ... أما هو فرجع اليهم بعصاه واسترد الخروفين . ولما عادوا الى أخميم أخبروا الوالى بهذه القصة . **فأرسل الوالى وأحضر حاكم شنشيف ، وهدده بالموت ان لم يحضر هذا الصبى الراعى .**

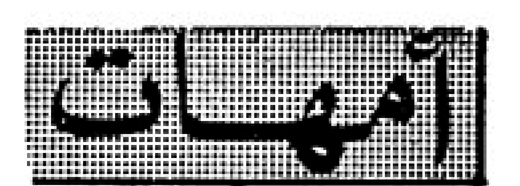
خرج الحاكم وجمع رؤساء البلده وعرفهم بما جرى ... فخافوا لئلا يخرب أريانوس بلدتهم ... فأمسكوا شورة وأوثقوه وأتوا به الى أخميم ، فطرحه الوالى فى السجن حتى الصباح . وفى السجن وجد جماعة من المسيحيين مقبوضا عليهم فشجعوه .

وفى الغد قدم الصبى ليمثل أمام الوالى ، فسأله « ما اسمك » — أجابه « أنا راعى مسيحى ، من أهل طناى ، وساكن بشنشيف ، واسمى شورة » .. وبعد حوار لم يطل ، **طلب اليه أن يرفع بخورا للآلهة ، أما هو فكان رده « سوف لا أسمع لك ، ومهما أردت أصنع بى عاجلا »** .

وازاء هذه الجسارة أمر الوالى بتعذيبه : فرفعوه على الهنبازين وعصروه ، وأوقدوا نارا تحت قدميه ، وسلطوا مشاعل نحو جنبيه ، ووجهوا نارا الى رأسه . وكان الوالى يظن أنه قد مات . فلما علم أنه حى أمر أن يصب خل وملح على جراحاته ... أما هو فكان يحتمل بشكر وشجاعة . ثم أعادوه الى السجن . وقف يصلى فى السجن فظهر له ملاك الرب وعزاه وشجعه وأنبأه . أنه سيتوجه فى اليوم التالى بأكليل المجد ...

وفى اليوم التالى أحضر الوالى ساحرا ، وطلب اليه أن يفسد سحر شورة المسيحى . فأجاب الساحر بجسارة « أنا أحل سحره وأفضحه » ... ثم أعد كأس سم ، وناولها للصبى ليشربها ، فسقط الكأس من يده وانسكب مافيه على الأرض ، فخرجت من الكأس أفاعى وسعت نحو الصبى ، أما هو فوطأها بقدميه ... **تعجب الساحر وقال للوالى « ليس لى مع هذا الانسان شأن ، لأنه قوى بإلهه »** .

ولما رأى الوالى ثبات الصبى شورة ، أمر أن يذبح كشاه ويعلق على سور قريته لتنهش لحمه طيور السماء ... فنفذ فيه الجند هذا الحكم . ونال أكليل المجد فى العاشر من شهر كيهك .



أمهات

● **أغاثونيس[٥٩] Agathonice**

فى الاضطهاد الذى أثاره مرقس أوريليوس ... وفى مدينة برغاموس ، المكان الذى اتخذه الشيطان مقرا لكرسيه فى زمن القديس يوحنا الرسول (رؤ٢:١٢،١٣) ... أخذ الوالى يضطهد المسيحيين ويعذبهم ويقتلهم . كانت تقف قرب المشهد امرأة اسمها اغاثونيس ، **أحست بحماس يسرى فيها نحو الاستشهاد ، فصاحت قائلة « ان هذه الوليمة معدة لى أيضا ، لابد أن أشارك فى هذا العشاء المجيد »** ...

وبعد محاكمة أثبتت خلالها ايمانها وثباتها ، حكم عليها الوالى بالإعدام وكان معها ولدها الصغير . فحاول الجمهور أن يثيروا فيها مشاعر الأمومة ، رحمة بطفلها ، فكان ردها « إن له الها يرحمه ، ورحمته تسع الجميع » ... وحين نصب العمود الذى ثبت جسمها عليه . وبدأت تحس لهيب النار ، بدا كأنما قد تخلت عنها السعادة الروحية وقتا ما ، وكأنما الضعف البشرى يوشك أن يصيبها ، فصاحت « ربى ، ربى ، ربى ، أعنى فقد اتخذتك ملاذى » ... وهكذا أكملت مع القديسين ....

● **الشهيدة رفقة[٦٠]** :

كانت هذه السيدة أما لخمسة أبناء : أغاثون وبطرس ويوحنا وآمون وآمونا ... وكان موطنهم احدى بلاد مركز قوص بجوار الأقصر ... فأعلن لهم

(59) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

(٦٠) سنكسار ٧ توت .

ملاك الرب فى رؤيا أنهم سينالون اكليل الشهادة بشبرا[٦٠] ، بالقرب من الاسكندرية ، وأن أجسادهم ستنقل الى نقرها[٦١] بمحافظة البحيرة .

ففرحوا ووزعوا مالهم على المحتاجين ... ثم توجهوا الى بلدة قوص ، وهناك اعترفوا بايمانهم بثبات أمام ديونيسيوس القائد ، الذى عذبهم عذابا شديدا ، مبتدئا بأمهم التى أثبتت صبرا واحتمالا ، وكانت تشجع أولادها . وهكذا عذب الابناء الخمسة كلهم ... وبسبب ثباتهم وما احتملوه من عذاب آمن كثيرون وأعلنوا ايمانهم ، واستشهدوا ... ولما كان الابن الاكبر أغاثون هو مقدم بلدته ، ومحبوبا من مواطنيه ، فقد أشار البعض على القائد بأن يرسلهم الى أرمانيوس والى الاسكندرية حيث لا يعرفهم أحد هناك ... ولما كان الوالى غائبا فى بلدة شبرا ، فقد أرسلوا اليه هناك ... وبعد أن عذبهم عذابا مؤلما بالهنبازين وبالقائهم فى خلقين زيت مغلى ، أمر بقطع رؤوسهم وطرح أجسادهم فى البحر .

أعلن لرجل مسيحى ثرى بواسطة رؤيا أن يحفظ هذه الأجساد . فقدم للجند بعض المال وأخذ هذه الأجساد منهم ، وحفظها عنده حتى زال الاضطهاد ومازالت هذه الأجساد الطاهرة فى الكنيسة التى بنيت على أسمهم ببلدة سنباط . وكان استشهادهم فى اليوم السابع من شهر توت .

الام دولاجى :

فى مدة الاضطهاد الذى اثاره الطاغية ديوكلتيانوس ، كانت منطقة اسنا فى الصعيد الاعلى غنية بقديسيها من اكليروس وعلمانيين ، متبتلين ومتزوجين ... وقام أريانوس والى أنصنا برحلة تجول خلالها فى بلاد الصعيد ، ليرى مدى تنفيذ مراسيم سيده الامبراطور .. وحالما دخل مدينة اسنا قابله أربعة صبية أشقاء وهم سورروس ، وهرمان ، وأبانوفا وشنطاس يسوقون دابة محملة بالبطيخ . فأوقفهم ، وامرهم أن يسيروا معه للسجود للاوثان . لكن الصبية الشجعان أبوا وأعلنوا مسيحيتهم .. حاول معهم بالاغراء فلم يفلح ، فأخذ يهددهم ..

طار الخبر الى أمهم دولاجى ، فهبت مسرعة الى مكانهم ، وأمام الوالى ،

---

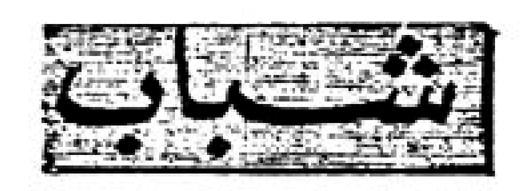
(٦١) جزء من مدينة دمنهور الحالية .

كانت تشجعهم وتقويهم ، فامتلأ أريانوس غيظا وأمر بحبسهم جميعا .

وفى تلك الليلة ظهرت لهم العذراء مريم وصارت تشجعهم وتكشف لهم عن المواعيد العظمى والثمينة .

وفى الصباح استدعاهم الوالى ، وحاول معهم مرة أخرى أن يخروا للآلهة ، فاذا بالام دولاجى تصرخ معلنة ايمانها المسيحى هى وأولادها ، يهتفون « نحن مسيحيون » وانهم يرفضون عبادة الآلهة الكاذبة .

فامتلأ اريانوس غضبا وأمر بقطع رؤوسهم ... على أن يذبح أولادها على ركبتها الواحد تلو الآخر .. وفيما كانوا يفعلون ذلك ، كانت هى ترتل وتصلى ... وأخيرا قطعت رأسها ... وكانت هى وأولادها باكورة شهداء اسنا على عهد ديوكلتيانوس ... ومازالت أجسادهم الطاهرة بالكنيسة التى تحمل اسمهم بمدينة اسنا حتى الآن .



● **سيمفوريانوس[٦٢] Symphorianus :**

كان شابا من أسرة شريفة ، ومن بلدة تدعى أوتون Autun بالقرب من ليون ، بفرنسا الحالية ، واستشهد فى عهد مرقس اوريليوس حوالى سنة ١٨٠ ، عقب المذبحة التى حدثت فى ليون وفينا ، قبل ذلك التاريخ بثلاث سنوات . ولد مسيحيا ، وكان حاكم البلدة ويدعى هركليوس شديد التعلق بوثنيته . لذا ، فقد حاول جذب المسيحيين الى الوثنية عن طريق الحجة والبرهان ...

دخل فى نقاش مع سيمفوريانوس ، فلعن آلهته الباطلة . فبدأ الحاكم يتوعده ، وعذبه ، وأخيرا أمر بقطع رأسه خارج أسوار المدينة . **وفيما هو سائر فى طريقه الى مكان الاعدام ، كانت أمه تشجعه وتقويه . ووقفت على سور المدينة ، وكانت تقول له « كن ثابتا يا ابنى ، ولا ترهب هذا الموت الذى يوصل**

(62) Dictionary of Christian Biography, Vol. 4, p. 755.

بالتأكيد الى الحياة . انظر الى من يملك فى السماء . ان حياتك الارضية لم تنتزع منك اليوم ، لكنها استحالت بطريقة مباركة الى حياة السماء » .

- **ديديموس وثيئودورة[٦٣] :**

سبق أن أشرنا الى قصة هذين الشهيدين[٦٤] ، ونضيف هنا محاكمتهما .

نادى القاضى على ثيئودورة . ولما قدمها ضابط المحاكمة سألها :

ــ ما هى مكانتك ؟

ــ أنا مسيحية .

ــ سيدة حرة أم أمة (عبدة) ؟

ــ لقد قلت لك انى مسيحية . والمسيح جاء وحررنى ... وبحسب مقاييس العالم ولدت حرة .

ثم نادى على عمدة البلدة ، وسأله عن ثيئودورة ، فكان جوابه أنها من أسرة عريقة ، وانها نذرت البتولية ... وحينئذ سألها القاضى :

ــ اذا كنت من اسرة طيبة ، فلم لا تتزوجين ؟

ــ لأجل المسيح . لأن مجيئه فى الجسد انقذنا من الفساد ، وأعطانا حياة أبدية ... سوف لا اتخلى عن ايمانى به ، ومصممة على حياة البتولية .

أخبرها القاضى بالأمر الفظيع الذى يقضى باكراه السيدات والفتيات المسيحيات ممن يعتنقن أفكارا كأفكارها ، بأن يخضعوا بالانتهاك البدنى .

كانت ثيئودورة على علم بهذا الامر وقالت « ان الله ينظر الى ارادات البشر ، الله ينظر الى طهارة القصد . ان أكرهتنى على ذلك ، فلا تحسب خطيئة على ، بل شيئا أكرهت عليه » .

ــ لا تجلبى العار لاسرتك . انها فضيحة لن تنسى .

---

(63) Les Saints d'Egypte, Tome I. pp. 511-517; Mason: Historic Martyrs of the Primitive Church.

(٦٤) أنظر ص ١١٣

ـــ المسيح يعرف كيف يحفظ حمامته .

ـــ لماذا أنت هكذا ضالة ، حتى تثقى فى انسان صلب ؟ لاتخدعى نفسك ، لا تظنى انك ستظلين بلا دنس فى المكان الذى سأرسلك اليه .

(أجابت ثيئودورة بما يدل على أن روحها لم تهتز) .

قال القاضى لها ، انه لم يستعمل معها التعذيب حتى الان . ولكن ان أصرت على موقفها ، فستعامل كفتاة من العبيد ، « لابد وأن أرى أوامر سادتنا الاباطرة قد نفذت معك كمثال لسائر النساء » .

ـــ ان جسدى تحت سلطانك ، لكن الله وحده هو المتسلط على روحى .

قال القاضى لاحد الجنود « اصفعها بشدة براحتى يديك ، وقل لها : لا تكونى هكذا غبية ، بل اقتربى وقربى للآلهة » .

ـــ بمعونة ربى سوف لا أقرب ، ولا أعبد الشياطين ، والله ناصرى .

ـــ أيتها المرأة الغبية ، ستضطرينى أن أتخذ معك ما يعتبر اهانة لسيدة مثلك ، بأن ألقى بك الى الدهماء الذين ينتظرون صدور الحكم فى قضيتك .

ـــ أجابت ثيئودورة وقالت ان الاعتراف بالله ليس جنونا . وأن ما يعتبره القاضى خزيا سيؤول فى النهاية الى المجد الأبدى .

وهنا قال القاضى انه لا يستطيع أن يصبر عليها أكثر من ذلك . لقد انتظر على أمل اقناعها ، لكن انتظاره أكثر من ذلك يعتبر مخالفة للاوامر الامبراطورية ... وهنا قالت ثيئودورة :

ـــ على نحو ما أنت خائف من الابطاء فى تنفيذ الاوامر الصادرة اليك ، كذلك أنا أسرع بالا أنكر ، واخشى من احتقار الملك الحقيقى .

وهنا قال القاضى ، انه سيمنحها مهلة ثلاثة أيام ، واذا لم تعدل خلالها عن رأيها فسيودعها أحد بيوت الدعارة . فتولست اليه ثيئودورة ان يضمن لها الا يصيبها أذى قبل نهاية الثلاثة أيام .. وفى نهاية الثلاثة أيام لم يتغير رأيها بطبيعة الحال . فصدر الحكم بايداعها أحد بيوت الدعارة بالمدينة ... لكن الله الذى

آمنت به ، وألقت رجاءها عليه ، لم يتخل عنها .

كان أول شخص دخل حجرتها هو الشاب المسيحى ديديموس Didymus وقد قصد انقاذها . ارتدى عباءة الجندية ، ووضع على رأسه قبعة كبيرة . اندفع وسط الجمع الذى كان يحيط بالبيت ، وأعطى العباءة والقبعة لثيئودورة ، وأصر على أن تهرب وتتركه بدلها ... وأمرها أن تخفض رأسها ولا تكلم أحدا حال خروجها ...

وحالما اكتشفت السلطات ما فعله ديديموس سيق الى الحاكم . ولما سأله من الذى جعله يفعل ذلك أجاب :

ـــ الله هو الذى أرسلنى لافعل ذلك .

قال الحاكم « اعترف قبل أن تعذب . أين ثيئودورة » ؟

ـــ يسوع المسيح ابن الله يشهد انى لا أعرف أين هى . أعرف فقط ، وبالتأكيد أنها خادمة الله ، ولانها اعترفت بالمسيح ، فقد حفظها بغير دنس .. ان هذا ليس عملى بل عمل الله . لقد صنع معها الرب حسب ايمانها .

فصدر الحكم على ديديموس بقطع رأسه ، ولحقت به ثيئودورة فى الطريق وشاركته نفس الميتة ، فى نفس الوقت .

● **ابفيانوس وأخوه اديسيوس**[٦٥] :

كان ابفيانوس Apphian شابا فى التاسعة عشرة من عمره ، من اسرة مرموقة فى ليسيا Lycia . أرسله أبواه الوثنيان ليكمل تعليمه فى بيروت وكانت حينذاك تشتهر بحياة الرذيلة والترف ، قدر شهرتها بدور العلم . غير أن الشاب كان محصنا ضد غواية المجتمع ، وادهش الناس بطهره وتقشفه . وحين أتم دراسته فى بيروت عاد الى موطنه . **لكن يبدو انه أعتنق المسيحية مدة اغترابه ، فوجد أن الوسط الوثنى الذى كان يعيش فيه أبواه لا يطاق .. عقد النية على الهرب منه ، ملقيا رجاءه على العناية الالهية ...**

---

(٦٥) يوسابيوس : شهداء فلسطين ٤

Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

ولم يلبث أن وجد نفسه فى قيصرية (فلسطين) ، وكانت هى المكان المناسب للشاب المسيحى البحاثة . فقد كانت بها مكتبة العالم بامفيلوس الذى جمع حوله طائفة من الطلاب . ورحبت به تلك الطائفة وألقى هو بنفسه بين يدى معلمه بامفيلوس ، وعاش حياة النسك التى كان يعيشها أستاذه . وبعد أن قضى قرابة عام فى قيصرية ، صد مرسوم ديوكلتيانوس الذى يقضى بحضور السكان جميعا حفلات القربان .

كان الحاكم ايربان Urban نفسه يقوم بصب السكيبة ، حين تقدم منه الشاب ابفيانوس ، وأمسك بيده اليمنى ، وأمره أن يكف عن هذا الاجراء ، محذرا أياه فى لطف ، من التحول من عبادة الله الواحد الحقيقى الى عبادة الشياطين ... فهجم عليه الحراس فى قسوة وألقوا به فى ظلام السجن حيث قضى ليلة كاملة ، ممددا ، ورجليه موثقتين بالمقطرة .. وفى اليوم التالى جىء به أمام ايربان ، الذى أمره أن يبخر للاوثان فرفض .

وهنا بدأت سلسلة من التعذيبات ، توالى فيها فسخ ضلوع الشاب ، وانهالت اللكمات على وجهه ورقبته ، حتى تورم وجهه وتشوه منظره . ثم أمر ايربان بأن تلف حول ساقيه خرق كتانية مبللة بالزيت وتشعل فيها النار .. وسالت عصارات جسمه ، وظلت تقطر . كل ذلك وهو لا يلين **وفى اليوم التالى استشهد بالقائه فى اليم** .

ويوسابيوس الذى دون لنا استشهاد هذا الشاب ، كان شاهد عيان لما حدث وذكر أن زلزالا هز المدينة ، وهبت عاصفة فى البحر . وبين زمجرة تلك الظواهر الطبيعية وزئيرها ، ألقت الامواج جثة الشاب على أبواب مدينة قيصرية .

ورأى أخوه أوديسيوس Audessius ، وكان يكبره سنا ، الا يكون أقل شأنا منه فى هذا المضمار . وكان يفوقه علما ويجيد الأدبين اللاتينى والاغريقى . وكان قد حكم عليه بعد موت أخيه بالاشغال الشاقة فى مناجم النحاس فى فلسطين . ولما أطلق سراحه اشتغل بالفلسفة . ثم وجد نفسه فى الاسكندرية حيث أصدر حاكم مصر هيروكليس Hierocles ، حكما رهيبا على بعض الفتيات المسيحيات بعقوبات مخجلة ... فسار اليه أوديسيوس غاضبا ، ولم

يكتف بأن أخبره برأى العقلاء فى أحكامه السقيمة ، بل أغرقه فى لجة من العار والفضيحة .. وبعد سلسلة من التعذيبات كالتى احتملها أخوه ، ألقى به فى اليم ومات غريقا ..

● **هيـــــرو[٦٦] Hiero**

أسند الامبراطور ديوكلتيانوس حكم أقليم كبادوكية بآسيا الصغرى الى حاكمين قويين ، ليشكما المسيحيين ، هما ليسياس واجريكولا . وكانت هناك تعبئة للجيش . وحاول بعض عملاء ليسياس أن يزجوا بشاب مسيحى اسمه هيرو ، فى صفوف المجندين . وكان هذا الشاب يمقت فكرة العمل فى الجندية الوثنية ، لما فيها من أمور تتنافى مع ضمير المسيحى . حاول أن يختبىء ، غير أن أخاه جاءه برسالة من الوالى ليسلم نفسه ...

فودع أمه الضريرة ، وسار الى مدينة ميليتين حيث كان الوالى . وهناك وجد نفسه رهين السجن مع واحد وثلاثين مسيحيا ، قد قطعوا على أنفسهم عهدا بألا يتقدم أحد منهم الى تقديم القربان ، اذا دعى الى ذلك .

وعند محاكمة هيرو ، اعترف بأنه هو الذى قاوم فرقة التعبئة . ورأى الوالى أن يجعل منه عبرة لغيرة ، فأمر بأن تقطع يداه عند المعصم ، وأن يضرب الاخرون بالسياط . وألقى الجميع فى السجن وبعد أيام استجوب عدد منهم بواسطة الوالى ليسياس وحكم عليهم ببتر رؤوسهم . وتقدم مسيحى ثرى يساوم الوالى على رأس هيرو . أما يداه المقطوعتان ، فقد أوصى هيرو بأن تسلم يده التى قطعت أولا لامه الضريرة .

● **باقة يانعة**[٦٧] :

وفى قيصرية ــ على عهد ديوكلتيانوس ــ قدمت للرب باقة يانعة من مختلف الاجناس ــ تضم ثمانية من الشبان : تيمولاوس من ولاية بنطس ، وديونيسيوس من طرابلس فى فينيقية ، ورروميلوس من ديوسبوليس Diospolis

---

(66) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

(٦٧) يوسابيوس : شهداء فلسطين ٣ .

وبيسيس واسكندر من مصر ، واسكندر من غزة ، ويبدو أن الاثنين الباقين كانا من قيصرية فلسطين ... أوثقت أيديهم خلف ظهورهم ، ونزلوا فى ملعب قيصرية مسرعين لحماسهم الشديد للاستشهاد ، وأعلنوا على الملأ بأنهم مسيحيون ، وأنهم يرحبون بكل أنواع التعذيب .. فطرحوا فى السجن ...

وبعد أيام قليلة ، انضم اليهم اثنان آخران هما أغابيوس ، وكان قد احتمل اهوالا مروعة فى محاكمات سابقة ، وديونيسيوس الذى ضبط وهو يمدهم بضروربات الحياة ... وانتهى أمر هؤلاء جميعا بقطع رؤوسهم معا .

أراخنة وفلاحون وأرباب حرف

لا شك أن كثيرين ممن استشهدوا فى زمان الاضطهاد كانو من عامة الشعب من الفلاحين وأرباب الحرف . وكان منهم الاراخنة الرؤساء . لكننا نسوق هنا بعض أمثلة بسيطة :

أراخنـــة

- **أوسافيوس ، وسامان ، وهرواج وباخوش باسنا :**

كانوا مقدمى هذه المدينة . اعترفوا أمام أريانوس حال وصوله الى اسنا .. وبعد أن أظهروا ثباتا عجيبا فى ايمانهم ، عذبهم عذابا شديدا ، وأخيرا قطع رؤوسهم (٦ بؤونة) .

فلاحـــون

- **ايمـــا :**

كان فلاحا من قرية بنكلاوس بأقليم البهنسا بمصر الوسطى ، لكنه كان شيخ قريته وذلك فى مدة حكم ديوكلتيانوس . كان انسانا بارا . ظهر له الرب يسوع بمنظر نورانى ، ودعاه للاستشهاد ان كان يحبه خرج من قريته دون أن يخبر أحدا ، وتوجه الى مدينة البهنسا ، ومثل أمام حاكمها لوكيوس ... وفيما كانوا

يعذبونه كان يستعين باسم الرب يسوع . فاغتاظ الحاكم وقال له : « لا تذكر اسم المسيح لئلا أميتك شر ميتة » .

(أبيما) « أما عن الاسم المكرم ، الذى لربى يسوع المسيح ، فلا أستطيع أن أكف عن تلاوته » .

(الحاكم) « سأقطع لسانك حتى لا تذكر هذا الاسم فى حضرتى » .

ـــ « اذا ما قطعت لسانى ، فان ذكر اسم سيدى لا ينقطع من قلبى وحواسى أبدا ... وأما من جهتك فأنت لا تستحق أن تسمع اسم الهى » .

جلدوه بالسياط ، وأجلسوه على كرسى حديد وأوقدوا تحته النيران ، ووضعوا خوذة من حديد محمى على رأسه ، فخرج سالما فحسبه الحاكم ساحرا ...

أرسله مقيدا الى أرمانيوس والى الاسكندرية ... وهناك فى الاسكندرية تمجد الله فيه بمعجزات كثيرة ، سواء فى السجن أم خارجه ، وهو فى طريقة من السجن الى مكان المحاكمات . عذبه أرمانيوس كثيرا ، لكنه كان يبرأ من كل العذابات بقوة الهية ... وبعد أن فشل أرمانيوس فى ثنيه عن عزمه ، توعده ذات مرة قائلا :

« اذا كان الهك له يدان ، فلن يستطيع أن يخلصك من يدى » . فكان جواب أبيما على ذلك قوله : « بما أنك أفتريت ، فسيخرسك الله حتى لا تنطق بتجديف ، وسيضربك بالعمى حتى لا تبصر خليقته » . وقد تم ذلك فى الحال .

ولم يدر أرمانيوس ماذا يفعل ، فطلب من يوليوس الاقفهصى ـــ وكان ذا مكانة عظيمة فى الاسكندرية ـــ أن يتوسط لدى أبيما لكى يشفيه ... ففعل وأبرأه ... واذ لم يقدر أن يعذبه أكثر من ذلك ، أرسله الى الصعيد ، حيث قطعت رأسه فى قرية بهنمون بأقليم بنى سويف الحالى .

• سورس ، وانطوكيون ومشهورى :

وهم فلاحون من اسنا ... التقى بهم أريانوس الوالى بعد المذبحة التى أجراها

فى اسنا — والتى استشهد فيها كثيرون — يسيرون على جسر المدينة ، ويحملون فؤوسهم ، فصاحوا بصوت عظيم « نحن مسيحيون مؤمنون بالسيد يسوع المسيح » ... فأمر الوالى جنده أن يقتلوهم بفؤوسهم ... فمدوا أعناقهم على حجر كبير كان فى ذلك الموضع ، وقطع الجند رؤوسهم بالفؤوس وأكملوا شهادتهم . وكان ذلك فى الحادى عشر من شهر توت ... ومازالت بقايا أجسادهم فى مقبرة خاصة باسنا حتى الآن .

● **باخــوم :**

فلاح رقيق الحال جدا ، كان من قرية سفلاق بجوار اخميم ، وكان يعول أمه وأختا له طفلة تدعى ضالوشام ... ساقه الجند من سفلاق الى أخميم ، حيث حوكم أمام أريانوس ، الذى كان موجودا بها وقتئذ لتعذيب المسيحيين . وتبعته أمه وأخته الطفلة ... وبعد أن أظهر ثباتا على ايمانه المسيحى ، عذبه أريانوس عذابات كثيرة . وأخيرا قطع رأسه بالسيف ، هو وأخته الطفلة ، التى اعترفت بالايمان المسيحى ، بعد أن رأت أخاها يتعذب ، وكان عمرها ثمانى سنوات . أما هو فكان عمره حوالى ٢٥ سنة ... وكانت شهادتهما فى اليوم الثانى والعشرين من شهر كيهك .

أربـاب حــرف

● **ابيماخوس ، وكان يشتغل فى صناعة النسيج :**

استشهد فى عهد الامبراطور ديسيوس ، على يد والى دميرة بمحافظة الغربية . وبعد أن عصر بالهنبازين وعذب كثيرا ، أمر الوالى أن يصلب ، ثم تقطع رأسه . لكن السيافين ، كانت تنحل قواهم حالما يقتربون اليه ، لينفذوا حكم الاعدام . فربطوا عنقه بحبل ، وسحلوه على الارض حتى فاضت روحه[٦٨] .

● **ايسيذورس وكان يشتغل فى صناعة الصوف :**

استشهد فى الفرما ، بعد أن أعترف بالمسيح الها ومخلصا . وبعد أن عذبه

---

(٦٨) سنكسار ١٤ بشنس .

الوالى كثيرا أمر بحرقه حيا . وقد أسلم الروح ، لكن جسده بقى سالما[٦٩] .

● **أبا هور السرياقوسى وكان حدادا :**

أعترف بالايمان امام والى الفرما ، وعذب بألوان مختلفة ، وأرسل الى والى أنصنا ، وهناك عذب بالنار والصلب . وأخيرا قطعوا رأسه[٧٠] .

عبيد وإماء

الكنيسة المسيحية التى قدمت خلاصا مجانيا للجميع ، وسعت نحو الجميع ، وقدمت ايمانها للجميع ، لا فرق بين عبد وحر — هذه الكنيسة مات كثير من العبيد دفاعا عن ايمانها . ويذكر القديس كليمنضس الاسكندرى فى كتابه المتنوعات « أكثر من عبد فى الاسكندرية ختم حياته بفرح ، ومات لاجل الايمان ، ضد ارادة سيده »[٧١] .

ونذكر هنا بعض الامثلة :

● **إفلبستس Evelpistus**

وهذا كان عبدا واستشهد من أجل الايمان ، فى نفس اليوم الذى استشهد فيه يوستينوس الشهيد الشهير . ولم يكن أقل منه شجاعة ورباطة جأش[٧٢] .

● **بلاندينا[٧٣] Blandina**

استشهدت ضمن شهداء ليون وفينا على عهد مرقس أوريليوس سنة ١٧٧م . وعلى الرغم من أنها كانت أمة صغيرة السن ، لكنها بالقياس الى ثباتها على الايمان وكثرة وقسوة العذابات التى احتملتها ، وطول فترة التعذيب ، وما أظهرته من

---

(٦٩) سنكسار ١٨ برمهات .

(٧٠) سنكسار ١٢ أبيب .

(71) Clement: Strom. 4 : 8, 62 (De pressensé, Vol. 4, p. 449);

(72) De Pressensé Vol. 4, p. 439.

(٧٣) يوسابيوس ٥ : ١ .

Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, pp. 318, 319.

شجاعة خلالها ، فانها تعتبر زعيمة هذه الجماعة من الشهداء ..

ورسالة خدام ليون وفينا الى كنائس آسيا الصغرى ، التى روت لنا قصة ما حل بهم من اضطهاد ، تقول عن هذه الشهيدة :

« امتلأت بلاندينا قوة لدرجة أنها صمدت أمام معذبيها الذين كانوا يتناوبون على تعذيبها من الصباح حتى المساء بكل أنواع التعذيب » حتى اضطرتهم الى الاعتراف بأنهم قد غلبوا على أمرهم ، ولم يستطيعوا أن يفعلوا لها شيئا أكثر . وذهلوا من قوة احتمالها ، اذ كان كل جسدها قد تهرأ . واعترفوا بأنه كان يكفى نوع واحد من هذه الآلام لازهاق الروح ، فكم بالاولى كل هذه الآلام المتنوعة العنيفة » !

على أن الفتاة المباركة جددت قوتها فى اعترافها كمصارعة صنديدة ، وقد وجدت تعزية وانتعاشا وتخفيفا لآلامها فى أن تصرخ : « أنا مسيحية ، ونحن لم نفعل شرا ... » .

حكم الوالى بتعليقها على صليب ، ثم ألقاها للوحوش . فلم تقترب منها الوحوش . وأجلسوها على الكرسى الحديدى ، وأوقدوا تحتها ، فشوى لحمها ... وأخيرا وضعت فى شبكة وطرحت أمام ثور هائج ... ففاضت روحها .

● فليسيتاس Felecitas

وهى أمة من قرطاجنة وتدعى فى الكتب العربية « سعدى » . كانت رفيقة القديسة بربيتوا فى الايمان والاستشهاد ... اذ كان كلاهما ضمن الموعوظين المهيئين للعماد حين قبض عليهما .

كانت حديثة السن ، فى العشرين من عمرها تقريبا . وكانت متزوجة فى شهرها الثامن . قبض عليها فى زمان الاضطهاد الذى أثاره سبتميوس ساويرس . وأودعت سجن مظلم مع رفقائها المسيحيين ... ثم مثلت أمام الوالى ايلاريون ، واعترفت أمامه بايمانها بثبات .

ولما شعرت بأن يوم الاستشهاد قد اقترب ولم تلد ، حزنت ، وحزن معها

بقية المعترفين ، لان القانون الرومانى كان يحرم قتل الحبلى قبل أن تلد . فطلبوا من الله أن يعجل ساعة ولادتها ، لكى تنال معهم اكليل الشهادة . ففى ذلك اليوم نفسه ولدت بنتا فى السجن ، وأخذتها امرأة مسيحية لتربيها .

ولما كانت سعدى تصرخ وقت المخاض ، قال لها أحد حراس السجن « اذا كنت لا تستطيعين احتمال هذا الألم ، فكيف اذن ستحتملين أنياب الوحوش ومخالبها ؟ » ... فقالت له سعدى « **انى أتألم الآن ، أما غدا فيتألم عنى آخر ، هو سيدى يسوع المسيح . اليوم القوة الطبيعية تقاوم الطبيعة ، وفى الغد تنتصر فى النعمة الالهية على أشد ما أعددتم لى من التعاذيب** » ...

ضربت بالسياط ، واطلقت عليها بقرة وحشية فنطحتها ، ورفعتها الى أعلى وطرحتها الى الارض بشدة ... ولما أفاقت سألت رفيقتها بربيتوا « متى سيلقوننا للوحوش ؟ » لانها لم تشعر بأى شىء وكأنها كانت مستغرقة فى نوم ! أخيرا قطعت رأسها بحد السيف مع رفيقتها بربيتوا ...



● يوستينوس الفيلسوف الشهيد(٧٤) :

ولد فى القرن الاول المسيحى أو اوائل الثانى فى مدينة نابلس عاصمة السامرة ، من أبوين وثنيين ، ونشأ هو نفسه وثنيا . كان منذ حداثته يميل الى التفكير العميق والبحث عن الله ومبدأ العالم . تتلمذ أولا لاحد الفلاسفة الرواقيين أتباع الفيلسوف زينون ، فلم تشبع تعاليمه عقله . فانصرف عنه ، وتبع فيلسوفا آخر من جماعة الرواقيين المشائين ، الذى أخذ يساومه على أجر تعليمه ، الامر الذى دفع يوستينوس الى الازدراء به . ومازال يسعى فى طلب المعرفة واشباع عقله ، حتى اهتدى الى أحد الفلاسفة الافلاطونيين ، فتعلق به وأحبه .

---

(74) Schaff: Vol. 2. pp. 712-: De Pressensé, Vol. 2.;
Dictionary of Christian Bigraphy. Vol. 3, pp. 560.

يوسابيوس ٤:١٦ ــ ١٨

على أن هذه الفلسفات كلها مجتمعة لم تكن لتشبع عقل وقلب هذا الانسان العجيب . فلم يكن ليوستينوس عقل متفتح وحسب ، لكن كانت له روح جائعة متعطشة للنور والحق .... وهو فى وثنيته لم يكن متعصبا تعصبا أعمى لها ، بل كان له العقل الذى يزن الامور . فقد كتب فى دفاعه الثانى عن التأثر العميق الذى طبعه فى نفسه رؤية الشهداء المسيحيين ، قال « فى الوقت الذى كنت استمتع فيه بمبادىء أفلاطون ، وفى الوقت الذى كنت أستمع فيه الى المصائب التى يكابدها المسيحيون ، قلت لنفسى : حيث انى رأيتهم لا يرهبون الموت حتى وسط الاخطار ، التى يعتبرها العالم مرعبة ، فمن المستحيل أن يكونوا أناسا يعيشون فى الشهوة والجرائم[٧٥] » ... ولا شك أن مثل هذا القلب أهله لقبول دعوة الله .

أما قصة ايمانه فهى قصة لقاء مع الله ... فبينما كان يسعى وراء الوحدة ، حتى يتمكن من التأمل بعقل غير مرتبط بالاشياء الخارجية ، وبينما كان غارقا فى تأملاته ، يسير على شاطىء البحر فى بلده ، قابله شيخ مهيب ، يبدو على محياه الجاذبية والعذوبة ... بدا كما لو كان فيلسوفا ، وجد الراحة والسلام فى فلسفته . حياه وأخذ يباحثه فى شئون الفلسفة . وبين له أن الفلسفة الافلاطونية ــ التى كان معجبا بها ــ ناقصة ، اذ لا تأثير لها على حياته الادبية ...

فسأله يوستينوس فى لهفة وتعجب « أين اذن أجد الحق اذا لم أجده بين الفلاسفة ؟ » أجابه الشيخ « قبل الفلاسفة بزمان طويل عاش فى الأزمنة الغابرة رجال سعداء أبرار ، هم رجال الله ، نطقوا بروحه وسموا أنبياء . هؤلاء نقلوا الى البشر ما سمعوه وما تعلموه من الروح القدس . كانوا يعبدون الله الخالق أب جميع الموجودات ، وعبدوا ابنه يسوع المسيح . فاطلب أنت حتى ماتتفتح لك أبواب النور الآن »[٧٦] .

قال له الشيخ هذا الكلام وتوارى عنه ... ولا شك أن هذا الطريق ، الذى

(75) Justin: Apol, 2 : 12, 13.

(76) Justin: Dialogue 2 : 8.

ارشده اليه ذلك الشيخ بكلامه ، كان هو أمل يوستينوس منذ شبابه . والآن ، وبعد أن استمع يوستينوس الى الفلاسفة ، تحول الى الانبياء ... بل الى ذاك الذى هو أعلى من أعظم الانبياء ، علو السموات عن الارض ... الكلمة الازلى ، الذى سيصبح يوستينوس ، منذ ذلك الوقت الشاهد الامين له ..

أكب يوستينوس على قراءة تلك الكتب التى أرشده اليها ذلك الشيخ المجهول ، فتوصل الى أن الفلسفة المسيحية ، هى الوحيدة التى استطاعت أن تشبع عقله . فآمن بالمسيح واعتمد . وبدأ منذ ذلك الحين حياة الفيلسوف الحقة ، كما يقول هو عن نفسه . وكان دائما يعتبر أن الفلسفة الافلاطونية هى بمثابة اعداد للعالم الوثنى لقبول المسيحية . **وهكذا فان يوستينوس كمسيحى لم يكف عن تقدير الفلسفة ، بل ظل بعد ايمانه يرتدى زى الفلاسفة** ... ولم يفعل ذلك هروبا من أن يظهر كتلميذ للمسيح فهو يقول « لقد طرحت جانبا كل الرغبات البشرية الباطلة . ومجدى الان فى أن أكون مسيحيا . ولا شىء أشتهيه أكثر من أن أواجه العالم كمسيحى ... » .

كان سعيه الطويل الجاد بحثا عن الحق ، سببا فى تقدير هذا الحق . لقد جرب كل النضالات الفكرية لمعاصريه . وهكذا اذ عرف المرض والعلاج ، كان مستعدا بصورة فائقة ، أن يكون ذا رسالة فعالة ، بل واحد المعزين الحقيقيين ، الذين تعلموا من خبرتهم الخاصة فى الالم ، كيف يعزى الآخرين . لم ينس أو يتناسى ، ولو ليوم واحد ، مسئوليته العميقة التى ترتكز على الشهادة للحق . وكان شعوره هذا على السواء بالنسبة لليهود ، والوثنيين ، والهراطقة ...

وهكذا كرس ذاته لنشر الديانة المسيحية والدفاع عنها . فذهب الى روما حيث فتح هناك مدرسة ، وكان يتخذ الفلسفة وسيلة للتبشير بالمسيحية والدفاع عنها ... وكان يعقد مقابلات متكررة مع اليهود والوثنيين حيثما التقى بهم ، وكذلك مع الهراطقة . وفى هذه المناقشات أظهر صبرا وثباتا عجيبين ولعل أهم أعماله التى قدمها للمسيحية فى ذلك الوقت دفاعه الاول والثانى وحواره مع تريفو اليهودى .

ولقد رفع الاول (٦٨ فصلا) ، والثانى (٢٥ فصلا) الى الامبراطور انطونيوس

بيوس وأبنائه . ويرجح انه كتبه سنة ١٤٧ ، ان لم يكن قبل ذلك . ودفاعه ملىء بالشجاعة والكرامة والانسانية ، فقد كان اتجاهه فى دفاعه هو عدم التوسل والخوف من القوة الغاشمة .. ويقول فى دفاعه موجها الكلام للامبراطور انطونيوس بيوس « انتم تدعون فى كل مكان بيوس (تقى) ، حارس العدالة ، صديق الحق . وستظهر أعمالكم ، اذا كنتم جديرين بهذه الالقاب . ولست أقصد من وراء ذلك أن أتملقكم ، أو أحصل منكم على احسان ما . انى ببساطة أسألكم ان تعاملوننا بقوانين العدالة المدققة المستنيرة ، وليس بمجرد الحدس ، أو تحت تأثير خرافة تصدقونها بقصد ادخال السرور على الناس .. فان هذا يدينكم ... » . واذ كان مقتنعا اقتناعا صادقا بعدالة قضيته ، قدمها بسلطان باسم قانون العدالة الازلى ، الذى باسمها يستخدم العنف ضد المسيحيين !!

وكتابه **« حوار مع تريفو » Trypho اليهودى (١٤٢ فصلا)** ، عبارة عن مناظرة مع يهودى معتدل طالب للمعرفة ، التقى به فى مدينة أفسس ، وقد استغرقت هذه المناظرة يومين .. ويلاحظ أن يوستينوس فى دفاعه الذى قدمه ، يبدو كفيلسوف يحدث فلاسفة . أما فى حواره مع تريفو ، فكمؤمن بالعهد القديم ، الى ابن من أبناء ابراهيم ...

أخيرا استشهد فى روما سنة ١٦٦ على عهد مرقس اوريليوس . وقد يكون السبب فى استشهاده ، الهزيمة التى أوقعها بفيلسوف كاذب يدعى كريسكينس علانية أمام الجمهور . وما لبث هذا الفيلسوف أن سعى به لدى السلطات ، فقدم يوستينوس للمحاكمة بتهمة المسيحية ، وقطعت رأسه مع ستة أشخاص آخرين .

● بمفيلوس البيروتى[٧٧] :

بناء على المرسوم الخامس الذى أصدره مكسيمينوس دازا ، قبض أوربانوس حاكم قيصرية على بمفيلوس سنة ٣٠٧ . ذلك الرجل الذى كان ــ حسبما رأى يوسابيوس صديقه الحميم وتلميذه ــ من أكبر علماء الكتاب المقدس .. نشأ

---

(٧٧) يوسابيوس : شهداء فلسطين ١١،٧ .
Dictionary of Christian Biography Vol. 4, pp. 178, 179.

مواطنا فى بيروت ، من أسرة شريفة ، وتلقى العلم فى معاهدها الوثنية . ونبذ الثراء والشهرة العالمية ، وانكب على الدراسات الدينية المسيحية . كان يسلك فى حياته مسلكا نسكيا ، فباع كل ما آل اليه ، ومنحه للفقراء . رحل الى الاسكندرية حيث تتلمذ على بيريوس Pierius ، مدير مدرستها اللاهوتية وهو رابع خلفاء أوريجينوس فى ادارة هذه المدرسة . ثم هجرها ـــ على نحو ما فعله اوريجينوس من قبل ـــ الى قيصرية عاصمة فلسطين حيث سيم قسا . وهناك نصب نفسه لتكملة عمل أوريجينوس ، لا فى تعليم الطلاب الذين اختلفوا اليه فحسب ، بل فى مقارنة نصوص الانجيل . فجمع فى بيته مكتبة ضخمة ، جمع كتبها من أماكن كثيرة فى العالم .

حوكم أمام الوالى أوربانوس ، فاظهر فصاحته وسعة اطلاعه الفلسفى . واذ رفض تقديم القرابين للالهة ، وقعت عليه تعذيبات مبرحة ، وأودع السجن ، وكان غاصا بالمعترفين المسيحيين . بقى بمفيلوس فى سجنه سنتين كاملتين ، لم يضيعهما سدى ، بل ألف مع يوسابيوس المؤرخ الكنسى ، كتابا من ستة اجزاء ، دفاعا عن اوريجينوس ، وجهه الى المعترفين الذين كانوا يعملون فى مناجم النحاس بفلسطين .

ثم حوكم أمام وال آخر يدعى فرميليانوس خلف أوربانوس فى الولاية . وبعد أن علم أنه ورفاقه مروا بمراحل تعذيب متعددة ، أحس بأن محاولة اكراههم على الارتداد عن المسيحية انما هى مضيعة للوقت . واكتفى بسؤالهم ، ما اذا كانوا يميلون الى التقريب للآلهة . ولما رفضوا أصدر حكمه عليهم بقطع رؤوسهم ...

وقد أعدم مع بمفيلوس أحد عشر شخصا آخر . وأمر فرميليانوس بترك جثث هؤلاء الشهداء أربعة أيام بلياليها للوحوش والطيور الجارحة . ومع ذلك لم يقربها طير أو وحش . وفى اليوم الخامس نقلها المسيحيون ، ودفنوها باجلال فى الكنيسة ، وكان ذلك سنة ٣٠٩ .

سحرة وكهنة أوثان

● **أثناسيوس الساحر** ، الذى ركب السم لمارجرجس الكبادوكى فلم يؤثر فيه . وآمن ازاء العجائب التى حدثت فى محاكمة هذا الشهيد . وحكم عليه ديوكلتيانوس بقتله بضربه ببلطة[٧٨] .

● **سيدراخس الساحر** ، الذى ركب سما للقديس أبا قسطور القس ، بأمر أرمانيوس والى الاسكندرية ، فرشم عليه بعلامة الصليب وشربه فلم يضره وحينئذ آمن سيدراخس وأعلن ايمانه ، فأحرق حيا[٧٩] .

● أسكندر الساحر ، الذى استخدم سحره لايذاء القديس ابسخيرون القلينى فلم يستطع . وأمر القديس الشيطان الساكن فى الساحر أن يعذبه ، فصرعه ، واعترف بالسيد المسيح وقطعت رأسه[٨٠] .

● **الساحر الذى ركب السم مرتين للشهيد بقطر الجندى** ، فلم يصبه أذى . وكان من نتيجة ذلك أن آمن هذا الساحر ، وجمع كتب السحر التى كان يقتنيها وحرقها ، واعترف أمام الوالى بايمانه المسيحى ، فأمر بقطع رأسه بالسيف[٨١] .

● **لوكيانوس[٨٢] كاهن الاوثان :**

لا نعلم شيئا عن موطنه . وكل ما نعرفه عن أنه كان كاهنا للاوثان ، وانه استشهد فى عهد أوريليان (٢٧٠ــ٢٧٥) . أما السبب ، فهو تأثره بمناظر التعذيب والميتات التى كانت توقع على المسيحيين ، ومع ذلك كانت لا تؤثر فيهم ، ويعودون معافين ... واذ قارن بين قوة اله المسيحيين الذى يستنجدون

---

(٧٨) أنظر ص ١٨٧

(٧٩) أنظر ص ١٧٧

(٨٠) أنظر ص ١٩٤

(٨١) أنظر ص ١٦٤ .

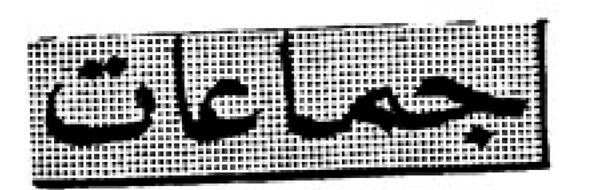
(٨٢) سنكسار ٩ بؤونه .

به ويعينهم ، وبين أوثانه التى يتعبد لها ، أيقن أنه ليس لها قوة على ذلك ... وخلص الى نتيجة ، وهى أن الاله الذى يفعل هذه العجائب لا شك أنه هو الاله الحق ..

فتقدم واعترف بإيمانه ، وكان يصيح قائلا « أنا مسيحى » . فقبض عليه وعذب كثيرا مع أربعة من المسيحيين ، وألقى معهم فى أتون نار . فأمطر الله مطرا غزيرا أطفأ النار . أخيرا صلبوه حتى فاضت روحه . أما الاربعة الذين كانوا معه ، فقطعت رؤوسهم .

● أبسكنده ومن معه :

كان أبسكنده كبير كهنة الاوثان فى مدينة أخميم ، ابان الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس . ولما وصل أريانوس الى مدينة أخميم ، لارغام المسيحيين على الارتداد عن مسيحيتهم ، أراد أن يذهب الى معبد الاوثان بالمدينة ، فطلب كهنة المعبد لكى يرافقوه . ولشد ما كانت دهشته ، حين علم أن أبسكنده قد آمن بالمسيحية ، وتبعه عدد من كهنة الاوثان بالمدينة .. ولفرط غيظ أريانوس قبض عليهم ، وذبحهم ذبح الخراف فى الكنيسة ، وكانوا هم باكورة شهداء اخميم فى المذبحة الكبرى فى عهد ذلك الطاغية .



● الكتيبة الطيبية(٨٣) :

سميت كذلك لان افرادها كانوا فى مدينة طيبة (الاقصر) ، وكان معروفا عنهم الشجاعة فى الحروب والجلد والاخلاص . ولما أعلنت بعض قبائل من فلاحى غاليا (فرنسا) العصيان على مكسيميانوس امبراطور الغرب سنة ٢٨٦ أرسل اليه ديوكلتيانوس هذه الكتيبة لنجدته ... وبوصول الكتيبة الى ايطاليا ، أرسل

---

(83) Les Saints d'Egypte T. 2, pp. 344-348, 358;

Dictionary of Christian Biography Vol. 3, pp. 641-644.

الامبراطور قسما الى حدود غاليا ليرابط هناك ، وقسما آخر الى الحدود السويسرية ينتظر هناك استعدادا للطوارىء .

قبيل بدء المعركة كان لابد من أن تتم بعض الطقوس الدينية الوثنية طلبا لمعونة الآلهة للنصرة فى الحرب . لكن رجال الكتيبة رفضوا المشاركة فى هذه الممارسات الوثنية لانهم كانوا مسيحيين ...

أمر الامبراطور بقطع رؤوس عُشر جنود الكتيبة بعد جلدهم ، كنوع من الارهاب للباقين . لكن هؤلاء حرروا له رسالة وقعوا عليها جميعا جاء فيها :

« أيها القيصر العظيم ، نحن جنودك ، لكننا فى نفس الوقت عبيد الله . نحن ندين لك بالخدمة العسكرية ، أما الله فندين له بولاء قلوبنا . نحن نأخذ منك الاجر اليومى ، أما الله فسننال منه الجزاء الابدى ... لا يمكننا بحال من الاحوال أن نطيع الاوامر المخالفة لله . اذا أتفقت احكامك مع أحكامه فنحن ننفذها ، أما اذا تعارضت فلن نقبلها ، اذ ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس ... لسنا ثوارا ، فالاسلحة لدينا ، وبها نستطيع أن ندافع عن أنفسنا ونعصاك ، لكننا نفضل أن نموت أبرياء ، على أن نعيش ملوثين . ونحن على أتم استعداد لتحمل كل ما تصبه علينا من أنواع التعذيب ، لأننا مسيحيون ، ونعلن مسيحيتنا جهارا » .

وما أن قرا مكسيميانوس هذا الخطاب ، حتى أمر بقتل عُشر باقى جنود الكتيبة ... وعاود المحاولة معهم ليبخروا للآلهة ، لكنهم أبوا ... حينئذ احتدم غضبه ، وأمر بابادة الكتيبة بأكملها اينما وجد افرادها ... وهكذا أعمل الجند الرومان سيوفهم فى رقاب الضباط والجنود المصريين ، ولم يبقوا على أحد منهم ... وهكذا استشهدوا فى أماكن مختلفة : بعضهم فى بعض مدن شمالى ايطاليا ، والبعض فى سويسرا ، والبعض فى فرنسا ... كان عدد جنود الكتيبة ٦٦٦٦ . وقد استشهدوا قبيل الاضطهاد العام الذى أثاره الطاغيتان ديوكلتيانوس ومكسيميانوس .

• مذبحة اسنـا :

بعد أن صدرت مراسيم اضطهاد ديوكلتيانوس ، قام اريانوس والى انصنا بجولة فى الصعيد الاعلى ، ليشرف بنفسه على تنفيذ أوامر اضطهاد المسيحيين . تردد على مدينة اسنا أكثر من مرة وفى كل مرة كان يخرج بمحصول : فى المرة الاولى استشهدت الام دولاجى وأولادها الاربعة ، وفى المرة الثانية استشهد بعض أراخنة المدينة . وفى المرة الثالثة كانت المذبحة الكبرى .. فى هذه المرة كان الشعب مستعدا ، ومشاعرهم معبأة خلف أسقفهم أنبا امونيوس ، وأمضوا ليالى فى الصلاة ، وتناولوا من الاسرار المقدسة .

لما دخل اريانوس مدينة اسنا فى هذه المرة الثالثة وجد المدينة خاوية ـ اذ كان الشعب مع اسقفهم فى الجبل يتعبدون فى دير الانبا اسحق . ثم وجد عجوزا نائمة على فراشها ، لم يسمح لها سنها وصحتها بمصاحبة الشعب فسألها اين مضى أهل المدينة ؟ فأجابته قائلة : انهم لما سمعوا بحضور أريانوس الوالى الكافر الى هنا ليقتل المسيحيين ويضطهدهم ويلزمهم بعبادة الاوثان ، ذهبوا الى جبل أغاثون . فسألها : وأنت من تعبدين ؟ . أجابته : انى مسيحية أعبد السيد يسوع المسيح خالق السموات والارض . فأمر بأن تقطع رأسها بحد السيف ، وأكملت شهادتها فى منزلها . وسميت تلك العجوز بالرشيدة لانها هى التى أرشدت أريانوس عن موضع أهل المدينة ..

ثم أمر أريانوس جنده أن يقتلوا كل من يجدوه من المسيحيين ، وهم فى طريقهم الى دير الانبا أسحق بالجبل . وفعلا قتلوا بعض الافراد ... ولما وصل الوالى اليهم وجدهم مجتمعين مع الاسقف . فرفعوا صوتهم وقالوا بصوت واحد « نحن مسيحيون مؤمنون بالسيد يسوع المسيح خالق السموات والارض » . فأمر الوالى جنوده أن يقتلوهم بالسيوف والرماح ... فظلوا يقتلوهم حتى أفنوهم ، وكانوا آلافا فى عددهم . وكان ذلك فى التاسع عشر من أبيب . أما الاسقف فقد استشهد فى أنصنا بعد أن أخذه الوالى معه ..

• مذبحة أخميم :

وفى جولته الانتقامية وصل أريانوس الى أخميم . وتصادف وصوله ليلة عيد الميلاد . وكان الشعب مجتمعا فى الكنيسة ومعهم الانبا أباديون أسقف أنصنا ، الذى صحبه معه أريانوس . وكان الاسقف يعظهم ويشجعهم بكلمات النعمة .

ولما علم أريانوس أن المسيحيين مجتمعين فى الكنيسة ، ولم يهبوا لاستقباله ثار وغضب ، وقام ومعه عدد كبير من الجند . وظلوا يقتلون المسيحيين داخل الكنيسة ، حتى جرى الدم من الكنيسة الى أزقة المدينة ..

وما أن سمع الناس فى القرى والبلدان المجاورة بخبر هذه المذبحة ، حتى سارعوا بالحضور الى اخميم معلنين ايمانهم . وازدحموا حول أريانوس وكان الآباء والامهات يتسابقون فرحين قائلين « نحن ماضون الى ملكوت السموات » ... وكانوا يقدمون أولادهم للسيف ويشجعونهم بقولهم « لا تخافوا فما هى الا برهة وتمضون الى العريس السمائى » .. وان كنا لا نستطيع تقدير عدد من استشهد داخل الكنيسة وخارجها ، لكنهم على أى حال يقدرون بالآلاف .

• مذابح انصنا :

واذا كان أريانوس والى أنصنا المكلف باضطهاد المسيحيين من قبل ديوكلتيانوس ، قد صنع مذابح مروعة فى اسنا وأخميم ، فلا شك انه بدأ بالمسيحيين فى بلدة أنصنا .. وقد أوردنا خبر هذه المذبحة فى كلامنا عن الانبا أباديون أسقف أنصنا(٨٤) .

وذكر أنه فى زمان اضطهاد ديوكلتيانوس وشركائه ، قتل حاكم انصنا ، الانبا يوليانوس الاسقف ومعه خمسة آلاف راهب كانوا ساكنين فى الصحراء القريبة من المدينة(٨٥) .

---

(٨٤) أنظر ص ٢٠٤

(٨٥) أنظر ص ٢١٨

• التسعة والاربعون شهيدا فى أبيتينا[٨٦] :

استشهدت هذه المجموعة من الرجال والنساء سنة ٣٠٤ ابان الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس .. فعلى الرغم من الاوامر الامبراطورية بمنع الاجتماعات الدينية ، فقد اجتمعت هذه المجموعة من المؤمنين فى بلدة أبيتينا Abitina فى شمالى افريقيا ، ليحتفلوا بالعشاء الربانى ، فى بيت شخص يدعى فيلكس أوكتافيوس . وبينما هم يؤدون الشعائر ، اذا بهم يفاجئون برجال الحكومة يحاصرونهم ويقبضون عليهم ... فساروا فى الطريق ينشدون التراتيل والالحان الدينية بفرح ، وعلى رأسهم داتيفوس وكان عضوا بمجلس شيوخ قرطاجنة ، والقس ساترنينوس وأسرته . اعترفوا بايمانهم المسيحى وقيدوا بالاغلال الحديدية ، وأرسلوا الى قرطاجنة .

قدموا للمحاكمة أمام انيولينوس Anulinus بتهمة عقد اجتماع والاحتفال بالعشاء الربانى مخالفين الامر الامبراطورى . وتناولهم التعذيب واحدا بعد الاخر بقصد معرفة زعيمهم ، فكان كل واحد منهم يحاول أن يلصق التهمة بنفسه ... وكانت اجاباتهم اعترافات صريحة بأنهم اشتركوا فى العشاء الربانى بمحض ارادتهم لانهم مسيحيون ... وقد عذبوا بشدة حتى أن بعضهم مات تحت التعذيب ، والبعض ماتوا جوعا فى السجن .

وكان آخرهم صبيا يدعى ايلاريانوس ابن القس ساترنينوس . وكان قد شهد أباه وأحد اخوته يعذبان ، وأخا ثانيا يضرب حتى يموت ، وشقيقته عذراء تساق للسجن فى انتظار الاستشهاد . ورأى انيولنيوس أن يخلى الصبى من المسئولية بطريقة ملتوية .. غير أن رد الصبى كان حاسما ، اذ قال له « انى مسيحى وقد اشتركت فى الاجتماع بمحض ارادتى مع ابى وأخوتى » . فأمر الوالى بايداعه السجن مع الباقين ممن حكم عليهم بالموت . وهنا دوى صوت الصبى فى ساحة المحكمة وهو يصيح « لك الشكر يارب » .

---

(86) Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, p. 790; Vol. 3, p. 52;
Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

شهداء سبسطية الاربعون(*) :

حكم القائد الاعلى فى كبادوكية ، فى جيش الامبراطور ليكينيوس سنة ٣٢٠ ، بعد سلسلة من المحاكمات وهول التعذيب ، على أربعين جنديا ، رفضوا التقريب للآلهة ، بأن يقضوا ليلة من ليالى الشتاء القارس البرد عراة ، فى بحيرة تجمد ماؤها ، قرب مدينة سبسطية بأرمينيا .. وكنوع من الاغراء ، أقيم على مقربة من البحيرة حمام ساخن ..

وحدث أن واحدا من هؤلاء الاربعين ــ الذين ارتبطوا معا بميثاق الاستشهاد ــ ضعف احتماله ، فزحف الى الحمام . غير أنه ما كاد الماء الساخن يلمس جسده حتى مات . **وهنا خلع حارس الحمام ثيابه ، والقى بنفسه فى** البحيرة ، لينال أكليل ذلك الجندى البائس ، بعد أن كشفت له رؤيا . لقد رأى ملائكة يضعون أكاليل على رؤوس الشهداء التسعة والثلاثين . وأبصر ملاكا يحمل الاكليل الاربعين منتظرا من يتوجه به ، بعد أن ضعف ذلك الجندى .. وقد نال حارس الحمام ذلك الاكليل .

أخيرا سارع الموت اليهم فكسر الجنود سيقانهم ... وفى الصباح كان الجميع قد اسلموا الروح ما عدا واحدا منهم يدعى ميليتو Melito . وكانت أمه واقفة تشهد المأساة . وحملت أجساد من أسلموا الروح الى عربة لنقلهم الى مكان حرقهم . **فلما وجدت تلك الام أن جسد ابنها لم يحمل مع باقى الاجساد الى العربة (لانه كان لايزال ينبض بالحياة) ، حملته بين يديها ، ووضعته مع أجساد زملائه ، ليكمل شهادته ، ويفوز باكليله .**

(*) Mason: Historic Martyrs of the Primitive church; Dictionary of christian Biography, vol. 2, pp. 556, 557.

تقييم الاستشهاد في المسيحية

والآن ، بعد أن عرضنا للعذابات المروعة التى احتملها الشهداء ، والميتات التى اقتبلوها ، واعدادهم الضخمة من كل الشعوب والاجناس والطبقات والاعمار من الجنسين ، والمعجزات التى صاحبت عذابهم واستشهادهم ، وتأثير ذلك فيمن شاهدوهم ... ما هو حكمنا على الاستشهاد فى المسيحية . هل كان نوعا من الجنون والجهل والحماقة ، أم كان نوعا من الهروب من الحياة ، أو نوعا من الانتحار تحت ظروف قاسية ، كما ادعى أعداء المسيحية !

لم يكن هكذا ، بل كان ثقل مجد لاولئك الشهداء ، وللسماء نفسها ، وللمسيحية أولا وأخيرا ... والآن نعرض لكشف هذه النواحى .

الاستشهاد شهوة

كان احساس الشهداء والمعترفين بشرف تألمهم من أجل أنبل الاسباب والاهداف — شركة آلام المسيح[1] — دافعا لهم على الاستهانة بالعذاب والموت . بل قد تحول الاستشهاد لديهم الى ما يمكن ان نسميه ، **شهوة محببة** . **فكانوا يتقدمون الى الحكام والولاة والقضاة معلنين مسيحيتهم دون أن يبحث عنهم أحد ، أو يستدعيهم ، أو يقبض عليهم ...**

فبعد المذبحة المروعة التى عملها أريانوس الوالى فى أخميم ، وبعد أن سرى خبرها الى البلاد المجاورة لأخميم ، سارع الناس اليها ليلحقوا بركب الشهداء . وكان الآباء والمهات ومعهم أولادهم يتسابقون قائلين فى فرح « نحن ماضون الى ملكوت السموات » ...

وقد أتيحت للبعض فرصة الهرب والتخلص من العذابات والموت ، ومع

---

(١) فى ٣ : ١٠

ذلك رفضوا ، مبرهنين على أشتهائهم الموت حبا فى المسيح ، الذى سبقهم فى هذا الطريق ... وقصص الشهداء مليئة بأمثال هذه اللفتات .

● فالقديس اندراوس الرسول عندما صلبوه حدثت زلزلة عنيفة فهرب صالبوه . وجاء أحباؤه لينزلوه عن الصليب فرفض ، وعانق الصليب معلنا محبته للمسيح المصلوب . وكأنى بالقديس بولس يكشف هذه الشهوة حينما قال « **وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة ، لكى ينالوا قيامة أفضل** » **(عب ١١ : ٣٥)** .

● والقديس أغناطيوس الانطاكى الشهيد ، الذى حكم عليه بأن يلقى للوحوش فى روما ، يكشف لنا — وهو فى طريقه للاستشهاد — عن الشهوة العارمة التى كان يعتمل بها قلبه نحو الاستشهاد ، والتى كشفتها رسالته الى أهل رومية[٢] .

● والعلامة أوريجينوس ، الذى استشهد والده ، اشتهى هو أيضا ان يصير شهيدا ، بل كانت تعتمل فى نفسه شهوة ملحة لسفك دمه من أجل الهه ويقول يوسابيوس عنه « ولأن غيرته المتأججة المتجاوزة حدود سنه لم تسمح له بالبقاء ساكنا ، **أرسل لابيه رسالة مشجعة عن الاستشهاد نصحة فيها قائلا : « احذر من أن تغير موقفك بسببنا »**[٣] . وفى يوم ما ، تملكت هذه الشهوة على ذلك الجندى المسيحى الصغير ، ولم يطق البقاء فى بيته ، ولم يذعن لتوسلات أمه ، الا بعد أن أخفت ثيابه[٣] ، وكان وهو فى الثامنة عشر رشيد أسرته بعد استشهاد والده ... وقد سمح الله باستبقائه ، من أجل نفعه الجزيل الذى قدمه لكنيسة المسيح .

ولعل كلماته الآتية تكشف عن نظرته للاستشهاد ، قال « حينما ننظر الشهداء فى كل مكان متهمين ، آتين من كل كنيسة ليقدموا للمحاكمة ، نرى فى كل منهم الرب نفسه يحاكم . كيف نشك فى ذلك ، حينما نعرف من كلام الرب أنه ليس مجرد انسان عادى هو الذى يلقى فى السجن ، ليحتمل البرد

---

(٢) أنظر ص ١٩٦ .

(٣) يوسابيوس ٦ : ٢ .

والجوع والعطش ، بل هو نفسه الذى يتألم فى شخص المتألم ومن هنا ، فانه حينما يحكم على أى مسيحى لمجرد أنه مسيحى ، وليس لسبب آخر ، أو جريمة أخرى فان يسوع المسيح هو الذى يحكم عليه فى شخصه . وتبعا لذلك ، فانه يحكم عليه فى كل مكان فى الارض ، حينما يتألم أناس على اسمه »[٤] ... **هكذا نظر أوريجينوس والمسيحيون جميعا الى الاستشهاد كشركة آلام الرب .**

● والقديس الانبا أنطونيوس أب الرهبان ، اشتهى أن يصير شهيدا زمان الاستشهاد . ومن أجل تحقيق هذه الشهوة ترك وحدته فى الجبل ونزل الى الاسكندرية وكان يزور المعترفين فى السجن ، يعزيهم ويقويهم ... وقيل انه كان يلبس ثيابا بيضاء ، ويقف فى الشوارع أثناء موكب الحكام ، ملفتا النظر اليه ... لكن الله لم يسمح أن يصير شهيدا بسفك دمه ، بل بنسكه ، وحفظه لكى يكون أبا لكثيرين فى العالم كله ، ممن أتبعوا خطواته ...

● والقديس بيفام الاوسيمى ، سأل عنه أريانوس حال وصوله الى أوسيم أما هو فصلى وقبل باب حجرته ، وقال « السلام لك يا قيطونتى ، التى تعبدت فيها لله الحى » . ثم لبس أفخر الثياب ورشم ذاته بعلامة الصليب ، وشد وسطه بمنطقة من ذهب ، وركب حصانا وكان يقول « **هذا هو يوم عرسى الحقيقى . هذا يوم فرحى وسرورى بلقاء ملكى والهى يسوع** » . وشجع أمه قائلا لها « يا أمى لا تبكى ولا تحزنى بل أفرحى ، فان هذا هو يوم عرسى » ... أمر الوالى أن تلقى أمه فى النار مع جمع كبير من المعترفين وودعها قائلا « اذهبى الى النعيم يا أمى لأنه عن قليل الحق بك » ... وأخيرا قطعت رأسه بحد السيف فى مدينة قاو[٥] فى ٢٧ طوبة .

● **والانبا بسادة أسقف أبصاى بجوار اخميم ، وهو مساق للاعدام شوهد مرتديا الثياب البيضاء الخاصة بالتقديس** ، فأقترب منه شاب شماس وسأله لماذا يرتدى الثياب البيضاء التى يرتديها حين ترفع القرابين . فكان جوابه « يا أبنى أنا ذاهب الى حفلة العرس ، فكيف لا ألبس الملابس البيضاء » !

---

(٤) أوريجينوس فى تفسيره لسفر أرميا ٨:١٤ .

(٥) مخطوطة ١٠٣/٤٨٠ تاريخ بالمتحف القبطى .

● وفى شمالى أفريقيا ــ فى الاضطهاد الذى أثاره فالريان (٢٥٣ــ٢٦٠) ــ قبض على مجموعة من المسيحيين وطرحوا فى السجن ، وتحملوا أهواله شهورا طويلة ، واعترفوا جميعا بايمانهم المسيحى . واقر لوكيوس ، ومونتانس ، وجوليان ، وفيكتوريكوس ، أنهم من رجال الدين . وبناء على ذلك ، حكم عليهم بالاعدام فورا ، حسب تعليمات الامبراطور .

وكان معهم شاب يدعى فلافيان ، اقر انه شماس . غير أن نفرا من اصدقائه وزملائه فى الدراسة من الوثنيين ــ رغبة فى انقاذه ــ اكدوا أن أعترافه باطل فأجل الوالى الحكم عليه .

وكان أن أحس بخيبة أمل كبيرة لحرمانه من تلك الرفقة الطيبة ... وسيق الباقون الى مكان الاعدام . وقبل أن يعدم مونتانس رفع يديه للصلاة فى صوت مرتفع ، سمعه الجميع مسيحيون ووثنيون وقال : « أن فلافيان ــ الذى عاقته محبة أصدقائه له ــ سوف يلحق بنا فى اليوم الثالث » ... وكعهد لتحقيق صلاته ، أمسك بالمنديل الذى كان على وشك أن يعصب به عينيه ، وشقه الى نصفين ، أعطى أحدهما للمسيحيين الواقفين حوله ليعصب به فلافيان عينيه بعد يومين . وكلف الاخوة أن يحتفظوا له بقطعة من الارض التى سيدفن فيها هو ورفاقه بها حتى لا ينفصل عنهم فى مماته ...

وبعد يومين ، دعى فلافيان . وكان اليوم الثالث أشبه بيوم البعث بالنسبه اليه . وأيقن أنه يغادر السجن الى غير رجعة . وعاد أصدقاؤه الوثنيون يتوسلون اليه أن يتخلى عن عناده قائلين ، انه من الحمق أن يترجى فرصا غامضة باهتة فى حياة أخرى ... فكان رده أنه من الخير له أن يحتفظ بحرية ضميره ، مقدما ذاته للذبح ، عن أن يعبد حجرا ... واقتيد الى مكان الاعدام ... وهناك اعتلى مرتفعا من الارض ليخطب الجمع الكبير من المسيحيين . وفى حديث قصير أعطاهم سلام الشركة مع الشهداء ... ثم ترجل الى المكان المحدد ، حيث عصب عينيه بنصف منديل مونتانس ، وجثا ليصلى . وما أن أتم صلاته حتى تلقى ضربة السيف التى أطاحت برأسه[٦] .

---

(6) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

● وفى قصة استشهاد القديسة أربسيما العذراء ومن معها من العذارى حدث أن الملك تريداته ، أرسل بعض جنوده وقتلوا جميع العذارى اللواتى كن مع أربسيما ، ما عدا عذراء منهن كانت مريضة راقدة فى كوخ بمفردها ... **وإذ لم يبصرها أحد ، أو يفطن الى موضعها ، خشيت أن تفوتها هذه الفرصة ، فصاحت نحو الجند ، فاتوا وقطعوا رأسها أيضا**(٧) .

● وفى مدة اضطهاد الملك الاريوسى فالنس Valens (٣٦٤ــ٣٧٨) ، الذى أثاره ضد الارثوذكسيين ، حدث أن والى بلاد ما بين النهرين (بالعراق) ، نفى الاسقف والكهنة والشمامسة ، الذين رفضوا الاشتراك مع الاسقف الجديد الاريوسى .... فكان الشعب يخرج الى البرية ويصلى هناك ... فأثار هذا التحدى الملك ، وأرسل الى واليه بتشتيت اجتماعاتهم .

ففى ذات صباح خرج الوالى ومعه جنود كثيرون ليرهبوا الشعب **وأثناء سيره فى المدينة شاهد امرأة مسكينة تخرج مهرولة من بيتها ، وعلى يديها طفل ، غير مبالية بغلق باب بيتها** ، مسرعة فى سيرها ومرت بين الجنود . لفت منظرها ومسلكها الوالى . فأوقفها وسألها :

« الى أين تمضين مسرعة يا امرأة ؟ » .

أجابته : « انى ماضية الى الحقول حيث جميع المؤمنين » .

قال لها : « الا تعلمين بأنه قد صدر أمر الملك بقتل جميع من يوجدون هناك ؟ » .

قالت له : « نعم ، أعلم ذلك ، ولهذا أنا أجد فى السير لأبلغ هذا المكان خوفا من أن تفوتنى فرصة الاستشهاد » .

قال : « ولم تأخذين هذا الطفل معك ؟ » .

أجابته : « لكى يشترك معى فى هذا المجد » .

وهكذا نرى أن الاستشهاد كان شهوة محببة يتوق اليها المسيحيون ، ويرتمون فى احضانه .

(٧) سنكسار ٢٩ توت .

الاستشهاد شجاعة

لم يكن الاستشهاد فى المسيحية رعونة ، لكنه شجاعة مطلوبة ... شجاعة كفضيلة . وقد أثرت هذه الشجاعة فى نفس القدس يوستينوس الفيلسوف الشهيد ، حينما كان ما يزال وثنيا ...

يقول : « فى الوقت الذى كنت استمتع فيه بمبادىء افلاطون . وفى الوقت الذى كنت أستمع فيه الى المصائب التى يكابدها المسيحيون ، قلت لنفسى : حيث أنى رأيتهم لا يرهبون الموت ، حتى وسط الاخطار التى يعتبرها العالم مرعبة فمن المستحيل أن يكونوا أناسا يعيشون فى الشهوة والجرائم »[٨] .

وكتب الشهيد كبريانوس أسقف قرطاجنة ، يقول : « لقد انذهلت الجموع المشاهدة للحرب السمائية ، الحرب الالهية ، الحرب الروحية ، معركة يسوع . لقد رأوا خدام يسوع ثابتين فى جرأة ، بفكر مستسلم ... محتملين سيوف العالم ، لكنهم مؤمنون ومحصنون بأسلحة الايمان **لقد كان المعذبون أكثر شجاعة من معذبيهم . اذ غلبت الاعضاء المضروبة الممزقة ، الآلات التى ضربتها ومزقتها** . لقد كانت السياط تكرر الجلدات بكل ما فى قوتها لكنها لم تقدر أن تهزم الايمان غير المنظور . لقد كان الدم يتدفق ليطفىء لهيب الاضطهاد ، ويبطل نيران جهنم ، ويروى بذار الايمان المسيحى ... » .

وفى قصص الشهداء التى قدمناها كنماذج ، ما يدل على عظم شجاعتهم بصورة يعجز اللسان البشرى عن وصفها ، حتى أن يوسابيوس المؤرخ يقول « ولم يكن المرء يتمالك نفسه من الدهشة أمام الثبات الذى لا يقهر ، الذى أبداه هؤلاء المباركون (الشهداء) ، والجلد الذى لا يتزعزع الذى أظهره أولئك الذين كانت أجسادهم لا تزال غضة فكنت ترى شابا لم يكتمل بعد الثانية والعشرين واقفا غير موثق ، باسطا يديه على شكل صليب ، بعقل غير متخوف ، أو غير مرتعب ، منشغلا فى صلاة حارة لله ، دون أن يتراجع عن

---

(8) Justin: Apol. 2 : 12, 13.

المكان الذى وقف فيه ، بينما تكاد النمور والدببة تلمس جسده ، وهى تنفث تهديدا وقتلا . ومع ذلك ظلت أفواهها مغلقة (ولست أدرى كيف كان ذلك) ، بقوة الهية لا تدرك ، وعادت ثانية الى مكانها »(٩) .

ويقول المؤرخ المدقق دى برسنسيه De Pressense « لقد وقفت الشجاعة النبيلة التى تحلى بها المعترفون الحقيقيون بالايمان فى جلالها ، ضد أسس الظلام التى للوثنية القاسية والارتداد الجبان . كان الشهداء أبطالا فى الكلام والعمل على السواء . وتكلم صوت الروح القدس القوى على أفواهِ الشهداء . ولم يعد السمو شيئا غريبا على الكنيسة . اننا نحس ونحن نقرأ . اجابات أكثر المسيحيين تواضعا ، أنهم كانوا عظماء فى بساطتهم ، وأن الطبيعة البشرية أرتفعت فوق ذاتها ، وانها ارتفعت فى القداسة بقوة الايمان فى وجود الخطر »(١٠) .

ولقد كانت شجاعة المعترفين والشهداء المسيحيين ، مثالا فريدا . لم يألفه العالم القديم بديكتاتورية حكامه . وكانت اجاباتهم التى قالوها نغمة جديدة على سمع العالم وقتذاك . يقول يوستينوس الشهيد الفيلسوف : « لا شيء يستطيع أن يحولنا عن ايماننا . لا سيف القاتل ، ولا صليب الضيق ، لا أنياب الوحوش الضارية ، ولا القيود ، ولا النار ، ولا العذاب بأى نوع بقدر ما يزيدوا آلامنا بقدر ما يزداد عدد المؤمنين ، وبقدر ما يزداد عدد التلاميذ الذين ينحازون الى جانب المسيح »(١١) .

وفى اجابات المعترفين المسيحيين أمام الحكام ما يكشف عن عظم الشجاعة ، التى لا ترهب الموت مقابل الصدق والحق(١٢) . وقف شاب يدعى أخاتيوس Achatius فى أزمير أمام حاكمها ــ زمان اضطهاد ديسيوس ليحاكم بتهمة المسيحية ، قال للحاكم أنه لن يقرب القربان للامبراطور ، لان القربان لا يرفع لمخلوق . **وحين قال له الحاكم « إما تقديم القربان وإما الموت » ، كان جوابه :**

---

(٩) يوسابيوس ٨:٧ .

(10) De Pressensé Vol. 2, ch. 2.

(11) Justin: Dialogue with Trypho.

(١٢) انظر فصل محاكمات الشهداء وأحاديثهم الخالدة .

« ان هذا أسلوب قطاع الطرق ، فهم يخيرون المسافرين ، بين تسليم نقودهم أو الموت »(١٣) .

وفى ألوان التعذيب الذى احتملوه — والتى مجرد ذكرها يرعب الانسان — ما يدل على عظم شجاعة هؤلاء الشهداء . والمؤرخ المدقق لكى Lecky ، بعد أن يعدد أنواع التعذيب المرعبة التى احتملها المسيحيون ، يقول : « بين السجلات الصحيحة للاضطهادات الوثنية ، هناك قصص تظهر بجلاء مدى عمق القسوة التى يمكن أن تنحط اليها الطبيعة البشرية ، والمقاومة البطولية التى تبلغها .. من أجل محبة هؤلاء لسيدهم القدوس ، ومن أجل ايمانهم ، وحتى يظلوا أمناء ، إحتمال الرجال وحتى الفتيات الصغيرات كل هذه الآلام دون أن يجفلوا أو ينثنوا بينما كانت كلمة واحد منهم كافية لاطلاقهم وتخليصهم من كل هذه العذابات »(١٤) .



دماء الشهداء بذار الكنيسة :

هذه العبارة المشهورة قالها العلامة ترتليانوس ، الذى عاش وسط الاضطهادات ، فى النصف الاخير من القرن الثانى ، وكان من أكبر المتحمسين للاستشهاد ... ولقد أثبتت الايام والسنين والاحداث صحة هذا القول .... وقد قال أيضا موجها كلامه الى الحكام الوثنيين : « استمروا فى تعذيبنا ، أصحنوننا الى مسحوق ، **فان اعدادنا تتزايد بقدر ما تحصدوننا** ! ان دماء المسيحيين هى بذار محصولهم . ان عنادكم هو فى ذاته معلم لأنه من ذا الذى لا يتحرك بالتأمل فيما تعملونه ليستعلم عن حقيقة الأمر . ومن ذا الذى بعد انضمامه الينا لا يشتاق الى التألم ؟! » .

ان الاستشهاد بنتائجه برهان عملى لقول رب المجد : « ان لم تقع حبة الحنطة

---

(13) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

(14) Lecky: History of European Morals, Vol. 1.

فى الارض وتمت ، فهى تبقى وحدها ، ولكن ان ماتت تأتى بثمر كثير » . (يو١٢: ٢٤) ... هذا ما نراه عمليا ، فحبة واحدة من الحنطة تدفن فى التربة ، تأتى بسنابل مملوءة ثلاثين وستين ومائة ... هكذا الكرمة أيضا التى تُقلم تعطى ثمراً اكثر . وهو نفس المعنى الذى أراده رب المجد بقوله « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام . كل غصن فىّ لا يأتى بثمر ينزعه . وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر اكثر » (يو١٥: ١،٢) .

وفى ذلك يقول يوستينوس الشهيد فى دفاعه : « ها أنت تستطيع أن ترى بوضوح أنه حينما تقطع رؤوسنا ، ونصلب ، ونلقى للوحوش المفترسة ، ونقيد بالسلاسل ، ونلقى فى النار وكل أنواع التعذيب ، أننا لا نترك ايماننا . بل بقدر ما نعاقب بهذه الضيقات ، بقدر ما ينضم مسيحيون أكثر الى ايماننا وديانتنا باسم يسوع المسيح . ان الكرام يقطع أغصان الكرمة التى تحمل ثمارا ، حتى تنمو أغصان اخرى . وهذا يصيرها أكثر حيوية وأكثر اثمارا . وهذا ما يحدث معنا . فالكرمة التى غرست بواسطة الله مخلصنا يسوع المسيح ، هى شعبه » .

والعجيب أن الرب يسوع أرسل تلاميذه كحملان بين ذئاب (لو١٠: ٣) !!.. كيف هذا .. ألا يخشى الله أن تفتك الذئاب بالحملان ؟ كلا ، انها لا تفتك بها ، بل ان ما يحدث هو العكس فالحملان تحول الذئاب الى حملان مثلها .

يقول القديس اغسطينوس : « تأملوا يا أخوتى ماذا يفعل يسوع ... ان ذئبا واحدا لو ألقى بين غنم كثيرة ، ولو بلغوا عدة آلاف ، لارتعب القطيع كله على الرغم من عدم قدرة الذئب على افتراس الكل ، لكن الكل يخافونه ... فأى مشورة ، واى تدبير ، وأية قوة هذه ، حتى لا يبث الله ذئبا وسط الغنم ، بل يرسل غنما وسط الذئاب !! انه لا يقترب بهم نحو الذئاب ، بل فى وسط الذئاب .. لقد كان هناك قطيع من الذئاب وقلة من الغنم ، **فعندما افترست الذئاب الكثيرة الغنمات القليلة تحولت الذئاب الى غنم** .

لقد آمن كثيرون بسبب آلام الشهداء وموتهم ، بما صاحب استشهادهم من معجزات ، وما اظهروه من ثبات واحتمال وصبر ... ولقد أوردنا كثيرا من هذه

الأمثلة ، وسجل الشهداء حافل بقصص الايمان ... **وقد لا أكون مبالغا إن قلت ، ان الايمان المسيحى انتشر باستشهاد القديسين ، أكثر مما انتشر بتعليم المبشرين** ... فالدماء روت بذار الايمان فصارت دوحات عظيمة ، استظل بها كثيرون ...

لقد كسب المسيحيون الأوائل للمسيح كثيرين ، وقد نالوا هذا الكسب بموتهم اكثر مما نالوه بحياتهم أو معجزاتهم . وكما ينمو الحشيش اكثر كلما يجز ، هكذا المسيحيون كانوا ينهضون بقوة جديدة كلما كانوا يحصدون(١٥) .

الاستشهاد برهان عملى على صدق الديانة المسيحية

يقول المؤرخ الكبير شاف Schaff « نحن لا نعرف ديانة اخرى استطاعت ان تصمد لفترة طويلة ــ ثلاثة قرون تقريبا ــ فى مقاومة متصلة من التعصب اليهودى ، والفلسفة الاغريقية ، والسياسة الرومانية وقوتها . **ما من ديانة اخرى كان يمكنها أن تنتصر فى النهاية على اعداء كثيرين ، بالقوة الادبية الروحية وحدها ، ودون الاستعانة بأية وسائل مادية لمساندتها** »(١٦) .

اليس فى هذا اتمام لأقوال الرب يسوع ومواعيده التى سلمها لتلاميذه « يلقون أيديهم عليكم، ويطردونكم ويسلمونكم الى مجامع وسجون ، وتساقون امام ملوك وولاة لأجل اسمى ، فيؤول ذلك لكم شهادة . فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا . لأنى اعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها . وسوف تسلمون من الوالدين ، والاخوة والأقرباء ، ويقتلون منكم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى » (لو٢١: ١٢ــ١٧) ... ألم يتم كل هذا حرفيا ؟ .

(15) Watson: Defenders of the faith.

Tertullianus: Ad Scapulam, ch. 5.

Justin: Apol. 2 : 12, 13; Tert. Apol, ch. 50.

(16) Schaff, Vol. 2, p. 77.

ان حوادث الاستشهاد مليئة بالأمثلة التى أوردناها كعينات على ذلك ... أما النصرة النهائية فهى اتمام لوعده : « فى العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو١٦:٣٣) .

هكذا رأينا فى سير الشهداء ان المسيح نفسه كان يظهر لبعض الشهداء ، سواء بشخصه ، أو بواسطة ملائكته ، أو قديسيه ، يعزى هؤلاء الشهداء ويقويهم ... هكذا خرجت الكنيسة منتصرة فى النهاية بعد حرب ضروس ، خاضت معاركها اتمام لقوله : « كل آلة صورت ضدك لا تنجح . وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه » (أش٥٤:١٧) .

كيف يمكن تعليل المعجزات التى حدثت وقت تعذيب الشهداء ؟.. كيف يعود الانسان سليما معافى بعد تقطيع أعضائه ، وتهرؤ لحمه ؟ كيف تتخلى الوحوش الضارية الجائعة عن طبيعتها ، فلا تمس الشهداء ولا تقربهم ؟! كيف يفقد السم تأثيره على شهداء المسيح ولا يضرهم ؟

كيف يحدث هذا ، الا اذا كان ذلك اتماماً لكلمات رب المجد : « ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ، ولا يضركم شىء » (لو١٠:١٩) ... « وهذه الآيات تتبع المؤمنين ، يخرجون الشياطين باسمى يحملون حيات . وان شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ... » (مر١٦:١٧،١٨) .

الاستشهاد برهان عملى على الفضائل المسيحية

كما تختبر المعادن بالنار ، كذلك تختبر الفضائل بالآلام والضيقات ... كانت الاضطهادات العنيفة التى قاستها المسيحية ، برهانا على أصالة فضائلها فقد يتكلم الانسان كثيرا عن الفضائل لكن هذا لا يعنى أنه إنسان فاضل ، إلا إذا برهن على الفضيلة عمليا بحياته ، وبخاصة فى محنة آلامه . وقد اثبت الاستشهاد أصالة الفضائل التى نادت بها المسيحية ، متجسدة فى اشخاص الشهداء ، الذين لم تستطع الآلام المبرحة ان تجعلهم يتخلون عنها وكبرهان على ذلك ، نستعرض بعض الفضائل :

الثبات والاحتمال :

يقول العلامة ترتليانوس فى خاتمة دفاعه ، موجها كلامة الى حكام الامبراطورية الرومانية وقضاتها « كثيرون من كتابكم يحثون على التشجيع فى احتمال الالم والموت . ومن أمثالهم شيشرون وسينكا وديوجنيس ، وبيرهوس ، وكلنيكوس . ومع ذلك لا تجد كلماتهم أتباعا كثيرين ، على نحو ما تجد المسيحية . فالمعلمون ليسوا بكلماتهم ، بل بأعمالهم .

وهذه الصلابة التى تعيرونها هى تعلمكم . لانه من ذا الذى يتأملها ولا يتحرك ليستفسر ما هى نهايتها ؟ ومن ذا الذى بعد أن يستفسر لا يعتنق مبادئنا ؟ وبعد أن يعتنقها ، لا يشتاق الى التألم حتى ما يصير شريكا لكمال نعمة الله ؟! » .

الوداعـــة :

لقد أثبت المعترفون والشهداء بلا استثناء وداعتهم مقابل أعدائهم .. لم يثوروا ولم يتمردوا ومنهم الجنود والقواد والحكام ... كان يمكنهم أن يفعلوا شيئا لكنهم لم يفعلوا ... وكانت أعدادهم ضخمة كافية لاثارة شغب .

وعلى سبيل المثال نذكر الكتيبة الطيبية التى كانت تضم أكثر من ستة آلاف جنديا ، واستشهد افرادها عن آخرهم . لقد قالوا فى رسالة وقعوها ورفعوها الى الامبراطور مكسيميانوس : « أيها القيصر العظيم اننا جنودك ، لكن فى الوقت نفسه عبيد الله ... لسنا ثوارا ، فالاسلحة لدينا ، وبها نستطيع ان ندافع عن أنفسنا ونعصاك ، لكننا نفضل أن نموت أبرياء ، على أن نعيش ملوثين . ونحن على أتم استعداد ، أن نتحمل كل ما تصبه علينا من أنواع التعذيب ، لأننا مسيحيون ، ونعلن مسيحيتنا جهارا ... »[١٧] .

محبـة الاعــداء :

أما عن محبتهم لاعدائهم فهى واضحة كل الوضوح .. كانوا يحبونهم ويصلون لاجلهم ، اتماما لوصية معلمهم : « أحبوا أعداءكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ...

(١٧) انظر ص ٢٥٤

وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم » (لو٦: ٢٧،٢٨) ... لقد أتم المسيحيون هذه الفضيلة ككنيسة وكأفراد .. **فاستفانوس أول شهداء المسيحية** ، بينما كانوا يرجمونه جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم : « يارب لا تقم لهم هذه الخطية » (أع٧: ٦٠) .

وقد أورد لنا يوسابيوس المؤرخ قصة شهيد فى قيصرية يدعى بولس . هذا طلب مهلة وجيزة بينما كان الجلاد على وشك قطع رأسه . ثم رفع صوته مصليا من أجل زملائه المسيحيين ، ومن أجل اهتداء اليهود ، والامم الذين يعيشون فى الضلال ، ومن أجل الجماهير الواقفة حوله ، وتوسل من أجل القاضى الذى حكم عليه بالموت ، ومن أجل الحكام . وكذا من أجل الشخص الذى كان مزمعا أن يقطع رأسه ، طالبا أن لا تحسب عليهم خطيتهم من نحوه[١٨] .

وفى خبر استشهاد القديسة صوفية[١٩] ، ان الوالى عذبها عذابا شديدا بضربها بأعصاب البقر وكوى مفاصلها وقطع لسانها لأنها كانت تصيح تحت الآلام وتقول « أنا مسيحية » وقبيل أن تقطع رأسها ، صلت الى الله صلاة طويلة ، وسألته أن يسامح الوالى وجنده بما فعلوه معها ، ثم أحنت عنقها للسياف .

ولم يتردد الشهداء فى أن يظهروا حبهم لمعذبيهم ومضطهديهم عمليا .

فالقديسان قزمان ودميان ، صليا لاجل الوالى الذى اعتراه روح نجس بسبب تعذيبه للشهداء ، فشفى للوقت[٢٠] والقديس أبيما شفى أرمانيوس والى الاسكندرية الذى أذاقه ألوانا من العذاب . شفاه من صمم وعمى ، كان قد أصيب بهما قصاصا لتجديفه على الرب[٢١] والقديس أباكلوج القس أقام ابن أريانوس الوالى بعد أن مات[٢٢] .

---

(١٨) يوسابيوس : شهداء فلسطين ٨: ٩ ــ ١٢

(١٩) سنكسار ٥ توت .

(٢٠) انظر ص ١٧٨ .

(٢١) أنظر ص ٢٤٣ .

(٢٢) أنظر ص ٢٠٧ .

العفة والطهـارة :

أما عن فضيلة العفة والطهارة ، فقد كانت واضحة كل الوضوح فى حياة الشهداء ، بل أظهروا تمسكم بها حتى الموت . وقد أوردنا عدة أمثلة على ذلك[٢٣] .

الزهد فى العالميات :

وقد باعدوا بينهم ، وبين محبة العالميات فى أية صورة من صورها .. فلقد صودرت أموالهم وممتلكاتهم وفصلوا من وظائفهم ، ومن مشاركة الحياة العامة ، وحتى الحمامات العامة ، منعوا من استخدامها ... والبعض عاش بعيدا عن الاعين كالذين عاشوا فى سراديب روما السحيقة ... وقد فعلوا كل ذلك عن اختيار ودوافع شخصية عملا بالمبادىء التى آمنوا بها ...

الشوق الى السماويات :

وبقدر ما زهد المسيحيون فى العالميات ، بقدر ما اشتاقوا الى السماويات . لقد عاشوا فى العالم ، لكن تطلعهم الدائم كان نحو السماء وامجادها ... عاشوا فى الجسد وكأنهم أرواح بلا أجساد .. لقد جعلوا كنزهم فى السماء ، ولذا كانت قلوبهم هناك ... لقد أثبتوا عمليا صدق الرب : « لستم من العالم » (يو١٥ : ١٩) ..

ولقد أورد لنا يوسابيوس المؤرخ قصة عجيبة توضح هذا الامر .. مثل خمسة شهداء مصريين أمام القضاء فى مدينة قيصيرية بفلسطين ، بتهمة مرافقة المعترفين الذين يعملون فى مناجم كيليكية وتشجيعهم . ولما سئلوا عن اسمائهم لم يذكروا أسماءهم الحقيقية ، بل ذكروا أسماء من الانبياء ، لان أسماءهم الحقيقية كانت أسماء وثنية ، أطلقها عليهم آباؤهم . فأطلقوا على أنفسهم أسماء ايليا ، وأرميا ، وأشعياء ، وصموئيل ، ودانيال ...

ولما سئل أحدهم عن وطنه أجاب « أورشليم » وكان يعنى أورشليم السمائية التى قال عنها الرسول بولس انها « أمنا جميعا » (غل٤ : ٢٦) .

---

(٢٣) أنظر ص ١١١.

ولما كان القاضى لا يعرف مدينة بهذا الاسم[٢٤] ، أمر بتعذيبه ، لكنه أكد أنه لم يتكلم سوى الصدق .. واذ سئل مرارا عن المدينة التى تحدث عنها ، قال أنها وطن الاتقياء فقط .. ويقول يوسابيوس « وقد تحدث عن هذه الامور ، بفلسفة وفوق ادراكه . ولم يستطيعوا أن يزحزحوه قيد شعرة بالتعذيبات ... ولم تظهر عليه علامات الشعور بالآلام ، كأنه لم يكن له لحم وجسم . واذ تحير القاضى ، لم يطق صبرا ، ظانا أن المسيحيين مزمعون أن يؤسسوا مدينة فى مكان ما ، معادية للرومان . فأستعلم كثيرا عن هذا .. ولما وجد أنه لم يتزحزح عن أصراره ، حكم عليه بالموت ... وبعد تعذيب الباقين تعذيبا مماثلا ، تصرف معهم بنفس الكيفية »[٢٥] .

---

(٢٤) كان اسم أورشليم قد عفت عليه السنون منذ زمان ، بعد ثورة باركوكبا فى عهد الامبراطور تراجان ، الذى أسس فى مكانها مستعمرة آيليا كابيتولينا .

(٢٥) يوسابيوس : شهداء فلسطين ف ١١ .

مع الكنيسة الساهرة

+ رعاية الكنيسة للمعترفين والشهداء .
+ كتابات الحث على الاستشهاد .
+ دفاعات المدافعين المسيحيين .
+ الجاحدون .
+ المعترفون .
+ نهاية المضطهدين .
+ مكانة الشهداء فى الكنيسة .

ماذا عملت الكنيسة فى محنة الإضطهاد ؟

عرضنا فى الباب السابق لبطولة الشهداء المسيحيين وروحانيتهم من كل ناحية ، الامر الذى قدم أحسن شهادة للمسيحية كديانة ... لكن هؤلاء الشهداء لم يكونوا وحدهم فى المعركة ... كانت وراءهم كنيسة حية ساهرة ، قامت بواجبها خير قيام ... ولولا ذلك لانهارت الجبهة المسيحية أمام بطش الدولة وكراهيتها ، حينما كان يحصد يوميا العشرات والمئات وأحيانا الآلاف من أبنائها ...

ماذا فعلت الكنيسة فى تلك الفترة ؟

هذا هو السؤال الذى نناقشه فى هذا الباب من الكتاب ... وفى اجابة سريعة نقول :

١ ــ لقد اهتمت الكنيسة بتجديد النفوس وشحنها روحيا ، عن طريق الحث بالتعليم .

٢ ــ **واهتمتْ ببناء النفوس فى الايمان الاقدس** . وقد تم ذلك فى الاجتماعات السرية للعبادة ، التى كانت تعقد فى سكون الليل ... وعلى الرغم من أنها كانت عرضة للمفاجأة والمباغتة فى أية لحظة ، بواسطة السلطات الحكومية ــ وهذا ما كان يتكرر حدوثه[1] ــ فقد حرص المسيحيون على حضور هذه الاجتماعاتْ ــ وأرواحهم على أكفهم ــ لخدمة الكلمة والاسرار المقدسة ... وقد تضمنت هذه الاجتماعات قراءات الأسفار المقدسة ، وتقديم الصدقات ، والصلاة ، والتعليم ، والوعظ ، واقامة القداس الالهى لتقديس الافخارستيا[2] .

٣ ــ رعاية المعترفين والشهداء من جميع الوجوه .

---

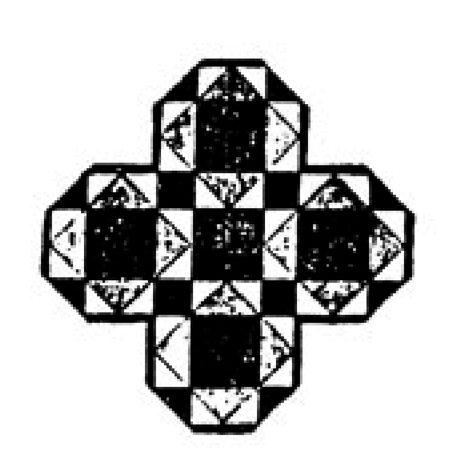
(1) Tert. : Apol. ch. 7.

(2) Justin Martyr. Apol. 1 : 65-67; Tert.: Apol. ch. 39.

٤ ــ **اهتمت الكنيسة باثبات صحة موقفها أمام العالم** ، وايضاح ماهية المسيحية ، ودفعت عن نفسها الاتهامات ، التى حاول اعداؤها المغرضون تشويهها بها . وهذا هو ما قام به فريق من المسيحيين عرفوا باسم المدافعين Apologists .

٥ ــ **اهتمامها بوضع من ضعفوا ، وجحدوا الايمان** ابان الاضطهادات العنيفة ، وأبدوا رغبة فى العودة الى حضن الكنيسة ثانية .

وسنتناول بالشرح فى الفصول القادمة النقاط الثلاث الاخيرة (٣،٤،٥) ، وهو ما يدخل فى نطاق بحثنا فى هذا الكتاب ، وبعدها نعرض لوضع المعترفين فى الكنيسة ، ثم نشير للنهاية السيئة ، التى انتهى اليها أعداء المسيحية ، وأخيرا نختتم بحثنا بالحديث عن مكانة الشهداء فى الكنيسة ...



رعاية الكنيسة للمعترفين والشهداء

عملت الكنيسة ما بوسعها ازاء من قدموا حياتهم ثمنا للايمان الاقدس ، ونالوا من العذابات ما يجل عن الوصف . فاهتمت بالمعترفين والشهداء وهم فى السجون تحت المحاكمة ... وأظهرت رعايتها لهم روحيا ونفسيا ، كما اهتمت بسد احتياجاتهم المادية ... لقد كان كل غرض الكنيسة أن تخفف من آلام الاسر ، وآلام الاضطهاد ... ولقد نجحت الكنيسة فى ذلك ، وكان نجاحها أكثر مما كان يتوقع فى أمثال الظروف والمحن التى مرت بها[1] .

الرعاية النفسية :

ونقصد بها تشجيع الكنيسة للمعترفين فى وقت محنتهم ، ورفع معنوياتهم . وقد تم ذلك عن طريق زيارات الخدام وأفتقاداتهم للمحبوسين ، وبواسطة رسائل التشجيع التى كانت ترسلها اليهم الكنيسة .

(أ) بالزيـــارات :

لقد سمح الحكام الوثنيون لاقارب المعترفين المسجونين وأصدقائهم بزيارتهم فى سجونهم ، ظنا منهم أن مقاومة هؤلاء المعترفين تضعف ازاء توسلات ذويهم والحاحهم ، تحت تأثير العاطفة . أضف الى هذا أن حفظة السجن فى تلك العهود ، كانوا غالبا جماعة من المرتشين ، وكان من السهل شراء محاباتهم وتغاضيهم بالرشوة ..

وقد سهلت هذه الناحية على الكنيسة ــ خداما وافرادا ــ مهمة رعاية المعترفين فى سجونهم[1] .. وطبعا لا يخفى علينا اثر الزيارات فى رفع معنوية الانسان المحبوس ، حتى أن رب المجد يعتبر هذا العمل ، الذى نعمله مع أحد الناس ، كأننا قد قمنا به نحوه شخصيا : « كنت محبوسا فأتيتم الى » (مت٢٥: ٣٦) ...

---

(1) De Prssensé: The Early Years of Christianity, Vol. 2, ch. 2.

ويصف لنا القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد كيف أن أعدادا كبيرة من أصدقاء المحبوسين ، كانوا يحيطون بهم ، حتى أنهم فى غمرة حماسهم نسوا أبسط مبادىء الحذر من مضطهديهم ... وكانت هذه التجمعات تنشىء عزاء كبيرا للمحبوسين ، تحت أبهاء السجون المظلمة[٢] .

(ب) بالرسائل :

وكانت الكنيسة تواصل افتقادها للمعترفين المحبوسين عن طريق رسائل التشجيع والتعزية ..

كتب كبريانوس الى بعض الكهنة المسجونين من أجل المسيح يقول :

« ... وكأننا نحن محبوسون معكم ، لأننا بالقلب معكم ، نشعر مثلكم ، بما أنتم مدينون به من الشرف لجوده تعالى . والمحبة التى تجمعنا تجعلنا نفتخر بافتخاركم . ولا شىء يقطع المحبة متى كانت روحية . فان محبتى لكم ، تحملنى الى حيث يحبسكم اعترافكم »[٣] .

وفى رسالة أخرى يقول لبعض المعترفين المسجونين ، مشيرا الى قيودهم الحديدية : « ان هذه ليست سلاسل ، انها حلى للزينة . أيتها الاقدام المقيدة التى للطوباويين ، التى تقطع الطريق الى الفردوس ! »[٤] .

ويقول أيضا موجها كلامة الى كنيسة قرطاجنة : « فى أوقات الاضطهاد ، تغلق الارض أمامنا ، لكن السماء تفتح . ضد المسيح يهدد ، لكن المسيح يعين . الموت يغلبنا ، لكن الخلود يتبعنا . العالم يتنحى عنا ، والفردوس يقبلنا . تنتهى هذه الحياة القصيرة ، لتبدأ الحياة الابدية . يا له من شرف ، يا له من سلام ، يا له من فرح ، أن نرحل هكذا فى مجد وسط الاضطهاد والضيق ، ونغمض أعيننا عن العالم والبشر ، لنفتحها فى وجه الله ومسيحه . يالها من رحلة قصيرة ! »[٥] .

---

(2) Cyp. Ep. 2 : 5.

(3) Cyp. Ep. 37.

(4) Cyp. Ep. 86.

(5) Cyp. : De Exhort. Martyr, 13.

الرعاية المادية :

فى تلك الازمنة الصعبة ، التى تعرض فيها المسيحيون لضغط الدولة ومصادرتها لممتلكاتهم وفصلها أياهم من وظائفهم ، كما تعرضوا للدهماء والسوقة وهياجهم وحوادث نهبهم لبيوتهم .. كان لابد للكنيسة أن تعمل عملا ، ترعى هؤلاء الذين يذودون عن الايمان ، وتسد كل احتياجاتهم المادية . وقد أوفت الكنيسة هذه الناحية ، عن طريق حثها الاخوة المؤمنين على الاسهام فى احتياجات المعترفين والشهداء ، ثم بطريقة مباشرة عن طريق مساعدتها لهم على يد خدامها ...

(أ) بواسطة الاخوة المؤمنين :

كانت الكنيسة تحث أبناءها على مساعدة المعترفين فى حبسهم بكل أنواع المساعدات ... ومعاملة المؤمنين المسيحيين لاخوتهم المحبوسين ، مصورة تصويرا بديعا ، فيما كتبه لوكيان Lucian عن حياة برجرنوس Peregrinus (فصل١٢) فبعد أن شرح كيف أعتنق هذا الشخص المسيحية فى فلسطين ، استطرد قائلا « وأخيرا قبض عليه بتهمة المسيحية وألقى فى السجن » .

ولما زج به فى السجن لم يترك المسيحيون وسيلة لاطلاق سراحه ثانية . ولما تبينوا استحالة هذا الامر ، قاموا بكافة الخدمات التى يحتاجها بكل شغف . وكان يتجمع عند باب السجن منذ الصباح الباكر ، نساء عجائز ، وبعض الارامل ، وأطفال صغار أيتام ينتظرون . أما الشخصيات البارزة منهم ، فكانوا يستطيعون ، حتى النوم داخل السجن ، مع المعترفين المسجونين عن طريق رشوة السجانين . **وهكذا كانت الوجبات الطيبة تحمل الى داخل السجن ، وتقرأ الكتب المقدسة** ... بل ان بعض مدن مقاطعة آسيا ــ التى جاء منها بعض المسيحيين لزيارته ــ أظهروا استعدادا لمساعدته أمام القضاء ، وبذل ما فى وسعهم لراحته ... أخيرا أفرج عنه حاكم سوريا(٦) .

(6) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 1126.

(ب) بواسطة خدام الكنيسة :

كانت الكنيسة تجمع مبالغ ضخمة لصالح المعترفين والشهداء المضطهدين ويقول كبريانوس فى رسالة له : « بالنسبة للعون الذى يقدم لأولئك الذين زجوا فى السجون بعد أن اعترفوا باسم الرب ، آمر الا يهمل فى أى شىء . لأن كل المبلغ المشار اليه وزع على الكهنة لهذا الغرض »[٧] .

وكدليل على رعاية الكنيسة المادية للمعترفين ، ما أصدره كبريانوس من تعليمات بخصوص المعترف كلرينوس Celerinus ، وكان قارئا (أغنسطسا) فى الكنيسة ، اذ أمر أن يصرف له مرتب قسيس[٨] .

وهناك رسالة للقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة دونها من مخبئه سنة ٢٥٠ حيث كان مختفيا أبان اضطهاد ديسيوس ــ توضح لنا دور الكنيسة بالنسبة لرعاية المعترفين والشهداء ماديا :

« من كبريانوس الى أخوته الكهنة والشمامسة .. سلام .
أيها الاخوة الاعزاء ..

اذكر أنى نبهتكم برسائل خاصة ، وكررت التنبيه ، أن تهتموا كل الاهتمام بالمسجونين ، وقد اعترفوا بالرب اعترافا شريفا . وها أنذا أعود الى ما سبق ، خوفا من أن تنقص عنايتكم بمن لا ينقصهم المجد . ولو كان وضعى يسمح لى بهذا الاهتمام ، لما تأخرت عن القيام به عن طيب خاطر . لأن المحبة تحتم علينا هذه الخدمة نحو أخوة بواسل . لكنى أعتمد على عزيمتكم ، بأن تنوبوا عنى فى هذه المهمة . أعملوا كل ما ينبغى عمله نحو من أعزهم الله ، بمثل هذه الفضائل من الايمان والقوة .. ثم انى طالما قلت لكم فى رسائلى ، انه يجب الا ينقص اهتمامكم بالفقراء ، ولا تضعف غيرتكم نحوهم . هؤلاء الفقراء الذين لم يغادروا معسكر المسيح ، بل ظلوا ثابتين معنا فى الايمان والجهاد . ولتكن عنايتنا بهم ، وحبنا لهم فوق صبرهم على

(7) Cyp. Ep. 2 : 5.

(8) Cyp. Ep. 39.

الفقر ، وفوق احتمالهم للاضطهاد ، فانهم فى اخلاصهم للرب صاروا مثلا فى الايمان لجميع الفقراء .. »[٩] .

ويؤكد القديس كبريانوس هذه المعانى فى رسالة اخرى الى اكليروس ايبارشيته فيقول :

« إنى اعتمد على محبتكم وتقواكم — ويكفينى ما بى من محن — وأسألكم ، أنتم الذين لا خطر على وجودكم حيث أنتم ، أن تنوبوا عنى فى السهر على ما يطلبه الدين من خدامه . اهتموا بالفقراء دائما بقدر امكانكم ، إن كانوا على الأقل متمسكين بالايمان ولم يهجروا معسكر المسيح » .

« وعليكم أن تخففوا بغيرتكم بؤسهم ، حتى لا تقدر الحاجة أن تنال من شقائهم ، ما لم يقدر الاضطهاد أن يناله من ايمانهم . وليكن عندكم عناية خاصة بمعترفينا الأمجاد فأنا عارف أن كثيرين منهم ترعاهم محبة اخوتهم . ولكن ان كان بينهم محتاجون الى المال ، أو الى الملابس ، فأعطوهم ما يلزمهم من ذلك ... »[١٠] .

الرعاية الروحية :

(أ) لأشخاصهـــم :

كانت الكنيسة تسهر على روحيات هؤلاء المعترفين الذين تحت المحاكمة . ويبدو أن الافراط فى تقدير الناس لموقفهم البطولى ، وتكريمهم وتمجيدهم ، **جعل الكنيسة تنبههم الى الاحتراس من هذا المديح** ، وتحذرهم من السقوط روحيا ... فكتب القديس كبريانوس الى كهنة وشمامسة ايبارشيته يقول :

« وليكن عندكم عناية خاصة بمعترفينا الأمجاد ... ليعلموا فى الوقت نفسه بواسطتكم ما يطلبه منهم نظام الكنيسة فى أمانتها على وصايا الكتاب . فعليهم

---

(9) Cyp., Ep. 12.

(10) Cyp. Ep. 14.

أن يكونوا متواضعين ، ودعاء ، وهادئين ، لكى يحافظوا على شرف اسمهم « معترفين » . لقد كانت كلمتهم مجيدة ، فليكن سلوكهم الآن كذلك . يجب أن يصيروا أهلا لنعمة الله . وهكذا ينالون الإكليل السماوى . وعلى كلٍ ، فالطريق أمامهم لم ينته . ويقول الكتاب « لا تمدحنّ أحداً قبل موته » . ويقول فى موضع آخر « كن أمينا الى الموت فسأعطيك أكليل الحياة » أما الرب فإنه يصرح قائلا : من يصبر إلى المنتهى يخلص . فليتشبهوا بالرب فإنه قرب آلامه لم يملأه كبرياءً بل تواضعاً وحينئذ غسل أرجل تلاميذه وفسّر عمله بقوله : إذ كنت أنا الرب والمعلم أغسل أقدامكم . فعليكم أنتم أن يغسل بعضكم أقدام بعض . أعطيتكم مثلا حتى تعاملوا الغير كما عاملتكم . وليقتدوا بالرسول بولس ، كيف ظل بعد السجن مراراً ، وبعد الجلد والوحوش وديعا متواضعا فى كل حال . حتى بعد تذوق السماء الثالثة والفردوس ، فإنه لم يستكبر : لم نأكل خبز أحد مجانا ، بل نعمل ليلاً ونهاراً ، ونكد ونتعب كيلا نثقل على أحد منكم . فأسألكم أن تبلغوا هذه التعليمات الى أخوتى . وبما أن من يتضع يرتفع ، فحينئذ يجب الحذر من فخاخ العدو . فإنه يتحدى من غلبه ، ويكون أشد هولاً وشراسة ، وهو مغلوب ، حتى يثأر من غالبة . عسى الرب يقدّرنى على رؤية معترفينا فألقى فى نفوسهم ، بإرشاد خلاصى ، مبادىء صالحة . إنى أتأ لم حقا حينما أسمع بسلوك بعضهم . إذ يسعون بلا حياء الى العار . فيقضون الوقت فى اللهو والمشاجرة . أيكونون أعضاء المسيح ، وقد اعترفوا بالمسيح . ويفقدوا كرامتهم بأعمالهم الحقيرة ؟ إن فى مسلك العدد القليل الفاسد منهم ما يشوه مجد العدد الكبير من المعترفين الأفاضل ... إن المعترف الحقيقى هو من لا تستحى الكنيسه به بل تفتخر به »[١١] .

(ب) الصلاة لأجلهم :

وعلى نحو ما فعلت الكنيسة الاولى ، حينما كان بطرس الرسول مطروحا فى السجن ، اذ كانت ترفع صلاة بلجاجة الى الله لأجله (أع١٢) ... هكذا أيضا الكنيسة فى زمان الاضطهاد ، كانت تصير منها صلوات لأجل المعترفين والشهداء ..

(11) Cyp. Ep. 14.

وما زالت أوشية المرضى التى تصليها الكنيسة فى رفع البخور ـــ وهى من القداس الكيرلسى أقدم قداساتنا ـــ تحوى طلبات من أجل المعترفين فى ضيقاتهم « ... الذين فى السجون أو المطابق ، أو الذين فى النفى أو السبى أو المقبوض عليهم فى عبودية مرة ، يارب اعتقهم جميعهم وارحمهم . لأنك أنت الذى تحل المربوطين وتقيم الساقطين . رجاء من ليس له رجاء ، ومعين من ليس له معين . عزاء صغيرى القلوب ، ميناء الذين فى العاصف . كل الأنفس المتضايقة والمقبوض عليها . أعطها يارب رحمة ، أعطها نياحا ، أعطها برودة ، أعطها نعمة ، أعطها معونة ، أعطها خلاصا ، أعطها غفران خطاياها وآثامها ... » .

وفى الطلبة فى القداس الكيرلسى أيضا يقول الكاهن : « **حل المربوطين ، خلص الذين فى الشدائد** » . وفى صلاة تحليل الكهنة التى تعقب صلاة نصف الليل ، يذكرهم الكاهن بقوله : « اذكر يارب ... الذين فى المطايق والسجون والذين فى السبى والنفى ... ردهم » .

(ج) الحفاظ على تراثهم وذخائرهم :

ونقصد بتراث الشهداء ، تدوين سيرهم ، والعذابات التى احتملوها ، والمحاكمات التى حوكموا بها ، والرؤى التى أعلنت لهم .. وقد اهتمت الكنيسة اهتماما بالغا بحفظ هذا التراث ، الذى ظل الى يومنا هذا ، كنزا للبركة والتقوية والتعزية والمعونة(١٢) .. واستغلت الكنيسة فرصة سماح الحكام لأقارب وأصدقاء المعترفين المحبوسين فى السجون بزيارتهم ، **فكان خدامها يدونون كل كلمات الشهداء وآلامهم التى يحتملونها والرؤى التى تعلن لهم ، وهكذا وصل هذا التراث الينا**(١٣) .

أما ذخائر الشهداء ، فكانت تعنى الكنيسة بجمعها والحفاظ عليها كبركة عظيمة . ويقول القديس كبريانوس الى الاكليروس فى ايبارشيته « ويبقى أن تعنوا بأجساد من فارقوا هذه الحياة ، وانتهوا الى نهاية مجيدة فى السجون أو ماتوا بدون تعذيب .... هذا وسجلوا انتقال هؤلاء الأخوة (وفاتهم) حتى نستطيع أن نحتفى

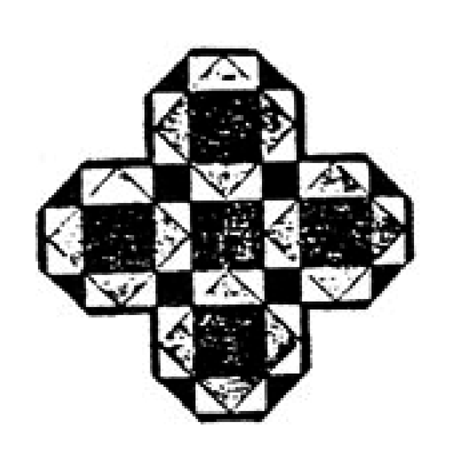
---

(12) De Pressensé: The Early Years of Christianity. Vol. 2 ch. 2.

(13) Cyp. Ep. 2 : 5.

بهم بين الشهداء ، يوم احتفالنا بتذكارهم »[١٤] .

وكانت الكنائس ترسل الى بعضها رسائل حاوية لاخبار الشهداء ، كما فعلت كنيسة ازمير بخصوص استشهاد بوليكاربوس ، وعلى نحو ما فعلت كنائس ليون وفينا ، فى رسالة الى كنائس آسيا الصغرى ، تصف فيها الاضطهاد الذى حل بهم سنة ١٧٧ على عهد مرقس أوريليوس ، ومن استشهدوا فيه[١٥] .



---

(14) Cyp.: Ep., 12.

(15) Martyrium Polycarpi (Documents of the Christian Church, pp. 12-16;
يوسابيوس ٥:١

الحث على الاستشهاد

الى جانب اهتمام الكنيسة ـــ شعبا وخداما ـــ بالمعترفين والشهداء ، من النواحى المادية والنفسية والروحية ، فقد عملت الكنيسة على تعبئة مشاعر المؤمنين ، وحفز عواطفهم ومحبتهم وأشواقهم نحو الله ، عن طريق ما أصدره بعض قادتها ومعلميها من كتابات للحث على الاستشهاد ... ومن يطالع هذه الكتابات يلمس الحماس المتأجج ، والروحانية المثالية ، والمجد الذى ينتظر الشهداء .

ولعل أبرز الآباء والمعلمين الذين طرقوا هذا الموضوع وكانوا يعيشون وسط نيران الاضطهادات هم :

العلامة أوريجينوس ، والعلامة ترتليانوس ، والقديس الشهيد كبريانوس .

(١) العلامة أوريجينوس :

فيلسوف وعلامة مصرى ، ولد بالاسكندرية من أسرة مسيحية حوالى سنة ١٨٥م . اهتم والده بتربيته تربية مسيحية خالصة ، وعلمه الكتاب المقدس ، ثم تابع الدراسة على يد اكليمنضس الاسكندرى .. استشهد والده سنة ٢٠٢ ابان الاضطهاد الذى أثاره سبتميوس ساويرس . وكان موقف اوريجينوس الابن عجيبا . فقد كان يشجع والده على الثبات ، وهو نفسه اشتهى أن يقدم نفسه للجلادين . وقد اضطرت أمه أن تخبىء ملابسه يوما كاملا حتى تعوقه عن الخروج للاستشهاد .

حل محل أستاذه أكليمنضس فى ادارة المدرسة اللاهوتية ، وكان سنه وقتذاك سبعة عشر عاما . لكنه كان على معرفة وعلم كبيرين . كان دائما حارا بالروح ، باشر ممارسات نسكية صارمة ، وبدأ ينادى بها . عكف على دراسة الفلسفة كلازمة من لوازم عصره . قام برحلات كثيرة خارج مصر .

قبض عليه سنة ٢٥٠ فى زمان الاضطهاد الذى أثاره ديسيوس ، والقى

فى السجن ونالته عذابات شديدة ، لكنه لم يستشهد ، بل أفرج عنه ، وتوفى فى مدينة صور سنة ٢٥٣ وله من العمر ٦٩ عاما .. كان عقله من أخصب العقول التى شهدتها الكنيسة المسيحية ، وخلف للكنيسة انتاجا رائعا . لكن ما يهمنا الآن فى بحثنا عن الاستشهاد هو كتابه « **الحث على الاستشهاد** » .

كتب أوريجينوس كتابه « الحث على الاستشهاد » سنة ٢٣٥ . وقد أفرغ فيه خلاصة حماسه وأشواقه وخبرته ، شابا وشيخا ـــ وأرسله الى صديقيه الحميمين امبروسيوس وبروتوكتيتس Protoctetus كاهن قيصرية ، اللذين كانا قد قبض عليهما ، وطرحا فى السجن بسبب الاضطهاد ، الذى اثاره الامبراطور مكسيمينوس ... والكتاب فى خمسين فصلا ، يمكن وضعها تحت سبعة أقسام :

القسم الاول (١ـــ٥) ، مقدمة فى الحث على الاستشهاد . وتأمل فى الآيات الواردة فى سفر أشعياء (٢٨:٩ـــ١١) .

القسم الثانى (٦ـــ١٠) ، يتضمن تحذيراً شديدا من عبادة الاصنام والارتداد .

القسم الثالث (١١ـــ٢١) ، ويتضمن حثا للمثابرة على حمل الصليب مع المسيح (الشهادة لله ـــ اتباع المسيح ـــ جزاء الشهيد ـــ وعودنا مع الله ـــ مشهد أمام الجميع) .

القسم الرابع (٢٢ـــ٢٧) ، يقدم أمثلة للاستشهاد فى قصة اليعازار والسبعة أخوة ، الواردة فى سفر المكابيين الثانى .

القسم الخامس (٢٨ـــ٤٤) ، يتحدث فيه عن وجوب الاستشهاد ، طبيعته وأنواعه (كأس الخلاص ـــ لتعبر عنى هذه الكأس ـــ معمودية الدم ـــ المفاضلة بين الاستشهاد وعبادة الاصنام ـــ المرتدون سينكرهم الابن) .

القسم السادس (٤٥،٤٦) ، يتحدث عن السمة الاجرامية للاصنام (عبادة الشياطين ــ أهمية الاسماء) .

القسم السابع (٤٧ــ٥٠) ، ويتضمن حثا أخيرا على الثبات فى زمن الشدة .

ونقتطف بعض عبارات قليلة مما ورد فى هذا الكتاب :

+ أود خلال التجربة الحاضرة أن تذكرا المجازاة العظيمة المعدة فى السماء للمضطهدين والمعيرين لأجل البر .. افرحا وابتهجا وتهللا ، كما فعل الرسل حينما حسبوا أهلا أن يهانوا لأجل اسمه . واذا حدث أن شعرت نفساكما ببعض الحزن ، فدعا روح المسيح الذى فينا يقول لتلك النفس .. لماذا أنت حزينة يا نفسى ولماذا تزعجيننى . ترجى الله لانى بعد أحمده[1] .

+جمهرة كبيرة مجتمعة لمشاهدتكما حينما تجاهدان ، وتدعيان للاستشهاد ... ان آلافا تحتشد لمشاهدة نزال يشترك فيه بعض من ذوى الشهرة البارزة . حينما تدخلان المعركة يمكن أن تقولا مع بولس : صرنا منظرا للعالم للملائكة والناس : اذن ، فالعالم كله ، الملائكة جميعا عن اليمين واليسار . الناس طراً الذين هم الى جوار الله ، والآخرين ، الجميع سيسمعوننا ونحن نقاتل من أجل المسيحية . فإما أن الملائكة تبتهج والانهار تصفق بالايدى ، والجبال ترنم معا ، وكل شجر الحقل تصفق باغصانها ، وأما لا سمح الله تحدق قوات العالم السفلى فى جريمتنا وتشمت[2] .

+ « لنقاتل حتى ما نؤدى شهادتنا كاملة ، ليس فقط علانية ، بل فى الخفاء أيضا ، حتى ما نستطيع أن نقول مع الرسول : لأن مجدنا هو هذا ، شهادة ضميرنا أننا فى قداسة واخلاص الله ... تصرفنا فى العالم (٢كو١ :١٢) ولنضف الى كلمات الرسول ، قول النبى : لأنه هو يعرف خفيات القلب (مز٤٤ :٢١) .

---

(١) مز ٤٣ :٥ .

Origen: Exhortation to Martyrdo.m 4.

(٢) مز ٩٨ : ٨ مع أش ٥٥ : ١٢ .

Origen: Exhortation to Martyrdom, 18.

وهذا حق خاصة ونحن نساق الى الموت ، ونقول لله ما يقوله.الشهداء وحدهم له : لأننا من أجلك نمات اليوم كله . قد حسبنا مثل غنم للذبح (مز ٤٤:٢٢) . واذا كانت حكمة الجسد ستجعلنا نهاب القضاة ، الذين يهددوننا بالموت ، فلنقل لهم كلمات الأمثال : « يا أبنى اكرم الرب تصير قويا . لا ترهب انسانا سواه »(*) .

٢ ــ العلامة ترتليانوس :

يعتبر ترتليانوس أب علم اللاهوت فى الكنيسة اللاتينية من حيث فضله على تقدم المصطلحات اللاهوتية ، ومن أعلام المسيحية القدماء نعرف القليل عن حياته مما تضمنته كتبه ، وما ذكره عنه القديس ايرونيموس فى كتابه « مشاهير الرجال » .

ولد حوالى منتصف القرن الثانى المسيحى فى قرطاجنة ، حيث كان والده يشغل منصب قائد فرقة رومانية تحت امرة حاكم افريقيا . تثقف ثقافة هيلينية لاتينية متحررة . وتظهر كتاباته معرفة كبيرة بالتاريخ والفلسفة والشعر والادب القديم والمصطلحات القضائية وكل فنون المحاماة . ويبدو أنه أشتغل بالسياسة والمحاماة اما فى قرطاجنة أو فى روما .

عاش وثنيا حتى سن الثلاثين أو الاربعين ثم اعتنق المسيحية وان كنا نجهل الظروف التى صاحبت هذه الخطوة ، لكن ذلك تم عن اقتناع عميق . ومنذ ذلك الوقت دافع عن المسيحية بلا أدنى خوف ضد هجمات الوثنيين واليهود والهراطقة . وبين سنتى ١٩٩ــ٢٠٣ أعتنق هرطقة المونتانيين[٣] Montanism ولا نعرف تاريخ وفاته على وجه الدقة ، لكنها كانت بعد سنة ٢٢٠ . ويتضح جليا من مؤلفاته احتقاره للديانة الوثنية ، وللثقافة الوثنية ، وحماسه الشديد للمسيحية .

كتب كتبا كثيرة ، لكن ما يهمنا فى هذا الصدد ، **هى كتبه فى الحث على الاستشهاد ، وكتبه الدفاعية** . ويكاد يكون أهم ما كتبه فى الحث على

(*) Exhortativn to Mortyrdam 21

(٣) نسبة الى مونتانوس الذى ادعى أنه البارقليط الموعود به فى الانجيل .

الاستشهاد مقالة قصيرة عامة من ستة فصول معنونة « الى الشهداء Ad Martyras » كتبها بين سنتى ١٩٨/١٩٧ . وهى مقالة مملوءة حماسا وتشجيعا ليقاوم الانسان عواطفه[٤] . ونعرض لمقتطفات منها ، يقول :

« **لا تجعلوا انفصالكم عن العالم يخيفكم . فلو أمعنا النظر فى أن العالم هو فى الواقع السجن الحقيقى ، فسنعرف انكم لم تدخلوا سجنا ، بل بالاولى خرجتم من سجن !**... لذا احسبوا — أيها المباركين — انكم انتقلتم من سجن الى مكان آمن . وإن كان مفعماً ظلاماً ، لكنكم أنتم أنفسكم نور . فيه قيود ، لكن الله قد حرركم . تعبقه الروائح الكريهة ، لكن انتم رائحة زكية . تنتظرون المحاكمة كل يوم ، لكنكم ستدينون القضاة أنفسهم . هناك الحزن ، لكن لمن يشتاق الى مباهج الدنيا . المسيحى خارج السجن قد رفض العالم ، لكنه فى السجن ، قد رفض السجن أيضا . لا يهم أين تكونون فى العالم ، أنتم الذين لستم من العالم .. »[٥] .

« بالنسبة للمسيحى ، فان السجن يقدم له نفس الخدمة التى تقدمها البرية للنبى . لقد قضى ربنا نفسه وقتا كبيرا فى الوحدة ، حتى ما يكون أكثر حرية فى الصلاة ، وحتى ما يتحرر من العالم . ولقد كان فى خلوة جبلية أيضا حينما تجلى بمجده لتلاميذه . **هل لنا أن نسقط من حسابنا كلمة سجن ! وندعوه مكان خلوة ؟** ولو أن الجسم مغلق عليه ، والجسد محبوس ، لكن كل شىء مفتوح أمام الروح . اذن ، بالروح تجول خارجا . بالروح تمشى ، غير واضع أمامك الممرات ذات الظل أو ذات الأعمدة ، بل الطريق المؤدى الى الله . وبقدر ما تكون خطواتك فى الروح دائما ، بقدر ما تكون حرا من القيود حينما يكون العقل محلقا فى السماويات ، لا تشعر الساق بالسلسلة التى تقيدها فالعقل يطوق الانسان كله ، ويحمله الى حيثما يريد . حيث كنزك هناك

---

(4) Dictionary of Christian Biography. Vol. 4, pp. 822.

(5) Tertullianus: Ad Martyras, ch. 2, 3.

يكون قلبك . فليكن قلبنا فى الموضع ، حيث نود أن يكون كنزنا ... »[٦] .

« أنتم على وشك خوض معركة الشرف ، وفيها الله الحى هو رقيبكم ، والروح القدس مدّربكم ، والجزاء اكليل أبدى ملائكى ، وحق المواطنة فى السماء ، ومجد دائم . لذلك فان سيدكم يسوع المسيح ، الذى مسحكم بروحه ، وقادكم الى مسرح العذاب ، قد رأى من الخير — قبل يوم القتال — أن ينقلكم من حالة — هى فى ذاتها مرضية ، معاملاً إياكم بصورة أقسى حتى ما تصبح قوتكم اكبر ... »[٦] .

٣ — القديس كبريانوس الشهيد :

ولد وثنيا حوالى سنة ٢٠٠ أو قبل ذلك ، من أسرة شريفة ثرية تثقف ثقافة عالية حسب مقتضيات العصر والوضع الاجتماعى . ويبدو أنه عاش منغمسا فى الرذيلة شأن معظم شباب عصره ، لكنه اهتدى الى المسيح ، وآمن على يد كاهن يدعى كيكيليوس Caecilius ، وانضم الى صفوف الموعوظين . ثم باع أملاكه ووزعها على الفقراء ، مستبقيا القليل منها لسد احتياجاته . نذر العفة ، ونال نعمة العماد سنة ٢٤٥ أو سنة **٢٤٦ ... ثم سيم أسقفا على قرطاجنة بناء على رغبة شعبها سنة ٢٤٩ . وأخيرا بعد جهاد حافل فى تلك الفترة الصعبة بسبب الاضطهادات ، نال اكليل الشهادة فى ١٤ سبتمبر سنة ٢٥٨** .

بدأ كبريانوس اسقفيته مع الاضطهاد المروع ، الذى أثاره الامبراطور ديسيوس (٢٤٩—٢٥١) على الكنيسة المسيحية . أختبأ بعض الوقت حتى زال الاضطهاد ، ويبدو أنه فعل ذلك باعلان الهى . فلا عجب اذن ان حوت كثير من رسائله التى أرسلها من مخبئه تشديدا للمعترفين فى السجون والمناجم ، واظهارا لمجد الاستشهاد وتوصية للخدام والاكليروس بالعناية بالمعترفين والشهداء ، ماديا ونفسيا وروحيا .

---

(6) Tertullianus: Ad Martyras, ch. 2, 3.

وبين كتاباته مقالة معنونة « **حث على الاستشهاد** » **موجهة الى فرتوناتس Fortunatus من ثلاثة عشر فصلا** . ومقالة أخرى عن « مجد الاستشهاد » منسوبة اليه ، لكن صحة هذه النسبة تحتاج الى اثبات والآن نعرض لبعض أقواله :

« نحن الذين ــ بسلطان من الرب ــ منحنا المؤمنين العماد الأول ، علينا أن نعد كلا منهم للعماد الثانى ، بحثهم وتعليمهم . ان هذا العماد أعظم فى النعمة ، وأسمى فى القوة ، وأرفع فى الشرف إن الملائكة فى هذا العماد يعمدون ، والله ومسيحه يبتهجان ، ولا أحد بعد هذا العماد ، يسقط فى خطية . هذا العماد يكمل نمونا فى الايمان ، ويغرسنا فى الله بعد أن نخرج من العالم ... بمعمودية الماء ننال مغفرة الخطايا ، وبمعمودية الدم نظفر بأكليل الفضائل »[7] .

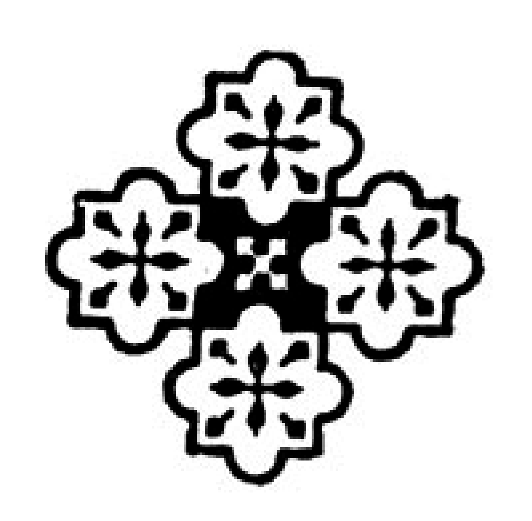
« فى سفر الخروج كان الشعب اليهودى ـ كمثال سابق لنا ــ مع الله وليّهم والمنتقم لهم ، خلصوا من عبودية فرعون ومصر القاسية جدا ، أى من الشيطان والعالم . وإذ كانوا بلا ايمان وغير شاكرين لله ، تقمقموا على موسى ، ناظرين الى متاعب الصحراء وشغلهم ، غير فاهمين الفوائد المقدسة للحرية والخلاص . ففكروا فى العودة الى عبودية مصر . بينما كان يجب عليهم أن تزداد ثقتهم فى الله ، الذى أنقذ شعبه من الشيطان والعالم ويقدر أن يحميهم أيضا . قالوا لموسى « ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ... لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية . فقال موسى لهم . لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم ... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » (خر١٤ : ١١ــ١٤) . والرب فى انجيله ، يحذرنا من ذلك ، ويعلمنا ألا نعود ثانية للشيطان وللعالم الذى رفضناه ، وحيثما ننجو يقول « ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله (لو٩ : ٦٢) . وأيضا « والذى فى الحقل لا يرجع الى الوراء ــ اذكروا امرأة لوط » (لو١٧ : ٣١، ٣٢) »[*]

« يجب أن تعلموا ــ فى ايمان ويقين ــ ان يوم الشدة قد حل يهددنا

(7) Cyprian: Exhortation to Martyrdom, ch. 4.

(*) Exhortation to Mortyrdam ch. 4.

بالموت ، وتقترب نهاية العالم وزمان المسيح الدجال . لذلك يجب أن نقف جميعا على أهبة الاستعداد للمعركة ، غير واضعين أمامنا سوى مجد الحياة الأبدية ، واكليل اعترافنا بالرب ، غير مهتمين بالأمور المقبلة ، لأنها ستنتهي كما انتهى ما سبقها . إننا على أبواب حرب أقسى وأشد . وعلى جنود المسيح أن يعدّوا ذواتهم لها بإيمان حيّ وشجاعة قوية ، واضعين فى اعتبارهم أنهم يشربون يوميا كأس دم المسيح ، حتى بذلك يمكنهم أن يسفكوا دماءهم لأجله . إن كل مانبتغيه هو أن نوجد مع المسيح ، وأن نقتدى بما علمنا إياه ، وما صنعه ، حسبما يقول يوحنا الرسول : من قال أنه ثابت فى المسيح ينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضا (١يو٢:٦) وفضلا عن ذلك ، فإن الرسول بولس يعلمنا قائلا : اننا أولاد الله . فإن كنا أولادا فإننا ورثة أيضا . ورثة الله ووارثون مع المسيح . إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضا معه (رو٨:١٦،١٧) »(*) .



(*) Epist. to the people of Thibaris ch. 1.

دفاعات المدافعين المسيحيين

تعرضت المسيحية لهجمات القوى الوحشية المادية ، وايضا لهجمات الفلاسفة ... للسيف والقلم . وقد أجابت على الاولى بثبات أتباعها البطولى ، الذين وضعوا حياتهم ذودا عنها . فصانوا حيويتها الدائمة . أما تحديات الفلاسفة الوثنيين المتعجرفين الذين يمثلون حكمة العالم القديم المنتفخة ، فقد فندتها ، وأبكمتها ، بل وهدمتها وهاجمتها ، بالكتابات الفذة التى دبجتها يراع الفلاسفة المسيحيين فى دفاعهم عنها ...

لقد اتجهت كتابات الدفاع عن المسيحية فى القرن الثانى نحو اليهودى الغيور ، والفيلسوف اليونانى ، والسياسى الرومانى . وكان المسيحيون من البدء « مستعدين لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذى فيهم » ... وكان لابد للمسيحيين أن يضيفوا الى شهادتهم العملية البسيطة ، دفاعا نظريا ، يدفعون به عن أنفسهم أشر الاتهامات الباطلة ..

وتتلخص هذه الاتهامات فى الآتى :

كانت المسيحية **ديانة حديثة** . ومن جهة قدمها ، لا تقارن بديانات الآلهة الوثنية ، والشعوب الاخرى[1] .. كانت **ديانة غريبة** ، مختلفة تماما فى نوعها عن الديانات الاخرى .. بلا معابد أو تماثيل ، أو مذابح تقدم عليها ذبائح دموية[2] ، أو على الأقل أى شيء مما يرى من هذا القبيل[3] . وهى **ديانة سرية**[4] ، تعقد اجتماعاتها مساء ، ولا يسمح بحضورها الا لاعضائها الذين نالوا سر العماد[5] . **كانت ديانة تنتشر كل يوم بين كل الطبقات وخاصة بين**

(1) Epist, Ad Diognetum, ch. 1; Arnobius, adv. Gentes, 2:67, 69.

(2) Origen: Contra Celsum, 7:61.

(3) Minucius Felix: Octavius, ch. 8, 9.

(4) Minucius Felix: Octavius, ch. 8, 9.

(5) Justin Martyr: Apol. 1 : 65, 66.

النساء ، والجهلاء ، والمجرمين[٦] ..

كانت المسيحية هى الديانة التى وجهت ضدها أخطر الاتهامات : فقد اتهم المسيحيون بالفساد الشنيع[٧] ، وبالكفر[٨] ، وبالخيانة للامبراطور والدولة[٩] ، وبأنهم مواطنون غير منتجين[١٠] .

كان من الضرورى أن تفند هذه الاتهامات ، وتزال هذه العوائق الاولية حتى ينجح المسيحيون فى مهمتهم . فقبل أن يقبل الوثنيون الى المسيحية ويؤمنوا بالمسيح ، يجب أن يقتنعوا أن المسيحيين ، ليسوا فاسدين أو كفرة أو خونة ...

ولذا فقد ظهرت طبقة من المسيحيين عرفوا باسم المدافعين أو المحتجين **Apologists** ، أى المدافعين عن الايمان ، كانت مهمتهم تبرئة المسيحية مما نسب اليها ظلما وخطأ ، وتقديم مفاهيم سليمة عنها لغير المؤمنين ...

قال هؤلاء المدافعون للوثنيين « اضربوا . ان كان يجب ان تضربوا ، لكن اسمعونا أولا . لا تبيدونا عن وجه الارض حتى تعرفوا القليل عنا »[١١] « لا تكونوا غير عادلين حتى تحكموا علينا ، دون أن تسمعوننا[١٢] .. أنتم تنزلون بنا العقاب ، لمجرد كوننا مسيحيين ، لكن يقينا ، انه لا يوجد شىء فى مجرد الاسم[١٣] .. لديكم أفكار ملتبسة ، أننا أناس أشرار ، لكنكم مخطئون ، فحياتنا طاهرة ، نعبد الله ، ونحن أوفياء للامبراطور ..

مثل هذا كان عمل المدافعين . لم تكن مهمتهم تعليم الحق ، لكن اعداد السبيل للتعليم ، **هم لا يبرهنون على صحة المسيحية كديانة الهية من الكتب**

---

(6) Origen: Contra Celsum 3: 44, 49; Justin: Dialogue. ch. 117.

(7) Tert. Apol. ch. 7 : 39 Minucius Felix: Octavius, ch. 9.

(8) Athenagoras, Plea, ch. 3, 4.

(9) Tert. Apol, ch. 35, 39.

(10) Tert. Apol., ch. 42.

(11) Tert. Apol., ch. 1 : 3.

(12) Justin Martyr. Apol. 2, ch. 2, 3.

(13) Athenagoras: Plea, ch. 1, 2.

المقدسة لكنهم يثبتوا أنها ليست غير معقولة على الاطلاق أو ضارة . هم يزيلون أحجار العثرات ، وثيرون حب الاستطلاع .. لذلك فقلما يقتبسون من الاسفار المقدسة ، لكنهم يستشهدون بها دواما . يتكلمون عن قدمها وأنها سابقة لجميع الكتب الاخرى ، ويشيرون الى صحتها وخلوها من أى خطأ ، بالمقابلة مع أساطير الآلهة الوثنية .. يصفون اتفاقها وبساطتها بمقابلتها بأقوال الفلاسفة الصعبة المتعارضة . يؤكدون اتمام النبوات ـــ التى لا يرقى الشك الى قدمها ـــ فى حياة المسيح ، وقيام ديانته ... لقد كتبت الدفاعات لمصالحة الاعداء ، ولذلك فقد جاءت الحجج حسبما سمحت الظروف[١٤] .

والآن نعرض للمدافعين الذين دافعوا بقلمهم عن المسيحية ، ثم لدفاعهم ، ونعرض بعد ذلك لقيمة هذا الدفاع .

أولا : المدافعون :

بدأت كتابات الدفاع تظهر فى عهد الامبراطور هدريان (١١٧ـــ١٣٨) . ومعظم كتابات الدفاع الاولى ، من أمثال كتابات كوادراتوس ، وارستيديز الاثينيين ، وكتابات ميليتو Melito أسقف ساردس المتأخرة ، وكلوديوس أبو لليناريس Claudius Apollinaris وملتياديز Miltiades ، إما أنها فقدت تماما . أو تبقى منها بعض عبارات مبعثرة فيما كتبه يوسابيوس القيصرى فى تاريخه . وان كان بعض كتابات ميليتو وارستيديز الهامة عثر عليها مؤخرا .

يأتى بعد ذلك الدفاع القيم الذى قدمه يوستينوس الشهيد حوالى سنة ١٤٧ أو قبل ذلك بقليل ، ومازال فى أيدينا كاملا . بعده جاء تلميذه تاتيان Tatian ،واثيناغوراس ، وثاوفيلس الانطاكى ، وهرمياس فى النصف الاخير من القرن الثانى ، وهيبوليتس Hippolytus ، واكليمنضس الاسكندرى وأوريجينوس العظيم ، فى النصف الاول من القرن الثالث .

كان هؤلاء جميعا من الفلاسفة ، وكتبوا دفاعاتهم باللغة اليونانية أما أشهر المدافعين الذين كتبوا باللاتينية فهم : ترتليانوس الذى قدم دفاعه بين سنتى

---

(14) Watson: Defenders of the Faith, ch. 3.

١٩٧ ، ١٩٨ ، ومينوكيوس فيلكس Minucius Felix ثم أرنوبيوس Arnobius ولكتانتيوس Lactantuis وهو آخر المدافعين . وقد عاش بعد زمان الاضطهاد ، وصار معلما لكريسبس Crispus ابن قسطنطين ، أول أمبراطور مسيحى . وكان هؤلاء جميعا أفريقيين بحكم موطنهم ، اشتغلوا بالمحاماة أو بتدريس البلاغة(١٥) .

وعلى أية الحالات ، فان جميع المدافعين استخدموا نفس البراهين والحجج تقريبا ، وجميعهم أظهروا الفضائل المسيحية فى مواجهة قوية لرذائل الوثنية وقبائحها . وجميعهم اطنبوا فى الكلام عن بطولة الشهداء(١٦) .

بعض المدافعين قدموا دفاعهم للاباطرة أو حكام الاقاليم كما فعل كودراتس وارستيديز ، حينما توجها بدفاعهما الى هدريان . ويوستينوس الشهيد الى أنطونينوس بيوس . واثيناغوراس ، وميليتو ، وابولليناريس ، الى مرقس أوريليوس . وترتليانوس الى الحكام الافريقيين . وبعضها وجهت الى أشخاص خصوصيين ، أو لجمهور الشعب عامة .

هكذا كتب ثاوفيلس الانطاكى ثلاث رسائل الى أوتوليكس Autolycus الوثنى . ووجه تاتيان كلامه الى اليونانيين ، وترتليانوس وأرنوبيوس كتابا الى الامم . وغالبا ما كانت تظهر هذه الدفاعات ، فى وقت ضجة شعبية ، لازالة جميع الادعاءات التى يروجها الوثنيون ، لشن الاضطهاد ضد المسيحيين .. لكن هناك كتاب واحد كتبه أوريجينوس ، رد به على فيلسوف وثنى يدعى كلسوس Celsus ، كان قد كتب كتابا هاجم فيه المسيحية(١٧) .

ثانيا : دفاع المدافعين :

١ ــ ضد اليهودية :

بالنسبة لهذا الامر ، لنا مصدران رئيسيان :

حوار يوستينوس الشهيد الفيلسوف مع تريفو Trypho اليهودى ، الذى تم

(15) Schaff, Vol. 2, pp. 104-107

(16) De Pressensé, Vol. 2, p. 526.

(17) Watson: Defenders of the Faith, ch. 3.

فى مدينة أفسس . وما كتبه ترتليانوس العلامة ضد اليهود والمعنون Adversus Judoeos وهناك تأليف آخر من النصف الاول من القرن الثانى من عمل أرسطو من بلا Aristo of Pella . معنون « حوار جاسون وبابسكوس عن المسيح Jason, Papiscus . والكتابان الاولان مازالا بين أيدينا ، أما الثالث فظل معروفا حتى القرن السابع(١٨) . وكان يهدف أظهار اتمام النبوات القديمة فى المسيح . وينتهى هذا الحوار باقتناع بابسكوس اليهودى ، وعماده على يد جاسون . ومؤلف الكتاب يهودى متنصر من بلا ، وهى المدينة التى لجأ اليها مسيحيو أورشليم قبل خرابها .

٢ ــ ضد الوثنية :

نستطيع أن نجمل الاتهامات التى وجهها الوثنيون ضد المسيحيين ، فى ثلاثة اتهامات رئيسية من حيث النوع(١٩) :

(أ) **اتهام أخلاقى** ــ ادعوا فيه أن المسيحيين يحيون حياة فاسدة فاجرة .

(ب) **اتهام دينى** ــ فقد قالوا أن المسيحيين كفرة بلا دين ، أو يدينون بدين فاسد . وبسببهم تحل الكوارث نتيجة غضب الآلهة ، وهم أعداؤها .

(جـ) **اتهام سياسى** ــ ادعوا فيه انهم خونة للامبراطور ، وأعداء للصالح العام ، وأنهم يؤلفون جماعة سرية .

والاتهامان الاول والثانى ، أثارا كراهية عامة الناس ، وكانا سببا فى قيام اضطرابات وهياج شعبى .. أما الاتهام الثالث فكان هو أساس الاتهام الرسمى حينما كانوا يقدمون للمحاكمات .

والآن نعرض لهذه الاتهامات الثلاث ، وملخص بردود المدافعين المسيحيين بشأنها :

---

(١٨) كان معروفا لكلسوس الفيلسوف الوثنى ، وأشار اليه باحتقار . كما أشار اليه أيضا أوريجينوس ، وقال عنه انه نافع للقارىء العادى دون العلماء .

(19) Watson: Defenders of the Faith, ch. 4.

(أ) الاتهام الاخلاقى :

ويبدو أنه كان الاتهام البارز . ولا شك أن أساسه الغيرة التى تولدت عن الشك ، الذى كان ينظر به الى اجتماعات المسيحيين السرية ، التى كانت تعقد ليلا . فقد جاء فى خطاب بلينى الاصغر حاكم مقاطعة بيثينية بآسيا الصغرى الى الامبراطور تراجان سنة ١١٢ ، أن المسيحيين كانوا يجتمعون معا قبل انبلاج الفجر ليقدموا العبادة للمسيح . **وبينما الظلام باق ، كان الزوج الوثنى يبحث عن زوجته ـــ التى آمنت بالمسيح ـــ فلا يجدها الى جواره ، فكان يساوره الشك الغامض**[٢٠] . وقياسا على ما كان يحدث فى الطقوس الوثنية ، فقد ظنوا ان الاجتماعات السرية المسيحية ، اجتماعات غير مقدسة . وسرعان ما سرى الشك كنتيجة للتصرفات الغامضة .

وبخصوص حفل التثبيت فى الجماعة ، قيل أنها جريمة شنيعة[٢١] **. وثار لغط شديد بخصوص مائدة العشاء المسيحية المتواضعة**[٢٢] **أشاعوا أن المتنصر حديثا ، كان يتسبب فى طعن طفل بسكين حتى الموت . وبعد ذلك ينقض عليه الجميع بسرعة وشراهة ، ويمزقونه إرباً إرباً ويلتهمونه . وتستمر اللذة فى التزايد . وعند اعطاء اشارة معينة تطفا الانوار ، وينغمس الجميع فى شهوة بلا تمييز . ويذكر لنا أوريجينوس أن اليهود هم أصحاب هذه الاتهامات ومروجوها**[٢٣] .

وعلى أية الحالات ، فمن السهل الوصول الى أساس هذه الشائعات لقد سمع الوثنيون عن مائدة الافخارستيا ـــ جسد المسيح الذى يؤكل ، ودمه الذى يشرب . وسمعوا أيضا عن ولائم المحبة . فبالنسبة للاولى كانوا عاجزين عن ادراكها روحيا . وبالنسبة للثانية ، لم يكن لها سوى معنى واحد ، بالنسبة لتخيل دنس . فالحب والشهوة الجسدية بالنسبة للوثنى فى ذلك الوقت . كانا هما المفهومين المسيطرين على فكره .

---

(20) Tertullianus: Ad Uxorem 2:4.

(21) Minucius Felix: Octavius, ch. 9.

(22) Tert. Apol. ch. 39.

(23) Origen: Contra Celsum, 6:27; Justin Martyr: Dialogue, ch. 17.

وكانت الاحتفالات الدينية الوثنية ، والفساد الشنيع ، ترتبط ارتباطا وثيقا بخبراته . وكانت الطهارة أمرا نادرا لدرجة الشك فى امكان وجودها . وكان ضبط الغريزة الجنسية — حسب فكره — ليس سوى رداء يخفى الفساد المستتر . ومن هنا فقد شوه الوثنى ولائم المحبة المسيحية ، وأعتبرها تهتكا متطرفا . وحسب الاغتذاء بجسد المسيح ودمه ، قتل طفل والتهامه(٢٤) .

ويؤكد ترتليانوس — فيما يختص بهذه الاتهامات — ان الوثنيين كاذبون فى شائعاتهم .. فقد ظلت الاجتماعات المسيحية محتفظة بسريتها تماما . يقول : « يضيق علينا الاعداء كل يوم ، ويخونوننا كل يوم ، وكثيرا ما نفاجأ فى اجتماعاتنا . ومع ذلك هل رأى أحد طفلا يولول ؟ أو اكتشف أحد أى أثر للدنس فى زوجته ؟ أين الانسان الذى بعد أن اكتشف مثل هذه الفظاعة تستر عليها ؟ أم انه بينما كان يساق المتهم أمام القاضى ، ارتشى ليلوذ بالصمت(٢٥) . وكحقيقة نقول أن السلطات — من وقت لاخر — بذلت قصارى جهدها لتجمع أدلة ، لكنها فشلت . ويقول يوستينوس الشهيد ، ان بعض الاماء أرغمن تحت التعذيب أن يعترفن بهذه الاتهامات كأمور واقعية تحدث(٢٦) . وقد استقصى بلينى الاصغر عن حقيقة المجتمع المسيحى بكل دقة ، فلم تثره ، بل على العكس كانت فى نظره « خرافة غير معقولة ومتطرفة » . كان المسيحيون — فى نظره — يسيطر عليهم افتتان ، وهم ممتلئون من « عناد نابذ للطاعة ولا يلين » ... كانت هذه الاوصاف هى أسوأ ما قاله بلينى .

لقد بحث واستقصى ، ولم يجد أى سند لاتهام بالجريمة . **استجوب المرتدين — وكانوا بطبيعة الحال — على استعداد تام ، من أجل نجاتهم ، أن يجدفوا على اسم المسيح ، ومع ذلك لم يجرأوا أن يلطخوا سمعة المسيحيين** الطيبة ، ولم تذهب شهادتهم الى أبعد من الآتى : أن المسيحيين يجتمعون معا قبل طلوع الفجر للصلاة للمسيح ، وليرتبطوا جميعا معا بواسطة سر مقدس ، ليمتنعوا عن كل الشرور ، وليأكلوا معا أكلة غير ضارة(٢٧) .

---

(24) Watson: Defenders of the Faith, ch. 4.

(25) Tert. Apol. ch. 7.

(26) Justin: Apol. 2, ch. 12.

(27) Documents of the Christian Church, pp. 3-5; Watson: Defenders of the Faith, ch. 4.

لقد وقعت شماستان فى يد بلينى الاصغر ، وأمر بتعذيبهما ، ومع ذلك لم يتمكن من انتزاع أى أقوال تتفق وغرضه . والنتيجة التى وصل اليها بلينى ، هى أن المسيحيين يعتقدون فى خرافات ، وأنهم عنيدون ، وغير مستعدين لاطاعة القانون ، لكنهم ليسوا مجرمين .. **ونستطيع أن نلخص خطاب بلينى الى تراجان فى الكلمة الآتية : لا أجد وسيلة ضد هؤلاء الناس ، الا اذا كان ذلك فيما يختص بشريعة إلههم .**

حدثت تحريات بلينى فى أوائل القرن الثانى فى مقاطعة بيثينية بآسيا الصغرى . وبعدها بنحو نصف قرن أو يزيد ، حدث اضطهاد شديد فى بلاد الغال (فرنسا الحالية) ، وأنتشرت تقارير عن رذائل المسيحيين بين عامة الناس ، فثاروا عليهم كالمجانين ، وقد أرسلت كنائس فينا وليون الى كنائس آسيا وفريجيا ، وصفا لحوادث الاستشهاد دونه لنا يوسابيوس فى تاريخه .. جاء فيه أن التعذيب الشديد دفع بعض الاماء الوثنيات أن يتهمن سادتهم زورا بأكل لحوم البشر والفسق بالمحارم(٢٨) .

واحداهن تدعى ببلياس Biblias — كانت قد انكرت الايمان أولا ، ثم استعادت قوتها تحت الآلام ، بصلوات الشهداء المجاهدين — وقفت فى وجه المجدفين قائلة : « **كيف يستطيع هؤلاء أن يأكلوا الاطفال ، وهم يحرمون أن يذوقوا حتى دماء الحيوانات غير العاقلة** » ..

وأتاللوس Atallos الذى من برغامس ، عندما وضعوه على الكرسى الحديدى واشعلوا النار تحته ، وتصاعد الدخان من جسده المشوى قال للشعب « **ان هذا الذى تفعلونه أنتم هو التهام للبشر ، أما نحن فاننا لا نأكل البشر ، ولا نرتكب أى شىء آخر**(٢٨) .

وقد أشار المدافعون المسيحيون الى أمثال هذه المشاهد البطولية ، وتساءلوا عما اذا كان من الممكن أن « أناسا يموتون كما ترونهم يفعلون ، يعيشون على نحو ما تقولون أنهم يفعلون »(٢٩) .

---

(٢٨) يوسابيوس ٥ : ١ .

(29) Tert: Apol., ch. 50; Justin: Apol., 2 : 12.

والحق أن ميتات المسيحيين كانت شهادة تثبت طهارة الحياة المسيحية . **فحياة التساهل مع النفس ليست اعدادا لموت شهيد ، لكن أولئك الذين كانوا دائما يصلبون الجسد مع الاهواء والشهوات ، بناء على طريقة روحية ، هم الذين يحتمل ــ فى ساعة التجربة ــ أن يحتملوا فى شجاعة ، أكثر الآلام رعبا .**

لقد رأى أحد المدافعين ــ وهو يوستينوس الشهيد ــ وكان مايزال وثنيا ، فى شجاعة المسيحيين واستعدادهم لتحمل العذاب والموت ، دليلا قويا على خلو حياتهم من الشر والخلاعة والدنس(٣٠) .

وقال اثيناغوراس ان اخلاق المسيحيين العالية تدرأ عنهم مثل هذا الاتهام الظالم لأن المسيحيين يعتقدون فى الله أنه رقيب على أفكارهم وحركات قلوبهم ، وانهم سيدانون على كل فكر شرير ، **وهم يصونون ذواتهم عن النظرة الشريرة ، فكم بالاولى يعفون عن الافعال الدنسة ؟!** كما أن شريعتهم تقيدهم باعتبار الاقرباء كنفوسهم ، فمن ثم يطالبون بأن يصونوا طهارة جسوم أخواتهم فى المسيح . ثم هم يزدرون بشهوات الحياة الحاضرة .

والبعض منهم يحيون حياة طهر كامل ، اذ نذروا أنفسهم لله ، واختاروا البتولية ، واتجهوا الى الله بالكلية . **وبعضهم الآخر وان تزوج فبقصد انجاب البنين فقط ، ويبغضون الزيجات الثانية ، ويعتبرونها نوعا من الزنى المتستر ،** أى أنهم يقنعون بالزيجة الواحدة . فليس عند المسيحيين اختلاط أوديبى . وهو فى الحقيقة يصدق على الوثنيين ، وآلهة الوثنيين لا على المسيحيين . **وكأنهم فى اتهامهم المسيحيين أيدوا صدق المثل القائل « العاهرة تعير العفيفة »**(٣١) .

والمدافعون المسيحيون ــ وهم بصدد دفع هذه الاتهامات ــ بالاضافة الى الحالة التى واجه بها المسيحيون الموت ، استشهدوا بحياة المسيحيين .

يقول أوريجينوس فى فاتحة كتابه الاولى ضد كلسوس « لما أحضروا شاهد زور ، ليشهد على مخلصنا المبارك ــ يسوع الذى بلا خطية ــ كان محتفظا بسلامه ــ ولما أتهم لم يجب ، اذ كان مقتنعاً تماما أن حياته وسلوكه بين اليهود

---

(30) Justin: Apol., 2 : 12, 13.

(٣١) اثيناغوراس : الدفاع .

كانا هما أبلغ احتجاج يمكن أن يقدم لصالحه ... ومازال حتى الآن يحتفظ بنفس الصمت . ولا يقدم اجابة أخرى سوى الحياة الطاهرة التى يحياها أتباعه المخلصون ، فهم أكثر مدافعيه نجاحا وبهجة . ولهم صوت عال ، به يسكتون ضجة أكثر أعدائهم حماسا وتعصبا(٣٢) .

كما أشار المدافعون الى التغير الذى أحدثته المسيحية فى حياة الكثيرين يقول يوستينوس الشهيد « هم (الوثنيون) يحسبوننا مجانين ، لاننا نعبد هذا المسيح الذى صلب فى عهد بيلاطس البنطى ، كاله مع الآب . لكنهم لو عرفوا سر الصليب ، لما قالوا ذلك . لكنهم يمكنهم أن يعرفوه عن طريق ثماره . فنحن الذين عشنا قبلا فى الفجور ، نتعلم الآن العفة . نحن الذين استخدمنا السحر ، كرسنا ذواتنا للخير ــ الاله المتأنس ــ ، نحن الذين أحببنا المال والمقتنيات أكثر من أى شىء آخر ، نقدم ما نملك عن رضى للخير العام ، ونعطى كل محتاج . نحن الذين حاربنا وقتلنا بعضنا بعضا ، نصلى الآن لأجل أعدائنا . أولئك الذين يضطهدوننا عن كراهية ، نحاول برفق أن نهدئهم ، على رجاء أن يشتركوا فى نفس البركات التى نتمتع بها(٣٣) .

وعن هذا قال ترتليانوس أيضا « ان الاسم المكروه (مسيحى) يطلق على الشخصية التى أصلحت »(٣٤) .. ويستطرد قائلا ، « **لقد ابغض الوثنيون المسيحية ، أكثر مما أحبوا الصلاح !.. انك لن تجد مسيحيا فى السجون الا بسبب اسمه . واذا وجد لأى سبب آخر فهو لم يعد مسيحيا** »(٣٥) .

ويمضى ترتليانوس وهو يشرح كيف ان المسيحيين أبرياء من أية جريمة : فضيلتهم مؤسسة على ديانتهم ، مفهومهم للفضيلة تعلموه من معلمهم الالهى ، شريعتهم الاخلاقية تعلموها من شفاه الهية . ويتوقعون أن يحاكموا أمام قاض الهى . وعقيدتهم فى العذاب الابدى أنه جزاء الخطية ، وأن الحياة الأبدية مجازاة

---

(32) Origen: Contra Celsum, 1 : 19; Justin : Apol., 1:4, 2:2.

(33) Justin: Apol. 1 : 13.

(34) Tert.: Apol., ch. 3

(35) Tert.: Apol., ch. 44.

عن الصلاح . وفضلا عن ذلك ، فالوصايا التى وضعت عليهم متسعة جدا ، حتى أنها تشمل كلمات الشفاه وأفكار القلب ...

يقول أرنوبيوس « لماذا تستحق كتبنا أن تلقى فى النار ، وأن تمنع اجتماعاتنا بعنف ؟ فى هذه الاجتماعات ترفع صلوات للاله الواحد ، ونسأل السلام والغفران لكل من له سلطان : للجنود ، للملوك ، للاصدقاء .. للاعداء ، لاجل الاحباء والذين اعتقوا من رباطات الجسد . كل ما يقال فى هذه الاجتماعات يتجه الى جعل الناس خيرين ، لطفاء ، متواضعين ، فضلاء ، أطهار ، أسخياء فى معاملاتهم المادية »(٣٦) .

ومن الانصاف القول أن هذا الاتهام لم يصدقه الوثنيون النابهون فى أى وقت من الاوقات . فقد استطاع يوستينوس الشهيد فى حواره مع تريفو اليهودى أن ينتزع منه اعترافا بعدم صحة أمثال هذه الاتهامات(٣٧) .. ولم يصدقها كل من تراجان ومرقس أوريليوس ، كما يتضح ذلك من منشوراتهما التى أصدراها بعد الاستقصاء(٣٨) . لكن عامة الشعب اعتقدوا فى صحتها دون شك ، بناء على الشائعات الكثيرة . ومن المحتمل جدا أن اعتقادهم هذا تقوى بواسطة السلطات كأشياء تخدم أغراضهم . لكن الحكام الرومان عرفوا حقا ، وتصرفوا وفقا لمعلوماتهم .

فقد عرفوا مثلا أن هناك شيئا أكثر رعبا للمرأة المسيحية من الموت نفسه . هو الدعارة(٣٩) . ففى الاضطهاد الذى أثاره ديوكلتيانوس ، كانوا يحكمون على العذارى بأن يودعن بيوت الدعارة ، وذلك لأن المضطهدين عرفوا أن وصمة العار للطهارة والعفة المسيحية لهى أكثر رعبا لهن من أية عقوبة أو ميتة ..

(ب) الاتهام الدينى :

قيل عن المسيحيين أنهم أما كفرة وبلا اله على الاطلاق ، وأما أنهم يعبدون

---

(36) Arnobius: Adversus Gentes, 4. 36.

(37) Justin: Dialogue, ch. 10.

(٣٨) يوسابيوس ٣ : ٣٣ ، ٥ : ١ .

(39) Tert.: Apol., Ch., 50.

أشياء شاذة . وهنا أيضا نجد أن تخيل الوثنيين كان هو دليلهم الاساسى .

تهمة الالحاد والكفر :

راجت شائعة مؤداها أن المسيحيين عبدوا رأس حمار . وبناء على ما ذكره ترتليانوس ، فقد كان المؤرخ الوثنى تاسيتوس ــ الذى كان ينظر الى المسيحية باحتقار ــ هو مصدر هذه الشائعة(*) . فقد قال إن اليهود فى خروجهم من مصر ، انقذوا من الهلاك عطشا بواسطة حمير وحشية ، وأنهم ــ تعبيرا عن شكرهم ــ قدسوا رأس ذلك الحيوان ليكون إلههم . وكنتيجة للصلة بين اليهودية والمسيحية ، فقد افترض الوثنيون أن المسيحيين عبدوا رأس حمار أيضا !! وآخرون قالوا بل أنهم يعبدون الشمس ، وربما كان مرجع ذلك الى سببين : فيوم الاحد Sunday ، كان يوم عبادة المسيحيين الاساسى ، كما أنهم كانوا يتجهون نحو الشرق فى صلواتهم(٤٠) .

آخرون ظنوا أنهم يعبدون الصليب(٤٠) . ومن المحتمل أن يكون ذلك راجعا الى أن المسيحيين كانوا يرسمون علامة الصليب على ذواتهم(٤١) .

وقد خلط الامبراطور هدريان بينهم وبين عبدة الاله المصرى سيرابيس ، لكن بالنسبة لهذا الامبراطور ، فقد كان يعتقد أن جميع الديانات الغريبة عن المعبودات الرومانية القديمة سواء .

ويقول يوستينوس الشهيد فى دفاعه عن هذا الاتهام « حقا أننا ملاحدة (فى نظر الوثنيين) !.. فإما أن نقر بذلك ، وإما أن نعترف بآلهتكم التى ليست سوى شياطين . إننا نشترك فى هذا الإلحاد المجيد مع سقراط الذى راح ضحية مثلنا بسبب الحق السامى المأخوذ من الكلمة التى نشرها فى اليونان . أمّا بالنسبة لنا ، فقد قبلنا الحق من الكلمة نفسه (المسيح) الذى ليس صورة منظورة . ولذا فنحن معتبرون ملاحدة .. نحن كذلك بالنسبة لآلهتكم . لكننا لسنا كذلك بالنسبة لاله الحق ، أب البر والحكمة والفضائل جميعا . الكلى القداسة نحن نعبده ،

---

(40) Tert.: Apol., ch. 16.

(41) Tert.: De Corona, 3.

(*) Tert., Apol. ch. 16.

ونكرمه بالكلام والعمل . ونرغب فى أن نعلن جهاراً كل الحق الذى أقتبلناه » .

وفى دفع هذا الاتهام قال **اثيناغوراس « ان المسيحيين يعبدون الها يختلف فى صفاته عن آلهة الوثنيين . فهو روح سرمدى (أزلى أبدى) بسيط ، متميز عن المادة** . وهو الخالق الواجب الوجود المسيطر على الكون . فهو اذن واحد وليس غيره اله . والمسيحيون مؤمنون بالله وليسوا ملحدين ، وانما هم يعفون عن ضحاياكم الدموية . لأن الههم لا يطلب غير ضحية القلب ، والطهر ، وحسن السلوك[٤٢] .

وأحيانا كان المدافعون المسيحيون ــ فى ردودهم على هذه الاتهامات ــ يجيبون بسخرية . فيقول ترتليانوس « أيها الوثنيون ، انكم ظرفاء حينما تعترضون على ما نعبد ! فحتى لو صحّ كل ما تقولونه عنا ، لكنا ــ على الرغم من ذلك ــ أفضل منكم ــ لماذا تعترضون على عبادتنا رأس حمار ؟ إن لديكم آلهة برؤوس كلاب ، وأسود ، وقرون الوعل ، والكباش ، وأحقاء الماعز ، وأرجل الحيات ، وأجنحة ناتئة من الظهر أو القدم ! تقولون إننا نقدس الحمير ، لكن يجب أن تعترفوا انكم تعبدون جميع أنواع الماشية ! تقولون إننا نعبد الشمس ، وكثيرون منكم يعبدون الأجرام السماوية والسحب . تقولون إننا نعبد الصليب ، وأنتم بلا شك تعبدون أعلامكم الحربية »[*] .

ويحتمل أن تكون تهمة الكفر أكثر رواجا بين عامة الناس . فتهمة كفر المسيحيين كان لها ما يؤيدها فى نظر الوثنيين . فقد كانت أماكن عبادة المسيحيين خالية من متطلبات العبادة التى اعتادوا رؤيتها فى معابد كافة الديانات .. وعلى هذا الاساس قال الفيلسوف الوثنى كلسوس : « **فطالما أن المسيحيين ليس لهم معبد ، فبالتالى ليس لهم آلهة** »[٤٣] .

كان المدافعون جدّ حريصين على تبرئة المسيحيين من تهمتى الإلحاد والكفر ، وإظهار أنهم وإن كانوا لا يعبدون آلهة الوثنيين ، لكنهم يخدمون الله الحىّ

---

(٤٢) اثيناغوراس : كتاب الدفاع .

(43) Origen: Contra Celsum, 7:62.

(*) Tert. Apol. ch. 16.

ويعبدونه . فيتساءل أرنوبيوس « هل فى عبادة الله ، كالكائن الأعلى ، رب كل الموجودات والممجد فوق الجميع ، والالتجاء اليه بخضوع فى الصلاة أثناء ضيقاتنا ، والتمسك به بكل مشاعرنا ، ومحبته ، والتطلع إليه بايمان ، هل فى هذا خطأ ؟... هل مثل هذه الديانة لعينة وغير مقدسة ، مملوءة الحاداً ودنساً وتدّنس بخرافاتها الجديدة الشعائر القديمة ؟!(*) .

كوارث الطبيعة :

كان من الممكن أن يمر كل شيء فى هدوء نسبى ، طالما كانت أحوال الوثنيين متيسرة . لكن المخاوف الخرافية كانت تفزعهم فى زمن الكوارث(٤٤) — كما حدث فى القرن الثانى — وتبعا لذلك **كانت الصيحات تتردد بأن الآلهة غاضبة لان معابدها أهملت ، بسبب المسيحيين ، فكانوا هم الضحايا**(٤٥) .

فى تلك الفترات كانت تقام الاحتفالات الدينية العامة ، وتقرب التقدمات لاجل هطول الامطار ، ويسيرون فى المواكب الدينية ، حفاة الاقدام .. وبطبيعة الحال كان المسيحيون لا يشاركون فى أمثال هذه الاحتفالات . ويروى لنا ترتليانوس ، أن الوثنيين اعتقدوا أن المسيحيين هم السبب فى جميع الكوارث العامة كالزلازل والفيضانات والقحط والمجاعات والاوبئة ... وفاخر القيصر مكسيمينوس بأن الاضطهاد الذى أثاره على المسيحيين ، أعاد الى العالم الخير والسلام والصحة التى افتقدها زمانا طويلا(٤٦) .

كان هذا الاعتقاد سائدا ومسيطرا على العقلية الرومانية ، فاهتم كثير من المدافعين بدحض هذه الفرية واظهار أنه لا أساس لها . **وقد أشار أرنوبيوس الى أن هذه الكوارث العامة كانت تحدث قبل ظهور المسيحيين بزمان طويل**(٤٧) **يقول** « انها ثلاثمائة سنة منذ أن بدأنا نحن المسيحيين فى الظهور .

(*) Arnobius 1 : 25.

(44) Arnobius: Adv. Gentes, 1:24.

(45) Tert.: Apol, cc 25, 40; Minucius Felix: Octavius, ch. 7.

(٤٦) يوسابيوس ٩:٧ .

(47) Arnobius: Adv. Gentes, 1: 3-5.

كم من حروب توالت ، وكم من محاصيل خابت ؟ ثم ألم يحدث فى أيامنا سلام غامر على الارض ؟ على عكس ذلك ، لقد كانت هناك دائما أوفر محاصيل القمح ، ومواسم الرخاء . وأحرزت الدولة انتصارات لا حصر لها . واتسعت رقعة الامبراطورية ، وامتدت حدودها . **انه من الانصاف أن تنسبوا نجاحكم لنا ، كما تحاولوا ذلك فى كوارثكم . وفضلا عن ذلك ، فهل من المناسب أن تنسبوا الغضب والحقد للآلهة الخالدة ؟ أتوجد هذه الانفعالات فى عقول الآلهة ؟**

ثم ، اذا كنا نحن الذين نكدرها ، فهل تحتاج الآلهة الى محاماتكم العنيفة عنها ، لتنتقموا للاهانات الموجهة اليها ؟ كان فى امكانها أن تبيدنا وتمحونا عن وجه الأرض ، بالحرارة والبرد ، بالعواصف والأمراض . لماذا لا تظهر قوتها ان كانت غاضبة حقا ؟ **والى جانب ذلك ، اذا كنا نحن وحدنا نكدرها ، فلم لا يحل الانتقام بنا وحدنا ؟** »(٤٨) .

ودفاعا عن هذا الافتراء يبين ترتليانوس أن كوارث كثيرة حلت بالعالم قبل مجىء المسيح . لقد تلاشت جزر بفعل الزلازل ، وأبيد العالم بطوفان ، وأحرقت مدن سدوم وعمورة . وفلسينى وبومبى Vulsinii pompeii بالنار ، وهزم الرومان فى كاناى Cannae ، وحوصر معبد الكبيتول Capitol .

كل ذلك حدث قبل أن يذكر اسم مسيحى بزمان طويل ... وكحقيقة فان المسيحيين يخففون من الكوارث التى تأتى على الارض . فبينما يتوسل الوثنيون فى زمان الكوارث والفزع طالبين من الآلهة النجاة بتقريب القرابين ، والمواكب الدينية ، فان المسيحيين بالصوم والصلاة والامتناع عن الشر والمتع العادية ، يفتحون السماء بلجاجاتهم . انهم يمسون قلب الله ، وهو يترأف لكن جوبتر Jupiter هو الذى يخطىء بالكرامة(٤٩) !

(جـ) الاتهام السياسى :

وهو أهمها ، وأخطرها جميعا .. فقد قيل أن المسيحيين يؤلفون جماعة سرية ،

(48) Arnobius: Adv. Gentes, 1 : 15.

(49) Tert.: Apol., 40.

ويتبعون ديانة جديدة محرمة ، وهم غير أوفياء للامبراطور وغير نافعين للدولة ...

تأليف جماعة سرية :

فمن جهة الجماعات السرية ، كان حماس الرومان ضدها كبيرا جدا . كانت هناك سرية تحوط المسيحيين وديانتهم . وفضلا عن ذلك ، فقد كانت هناك أمور كثيرة تثير الشك ...

كان المسيحيون جماعة من الناس من كل الشعوب ، تنمو وتنتشر كل يوم ... كانوا مرتبطين برباط معين لغرض غير معروف . وكان هذا الغرض كبير الاهمية ، حتى أن كل ما يعتبره الآخرون ذا أهمية ، كانوا هم يهملونه .. كانوا يزدرون بكرامات العالم ومباهجة على السواء ... **وكانت تشيع شائعات غامضة عن مملكة يؤسسونها** . وهذا وحده كان كافيا لاشعال نار الحماس فى عقل أى حاكم رومانى ... ومن وقت لاخر كانت تظهر ومضات من أغراضهم ، وهى ليست سوى قلب ديانة الدولة .. اذن فالمسيحيون تبعوا جماعة سرية من أخطر الجماعات ..

المسيحية ديانة جديدة محرمة :

لكن ليس هذا هو كل شىء ... فالمسيحية كانت ديانة محرمة ، وديانة جديدة أيضا ... ولاول وهلة ، قد يظن أن اضافة ديانة جديدة الى الديانات القائمة ، ليس شيئا خطيرا ، أو على جانب من الاهمية ... لكن لم يكن الامر هكذا بالنسبة للمسيحية من حيث طبيعة رسالتها . كان التقاء الوثنية والمسيحية على صعيد واحد ، أمرا مستحيلا .. كان كلاهما خصما للآخر . وقد أوضحنا هذا الامر ايضاحا كافيا فيما سبق(٥٠) .

كانت المسيحية فى صميمها ، ديانة تبشيرية تسعى نحو الآخرين . وكان عمل خدامها أن يذهبوا الى الطرق العامة والسياجات ويلزموا الناس بالدخول (لوقا١٤ :٢٣) ... وهكذا أوقفت المسيحية نفسها موقف السخرية بسبب دعوتها لجميع الشعوب فى آسيا وأوربا وأفريقيا ، من اليونان والبرابرة والساكنين

(٥٠) انظر الفصل الخاص بأسباب اضطهاد الدولة الرومانية للمسيحية .

فى أقصى الارض ، وضمهم اليها تحت شريعة واحدة[٥١] .

لقد تدخلت المسيحية فى عبادة الآلهة القومية ، بل وأكثر من هذا ، أنكرت عبادة الامبراطور ، التى قصد بها الرومان ، توحيد العالم برباط دينى واحد .. ومن ثم أصبحت المسيحية ، التى تدعو الى ديانة مسكونية ، تشكل خطرا بالغا ومنافسا . وسرعان ما تصدت الدولة الرومانية للمسيحيين الذين عكروا صفو سلامها . فالمسيحيون لم يتركوا الآخرين وشأنهم ، ولذلك لم يتركوا وشأنهم[٥٢] .

كانت حداثة المسيحية كديانة تؤلف بندا هاما فى بنود الاتهامات الموجهة الى المسيحيين . يدعوها لوكيان Lucian فى سخرية « هذه الديانة الجديدة » ويتساءل ديوجونيتس Diognetus « لماذا اتى هذا النوع الجديد من الممارسات الى العالم متأخرا ؟ »[٥٣] وكان التعبير المألوف الذى يواجه به المسيحيون « معتقدكم ظهر الى الوجود حديثا »[٥٤] وكان هدف آخر الاضطهادات العامة (ديوكلتيانوس) ، أن يعيد التشريعات الدينية ، والانظمة القديمة ، وعبادة الاسلاف ... وجاء فى منشور ديوكلتيانوس القاضى باضطهاد المسيحيين « يجب الا تبطل ديانة جديدة ، الديانة القديمة » ... ويقول الفيلسوف الوثنى كلسوس « كبرى الجرائم ، هى أن يهدم ما وضعه أسلافنا ، وما كان له الاولوية فى الدولة ... انه عمل من أعمال العقوق ، أن نتخلص من التشريعات الموضوعة منذ البدء فى الاماكن المختلفة »[٥٥] .

لم يكن من الصعب الرد على الاعتراض المؤسس على حداثة المسيحية كديانة ... لقد جاوب المدافعون المسيحيون عن هذا الاتهام بالقول ، أن **ظهور المسيحية كان يحتاج الى اعداد تاريخى** ، به يتدرب الجنس البشرى تقويا لاقتبال المسيح . وفى ذلك يقول هيبوليتس Hippolytus فى كتابه « ضد اليهود » :

---

(51) Origen: Contra Celsum. 8:72.

(52) Watson: Defenders of the faith, ch. 4.

(53) Ad Diognetus, ch. 1.

(54) Theoph.: Ad Aut., 3:4.

(55) Origen: Contra Celsum, 5:25.

« الروح هى عين العقل وبها نميز الامور الروحية . فاذا كان لك الروح فستفهم الامور السماوية ، لان كل شيء يفهم نظيره »[56] .

وكثيرا ما قيل أن المسيحية كانت فى علم الله وحكمته منذ الأزل . وكان لها نذيرون خاصة بين اليهود الاتقياء ، الذين أنبأوا عنها بغير قصد ، وذلك قبل مجيء المسيح بزمان طويل . وبالرجوع الى ما سجله موسى النبى ، وثبوت قدمه عن كل الكتابات الوثنية ، استطاع المدافعون أن يرجعوا المسيحية ، حتى الى ماقبل الطوفان ، بل الى جنة عدن ...

وقد أكد كل من يوستينوس الشهيد وتلميذه تاتيان ، أن موسى أقدم بكثير من فلاسفة اليونان وشعرائها ومشرعيها . ويظهر أثيناغوراس أن **نفس أسماء الآلهة الوثنية حديثة ، وتماثيلهم من صنع الامس** . ويدعو كليمنض الاسكندرى الفلاسفة اليونانين الوثنيين لصوصا وسالبين لانهم سرقوا بعضا من الحق الذى تكلم عنه أنبياء اليهود ، وشوهوه . ويوجه ترتليانوس ومينكيوس فيلكس وغيرهما الى هؤلاء الفلاسفة ، تهمة سرقة تأليف غيرهم[57] .

أما أرنوبيوس ، فيعالج الموضوع من وجهة نظر أخرى . فهو يشير الى التحسينات فى العلم والفن والحضارة . ويتساءل هل فى هذا شيء ردىء لانها جديدة ؟[58] . ويلاحظ أن الرومان كانوا باستمرار يغيرون عوائدهم وطرق معيشتهم .. وفيما يختص بقدم الديانة الوثنية ، فانها مسألة نسبية وفى ذلك يقول أرنوبيوس « **أن معتقدنا الذى نتمسك به جديد ، وسيصبح يوما ما قديما . ومعتقدكم الآن قديم ، ولكنه حين ظهوره كان جديدا** ، ولم يسمع به . وصحة الديانة لا تقرر بناء على عمرها ، بل على طبيعتها . اننا نعترف أن ديانتنا لم يكن لها وجود منذ أربعمائة سنة ، ولكن منذ ألفى سنة أيضا ، لم يكن لآلهتكم وجود »[59] .

---

(56) De Pressensé, Vol. 2, p. 588.

(57) De Pressensé, Vol. 2, p. 588.

(58) Arnobius: Adv. Gentes, 2:66, 67.

(59) Ibid,: 71, 72,

تهمة عدم الولاء للامبراطور :

ترددت هذه الصيحة منذ وقت مبكر ... لقد حرك اليهود فى مدينة تسالونيكى الدهماء ، وادعوا كذبا على المسيحيين أمام الحكام ، بأنهم « يعملون ضد أحكام قيصر ، قائلين انه يوجد ملك آخر هو يسوع » ... هذا هو الادعاء الذى أزعج الحكام (أع١٧:٧،٨) ، وأثار ثائرة الدولة . ولكن ما أن اكتشفت الدولة ، أن مملكة المسيحيين سمائية روحية ، حتى كفت عن شغل نفسها بهذا الامر[٦٠] .

لقد اعتبر المسيحيون غير موالين للأمبراطور ، لانهم رفضوا أن يقدموا له احترام العبادة ، وأن يقسموا بقدرته وذكائه ، ويحتفلوا بالايام الاحتفالية الخاصة به ... لقد رفضوا أن يجعلوا منه الها ، فاعتبروا خونة .

ويدافع الشهيد يوستينوس ضد هذا الاتهام ، ويشرح مبادىء الكنيسة الحكيمة وعلاقتها بالسلطات القائمة . وبعد أن اقتبس كلمات السيد المسيح بخصوص اعطاء الجزية لقيصر ، قال « أننا نعبد الله وحده . لكن ليس ما يمنع أن نطيعكم بسرور ، ونعترف بكم كملوكنا وحكامنا ، ونطلب لاجلكم ، أن تضاف الحكمة الى السلطة الجليلة التى تتقلدونها ، حتى ما تحسنوا استخدامها » .

ويخبرنا المدافعون ، بأن المسيحيين كانوا على اتم استعداد لتقديم كل الاكرام اللائق بالبشر للامبراطور ، وأن يصلوا لاجله ، ويخدمونه ، ويكرمونه كما يليق برعايا أتقياء أوفياء .. وأوضحوا أنه لا وجود للمسيحيين بين المتآمرين ، لان ديانتهم تمنعهم من أن يريدوا الشر لأى أحد ، سواء بالعمل أو الكلام أو الفكر ، وقالوا أن المسيحيين لهم اهتمام خاص بنجاح الامبراطورية الرومانية ، لانهم يعتقدون أنه بسقوطها سيعم الاضطراب العالم[٦١] .

---

(٦٠) يوسابيوس ٣ : ٢٠

(61) Tert: Apol, ch. 32.

انظر أيضا (رو١٣:١،٣ + تى٣:١ + ١بط٢:١٣، ١٧ + ١تى٢:٢ ..الخ) .

اتهام المسيحيين بعدم نفعهم للدولة :

ويبدو أن هذا الاتهام ، هو أكثر الاتهامات ، الذى كان له ما يؤيده فى نظر الرومانى الوثنى(٦٢) ... ويتضح ذلك من استعراض الآتى :

كان المسيحى فى ذلك الوقت المبكر ، يحيا حياة روحية تقوية خالصة بتأثير الشحنات الروحية الكبيرة ، التى كان يشحن بها ... مترسما خطوات السيد المسيح وأقوال رسله فى الانجيل المقدس ... يملأه احساس قوى أنه ليس من العالم ، وأنه يجب ألا يحب العالم ، ولا شيء مما فيه ... لقد كان للمسيحية تأثيرات قوية على حياته الخاصة ، وعلى اتجاهاته فى الحياة ، **كان لا يشغله سوى التطلع الى رجاء المواعيد العتيدة . أما على الارض فليس له رجاء فى أى شيء** ... وضع أمامه حياة السيد المسيح المتجسد ، وتطلع فى نفس الوقت الى مجيئه الثانى فى قوة ومجد عظيمين ... بل كان يتوقع دائما قرب هذا المجيء ... وهكذا تعلقت آماله بعالم آخر غير منظور ...

من هنا كان عزوفه عن العالم بكل مباهجه ، لا يرتاح اليها ، ولا يشارك فيها باقى مواطنيه من الوثنيين .. هكذا نبتت هذه الفكرة ، وراجت هذه الشائعة ، أن المسيحيين مواطنون غير نافعين للدولة ...

لكن المدافعين المسيحيين يشيرون الى هذا الاتهام ، وينكرون صحته يقول ترتليانوس « كيف يحدث فى العالم كله ، أن تكون هذه حالة أناس يحيون فيما بينكم . يأكلون نفس الطعام ، ويرتدون نفس الثياب . لهم نفس العادات ، ويرزحون تحت نفس ضرورات الوجود ؟... نحن متغربون معكم فى العالم ، غير تاركين الساحات Forum ، ولا المجازر (السلخانات) ، ولا محلات البيع المتنقلة ، ولا المصانع ، ولا الفنادق ، ولا الاسواق الاسبوعية ، ولا أى مكان آخر للتجارة ، نحن نبيع معكم ، ونتجند فى جيوشكم ، ونفلح الارض معكم .... »(٦٣) .

ومن ناحية أخرى ، يذكر ترتليانوس أن المسيحيين كان لهم احتفالاتهم الدينية

---

(62) Origen: Contra Celsum, 8: 55-68.

(63) Tert. : Apol., ch. 42.

الخاصة القيمة .. ينفقون كثيرا فى الاحسان ، ولا يتأخرون فى سداد ما عليهم ... لا يجاورون العصر فى التنعم والرذيلة . وهذا لا يضير الدولة فى شىء ، ولايكبدها أية خسارة .

وقد قوى هذه المشاعر لدى الوثنيين امتناع بعض المسيحيين عن العمل فى بعض الاعمال والوظائف ، لما كان فيها من أمور ، وممارسات ، وطقوس وثنية تتعب ضميرهم المسيحى وتعرضهم لخطر الموت كمسيحيين ... ومن أمثلة ذلك : الاشتغال بصناعة التماثيل المعبودة ، ومستلزمات الهياكل الوثنية من تقدمات وضحايا ، والاشتغال بالتجارة لما يصاحبها عادة من مشاكل التعامل المالى والغش والخداع ، ومشاكل التقاضى ، وأيضا الاشتغال بالجندية ـــ وكانت مهنة للتكسب والارتزاق ـــ لما يصاحبها من طقوس وثنية ضرورية ... وقد عرضنا قبلا لهذه الامور بالتفصيل(٦٤) ...

على أى حال ، فقد كانت هذه حالات فردية ، ومع ذلك ، فقد استغلها عامة الناس فى ترويج شائعات ضد المسيحيين . فالعلامة أوريجينوس يقول « **ليس أحد يحارب للملك أفضل منا (المسيحيين)** . اننا نؤلف جيشا خاصا له ، جيش تقوى ، بتقديم صلواتنا لله »(٦٥) .

وليس أدل على أن هذه حالات فردية ، نتيجة بعض الشطط فى أفكار **واتجاهات وتصرفات البعض ، من قول القديس كليمنضس الاسكندرى مدير المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية ، وأحد المدافعين المسيحين « اشتغل بالزراعة أن كنت مزارعا . لكن فيما تفلح حقولك أعرف الله . واركب البحر يا من كرست ذاتك للملاحة ، وأسأل المرشد السماوى . وأنت يا من ارتبطت بالخدمة العسكرية ، هل تعلمت أصول الجندية ؟ اصغ للقائد فى كل ما يأمرك به من صواب »(٦٦)** .

---

(٦٤) أنظر فصل : المسيحى فى الدولة فى عصور الاضطهاد .

(65) Origen. Contra Celsum, 8:73.

(66) Watson: Defenders of the faith, p. 70 (Clement Alex., Cohort., Ch. 10).

نتائج دفاع المدافعين :

بالنسبة للنتائج التى حققتها هذه الدفاعات .. من جهة أثرها فى ايقاف الاضطهاد أو تخفيف حدته ــ فأننا نجد صعوبة فى الوصول الى ذلك ، نظرا لقلة المصادر التى تعيننا على تكوين هذا الرأى . ولذا لا نستطيع أن نجزم بشىء . وان كان قد قيل أن الامبراطور انطونيوس بيوس ، أوقف الاضطهاد بعد قراءة دفاع يوستينوس .. لكنه قول مشكوك فيه(٦٧) .

لكن ، لكتابات الدفاع نتائج أخرى :

(١) **فهى تمدنا بصورة واقعية وعجيبة ، عن الحياة المسيحية ، والمجتمع المسيحى** فى أجيال المسيحية الاولى ، وتقنعنا بالعمل العظيم الذى قام به أولئك الذين وثقوا فى المسيح من كل قلوبهم .

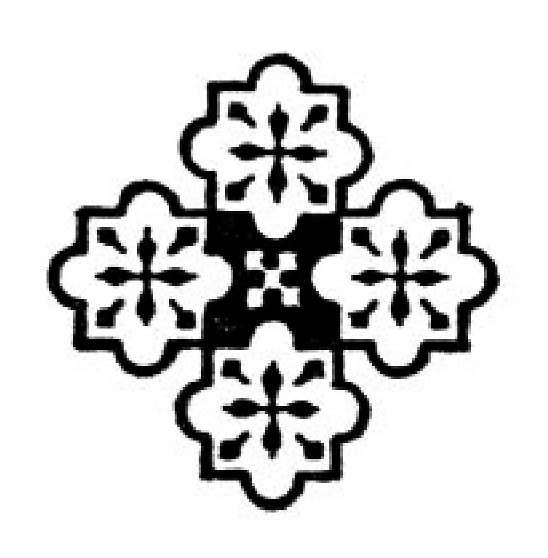
(٢) تعطينا هذه الدفاعات صورة دقيقة واضحة للعبادات الوثنية ، وللجهالة التى غشيت العالم ، والظلمة الجسيمة التى عمت الشعوب ، قبل أن يأتى النور الحقيقى الى العالم (ربنا يسوع المسيح) ... ثم هى تصور لنا النور والظلام يتصارعان وشيئا فشيئا ينتصر النور ، ويزداد قوة وضياء ، وتعوزنا شهادة أولئك الذين ــ بعيون مستنيرة ــ رأوا الظلمة قبل الفجر ، ليخبروننا كم كان ذلك الظلام دامسا ! انه أمر يدعو الى الخجل الشديد ، أن يتناول الانسان بالحديث الاعمال التى كان يعملها الوثنيون ــ ليس سرا ، بل علانية وجهرا ــ ليس فقط فى العابهم ومعارضهم ، بل فى أعيادهم الدينية المقدسة ، وفى معابد آلهتهم .

(٣) لدفاعات أولئك المدافعين قيمة كبيرة ــ ليس فقط من جهة دفع الاتهامات التى حاول أعداء المسيحية أن يلصقوها بها ، بل أيضا **السرد والعرض** الممتعان اللذان قدموا بهما المسيحية الى الوثنيين واليهود ... فلم يتركوا شاردة ولا واردة الا فحصوها وردوا عليها فى قوة عجيبة واقناع مذهل ... ومن حيث أرادوا أن يدفعوا عن المسيحية اتهامات أعدائها ، قدموها فى صورة رائعة ، خلابة ، وكطعام شهى ، يصلح لجميع الفئات والثقافات والعقليات والطبقات .

---

(٦٧) يوسابيوس ٤ : ١٢ ، ١٣ .

(٤) **ودفاعات المدافعين المسيحيين تحمل الينا فى طياتها رسالة تعزية وتشجيع** نحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور .. فان كانت الامبراطورية الرومانية ، بكل قوتها ، وبكافة الاساليب التى استخدمتها ، فشلت فى ابادة الكنيسة المسيحية وهى بعد فى مهدها وطفولتها ، فانه ليست هناك قوة على الارض ، تستطيع أن تبيدها وهى فى طور اكتمالها ورجولتها ... وهكذا تثبت لنا عمليا صدق كلمات رب الكنيسة « ان أبواب الجحيم لن تقوى عليها » ...





الجاحدون

عرضنا فيما سبق لنماذج من بطولات الشهداء من مختلف الطبقات والفئات والاجناس والأعمار . وقلنا أن الاستشهاد كان شهوة فى تلك العصور المبكرة ، وقدم أعدادا لا تحصى من الشهداء والمعترفين ... لكن الى جانب هؤلاء وجدت فئة من المسيحيين ضعيفة الايمان ، فاترة الحب ، قليلة الشجاعة والاحتمال .. هؤلاء جحدوا الايمان فى زمن الاضطهاد ، ولذا سموا الجاحدين Lapsis .

ويبدو أن كثيرا من هؤلاء الجاحدين كانوا مسيحيين اسما ، ومن المنضمين حديثا الى الايمان ، نتيجة فورة فى العقل والقلب ، دون أن يحدث لهم تغيير كامل فى طبيعتهم وحياتهم الداخلية ، ولذا وجدوا غير قادرين على احتمال الاضطهاد . وعلى أية الحالات فقد كان الارتداد هو التجربة الكبيرة التى يخشى منها على الكنيسة المضطهدة[1] . كما أنه أوجد مشكلات فى الكنيسة ، تطلب حلها سنوات عديدة .

بعض حالات الجحد :

لم تعرف حالة جحد الايمان ـــ بالصورة الجماعية المخيفة ـــ فى الاضطهادات المبكرة ، لكنها عرفت على وجه الخصوص ، فى اضطهادات سبتميوس ساويرس (١٩٣ــ٢١٦) وديسيوس (٢٤٩ــ٢٥١) ، وديوكلتيانوس وأعوانه (٣٠٣ــ٣١١) . ففى هذه الاضطهادات المروعة كان ضغط الاضطهاد شديد ، عنيفا ، قاسيا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يبدو أن المسيحيين كانوا غير مستعدين ايمانيا وروحانيا لسفك دمائهم وتحمل العذابات مقابل ايمانهم .

لذا التجأ البعض الى رشوة الجند أو متهميهم ليتغاضوا عنهم ، والبعض الآخر كان يقدم نوعا من الأتاوة المستمرة حتى يأمنوا الاضطهاد(*) . والبعض لجأ الى

---

(1) De pressense, Vol. 2. pp. 90, 91.

(*) Tertullianus: De Fuga in persec. ch. 13.

استحضار شهادات صورية مزيفة من الحكام بما يثبت أنهم قربوا للآلهة . والبعض حصل على شهادات مستعملة ... وهذا النوع الاخير (حاملو الشهادات) لم يحسبوا مع المرتدين(**) . لم يكن هدف ديسيوس من تشديد الوطأة فى اضطهاده ، القضاء على المسيحيين بل ارتدادهم عن ايمانهم . وحدث فى هذا الاضطهاد أن بعض المسيحيين اندفعوا بصورة مخجلة ومعهم أطفالهم ليضحوا للآلهة . وقد كشف لنا كبريانوس اسقف قرطاجنة الشهيد الذى كان معاصرا لهذا الاضطهاد — فى رسائله المتعددة وفى مقالته التى عنونها « الى الجاحدين de Lapsis » — المسالك المحزنة التى سلكها المسيحيون وبينهم بعض الاكليروس وقد اعتبر جاحدا للايمان من قرب أو بخر للآلهة ، أو استحضر شهادة مزورة أو سلم الكتب المقدسة لتحرق (٢).

صور محزنة لضعف الايمان :

كثير من هؤلاء المسيحيين بالاسم ، لم يصلوا الى السجن ، ولم يثبتوا حتى يقبض عليهم ويستجوبوا . وفى ذلك يقول كبريانوس « كثيرون منا هُزموا قبل المعركة ، حتى أنهم لم يُظهروا تضحية تحت القهر والارغام . لقد أسرعوا بإرادتهم الى ساحة القضاء ، كما لو كانوا ينفذون رغبة مكبوتة . وكانوا يشاهدون وهم يستعطفون الحكام أن يقبلوا ارتدادهم ، حتى لو كان الوقت ليلا تقريباً (٣) ... والبعض الآخر كانوا يستطيعون احتمال السجن أياما . والبعض ثبتوا حتى يوم محاكمتهم ، لكن العذاب الأليم أكمل هزيمتهم . لقد وافقوا على التضحية للآلهة ، أو أن يحلفوا — بذكاء الامبراطور — وهى صورة للجحد كانت مستعملة دائما . والأمر المحزن أن كثيرا من الجاحدين كانوا هم البادئين فى جحد ايمانهم ، ولم ينتظروا حدوث أى ضغط عنيف عليهم لينكروا ايمانهم ولوحظ أن أغلبية المرتدين كانوا من ذوى المراكز والثروة والوظائف العالية ، مظهرين بذلك — حسب تعبير كبريانوس البليغ « أنهم لم يكونوا مالكين لما لهم من خيرات زمنية ، بل هى التى كانت تمتلكهم » (٣) .

(**) Cyp. Epist. 30:3.

(2) Tert.: De Fuga in persec., ch. 13.

(٣) Cyp. de Lapsis 8.

وفى بعض الاحيان كانت تحدث بعض حالات الجحد الظاهرى ، كزوجة جرها زوجها بالقوة الى مذبح الآلهة ، وتمم الطقس الوثنى وهو ممسك بيدها قسراً ، وضاغط عليهما بيديه . وطبعا كان هذا عمل لا ارادى . ولذا لم تعتبره الكنيسة حالة من حالات جحد الايمان .

نتيجة اليمة محزنة :

والعجيب أن الجموع التى أدخلت الرعب فى قلب هؤلاء الجبناء ، هم أنفسهم الذين هزأوا بهم بعد أن رأوا جبنهم ! وهكذا فشل الجحد فى تأدية غرضه ، لأن الجاحدين ظلوا دائما موضع اشتباه وعدم ثقة . وبعضهم قد ساروا من الضحايا تبعا لهوى الدهماء ، كما حدث مع شهداء ليون بغاليا(٤) . **وهكذا فان كثيرين من الجاحدين احتملوا موت الشهادة** ، بعد أن رفضوا اكليل الشهادة .

ويخبرنا البابا ديونيسيوس الاسكندرى ، كيف وقف الجاحدون فى رعدة وخوف أثناء التضحية للآلهة الوثنية ، كما لو كانوا هم أنفسهم الضحايا ، وليسوا مقدميها(٥) ...

ويصف لنا كبريانوس بأسلوبه البليغ ، ما قاساه الجاحدون من كرب ورعب فى تلك الساعة المشئومة ، فيقول « حينما كانوا (الجاحدون) يأتون الى المعبد بارادتهم . وحينما اقتربوا بكامل حريتهم لاتمام الشر الفظيع ، كانت تتعثر خطواتهم ، ويظلم بصرهم ، ويرتجف قلبهم ، وتتداعى أذرعتهم ، وتضعف حواسهم ، ويلتصق لسانهم بفمهم ، ويتلعثمون فى الكلام . أيمكن أن يقف خادم الله هناك ، ويتكلم ويجحد المسيح ، بعد أن يكون قد جحد الشيطان والعالم ؟! ... أيها الانسان البائس ! لماذا احضرت معك تقدمة لتقدمها ؟ لماذا تقرب ضحية ؟ لقد جئت أنت بنفسك إلى المذبح تقدمة وضحية . وهناك ضحيت بخلاصك ، ورجائك ... هناك أحرقت إيمانك فى تلك النيران

(٤) يوسابيوس ٥ : ١ .
(٥) يوسابيوس ٦ : ٤ .

الشيطانية »[٦] .

وبعد أن تتم المأساة ، كان هؤلاء الجاحدون فى يأسهم ، يشاهدون فى صورة تمزق قلوب الناظرين اليهم ، وتثير عواطفهم . لقد انتحر بعضهم مثل يهوذا بعد أن خان سيده . وروى لنا كبريانوس قصة أمراة جاحدة ، مزقت لسانها بأسنانها الذى أنكر الرب يسوع ، وهى على وشك الموت[٧] ...

موقف الكنيسة من الجاحدين :

بعد كل اضطهاد كانت الكنيسة تحصى فى فرح أبطالها الذين استشهدوا فى ساحة المعركة ... وتحصى فى حزن المفقودين الذين ضعفوا وأنكروا الايمان . وهؤلاء الآخرون كانت تذرف عليهم الدموع السخينة ، بمرارة .. ويقول كبريانوس ــ فى عبارات مؤثرة ــ بعد أن انقضى اضطهاد ديسيوس . الذى راح ضحيته كثيرون « لا نستطيع أن نعبر بالكلمات ــ لكن بالدموع فقط ــ عن الحزن الذى نشعر به ، بسبب الجرح الذى أصاب جسد المسيح ــ الذى هو الكنيسة ــ بسبب سقوط البعض المميت . من يستطيع أن يكون فاقد الحس ، قاسى القلب ، ناسيا لمحبة الاخوة ، حتى ينظر بعين جافة غير دامعة الى هذا الخراب .المدمر المرعب ؟! »[٨] .

وكان يحدث بعد كل اضطهاد ، أن بعض المسيحيين ممن ضعفوا وجحدوا ايمانهم ساعة الشدة ، كانوا يرجعون فى جماعات ، ويقفون أمام الكنيسة قارعين بابها ... أما طريقة قبولهم ثانية فى شركة الكنيسة ، فقد أثارت سؤالا حساسا فى نظام الكنيسة ...

ومن بين مخلفات عصر الاضطهاد ، ليس لدينا ما هو أثبت من رسائل القديس كبريانوس الشهيد أسقف قرطاجنة ، والبابا الاسكندرى بطرس خاتم الشهداء فى معالجة هذا الموقف .

لقد نظرت الكنيسة نظرة حانية الى هؤلاء الجاحدين ، لكن كان لا يمكن

(6) Cyp.: de Lapsis, 8.

(7) Cyp.: de Lapsis, 24.

(8) Cyp.: de Lapsis, 4.

أن تسمح لهم — دون قيد أو شرط — أن يمارسوا حقوق الشركة المسيحية فى الكنيسة ، والتقدم الى الاسرار المقدسة ، دون تقديم توبة عن الانكار العلنى للايمان ... والآن نستعرض موقف بعض الكنائس تجاه الجاحدين ...

(أولا) فى كنيسة قرطاجنة :

المقالة المعنونة « الى الجاحدين de Lapsis » كتبها القديس كبريانوس سنة ٢٥١ عقب انتهاء اضطهاد ديسيوس مباشرة ، وعودته لمباشرة مهامه الرعوية ، بعد أن ظل فترة مختبئا ... وهذا المقال دعوة للجاحدين أن يعودوا الى الكنيسة بالتوبة .

على أن شروط العودة لم يكن من السهل البت فيها . فقد ظهر اشكال ، سببته التوصيات التى كان يعطيها المعترفون والشهداء للتائبين ، يرجون فيها الاساقفة أن يقصروا مدة التوبة[٩] .

وقد بدأ ظهور هذا الاتجاه فى كنيسة افريقيا عقب انتهاء اضطهاد سبتميوس ساويرس[*] . وما لبث أن ازداد عقب انتهاء اضطهاد ديسيوس ، بل وأسىء استخدامه . فلم يُكتف بأن تعطى رسائل التوصية لأى انسان بلا تميز ، لكنها كانت تعطى على اسم الشهداء الذين انتقلوا قبلا[**] . وبصيغة تتضمن أيضا أصدقاء الطالب[***] .

أما حاملو رسائل التوصية هذه ، فقد طلبوا أن يسمح لهم بتناول الأسرار المقدسة فى الحال . وقد زاد من خطورة الأمر استسلام بعض الأساقفة لهذه المطالب تحت ضغط الناس وهياجهم[١٠] ...

وقد مر موضوع الجاحدين فى ثلاث مراحل ، على النحو الآتى :

---

(9) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 931.

(*) Tert.: Ad Martyrs ch. 1.

(**) Cyp.: Ep. 27:1, 2.

(***) Cyp.: Ep. 15 : 3.

(10) Cyp.: Ep., 27 : 3.

(١) أثناء اضطهاد ديسيوس :

كانت وجهة نظر كبريانوس فى تلك الفترة ــ وكان مختبئا من وجه الاضطهاد ــ أن يراعى الآتى :

(أ) يسمح بالتناول فورا للجاحدين ممن يحملون رسائل توصية من المعترفين ، ويكونون فى حالة مرضية خطيرة ، تهدد بالموت .

(ب) ينتظر باقى الجاحدين حتى يعود الهدوء ، ويفحص الموضوع بصفة عامة بواسطة مجمع كنسى يضم الأساقفة والكهنة والعلمانيين . وبعد ذلك تمنحهم الكنيسة سلامها وشركتها ، على ضوء ما يتقرر .

وهدد كبريانوس الكهنة بالقطع ، ان هم سمحوا للجاحدين بالتقرب الى المائدة المقدسة ، فى غير الحدود السابقة ، وقد أبلغ قرار كبريانوس الى الاكليروس الرومانى وللمعترفين فى روما . ووافقت عليه كنيسة روما[١١] .

وحدث ان بعض الكهنة لم يطيعوا أسقفهم ــ وهو بعيد فى مخبئه ــ فعفوا عن الجاحدين دون أن يرجعوا الى الاسقف أو يطلبوا منهم توبة صادقة ، فأرسل اليهم كبريانوس الرسالة التالية :

« من كبريانوس الى اخوته الكهنة والشمامسة ... سلام

لقد صبرت طويلا أيها الاخوة الاعزاء ، حاسبا أن صبرى وسكوتى أنفع للسلام .. لكن ازاء جرأة البعض الصارخة التى تحمل على تدنيس شرف الشهداء وتعكير تواضع المعترفين ، وهدوء المؤمنين ، فلا يليق بى أن أسكت أطول مما سكت ، والا أضررت بالشعب وبنفسى ...

أى خوف لايعترينا من اهانة الله ! ونحن نرى بعض الكهنة قد نسوا الانجيل ونسوا مركزهم فى الكنيسة . لا يفتكرون فى دينونة الرب العتيدة ، ولا فى سلطة الأسقف الحاضرة . يدّعون جميع السلطات ، ويحتقرون رئيسهم احتقارا شائناً ــ الأمر الذى لم يحدث لأسلافنا .. وياليت تكبرهم لا يدعو الى حرمان

---

(11) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 931.

اخوتنا من الخلاص ! أما اهانة أسقفيتنا فإنى استطيع احتمالها ونسيانها ، وهذا ما دأبت عليه دائما لكن لا مكان للنسيان متى وجد بينكم من يحملون جماعة الأخوة على الضلال . إنهم يضرون الجاحدين بقبولهم دون أن يفكروا فيما يلزم أن يردوا لهم من الصحة . على أن هؤلاء الذين حملهم الاضطهاد على السقوط والجحود ، يعلمون مدى خطئهم . وقد بينه الرب الديان بقوله : من يعترف بى قدام الناس أعترف به قدام أبى الذى فى السموات . ومن ينكرنى قدام الناس أنكره أنا (مت١٠: ٣٢، ٣٣) . ويقول أيضا : جميع الخطايا والتجاديف تغفر لبنى البشر . أما من يجدف على الروح القدس فلا مغفرة له الى الأبد ، بل هو مستوجب دينونة أبدية (مرقس٣: ٢٨، ٢٩) .

وقال الرسول الطوباوى أيضا : لا يمكنكم أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين . ولا أن تشتركوا فى مائدة الرب ومائدة شياطين (١كو١٠: ٢١) . فمن يحّول أخوتنا عن هذه الأحكام يغشهم ، بعد أن كان فى وسعهم ، لو تابوا توبة صحيحة ، أن يرضوا بصلواتهم وأعمالهم إلها هو أب رؤوف رحيم . وها هم أولاء يتسكعون فى الضلال ، وينحدرون الى أسفل الدركات ، بعد أن كانوا قادرين على النهوض . فبينما فى حالة الذنوب الأخف ، يمارس الخطاة التوبة مدة مناسبة بحسب القوانين ، يعترفون بعدها اعترافا عاماً ، وبعد وضع يد الأسقف والاكليروس يصبح لهم حق شركة الكنيسة ، نرى الآن أنه بينما الاضطهاد لا يزال قائما والسلام بعيدا عن الكنيسة ، يُسمح للجاحدين بحق الشركة ، وتُقدم الذبيحة بإسمهم ، قبل أن يمارسوا أعمال التوبة أو يعترفوا بخطئهم ، وقبل أن يضع الأسقف والاكليروس أيديهم عليهم تُعطى لهم الأفخارستيا ، على الرغم مما هو مكتوب : من يأكل الخبز ويشرب كأس الرب وهو غير مستحق يخطىء الى جسد الرب ودمه (١كو١١: ٢٧) . ومهما يكن فإن هؤلاء الجاحدين ليسوا مذنبين ، لأنهم لا يعرفون جيدا أصول الأسفار المقدسة . أما المذنبون فهم أولئك الذين على الرغم مما عندهم من المعرفة والسلطة لا يعلمونها للأخوة . ولو أن الجاحدين علمهم رؤساؤهم لحافظوا بخوف الله على أوامره » [12]

(12) Cyp., Ep. 9

(٢) عقب انتهاء اضطهاد ديسيوس :

وفى ربيع سنة ٢٥١ ، حالما رجع كبريانوس الى مقر كرسيه بقرطاجنة بعد زوال الاضطهاد ، جمع مجمعا من أساقفة كرسيه ، وناقش موضوع الجاحدين . أما قرارات هذا المجمع[١٤] فكانت كالآتى :

(أ) يقبل فورا فى شركة الكنيسة ، من قدموا للهيئات الحكومية ، شهادات مزورة تثبت أنهم ضحوا للأوثان .

(ب) يقبل فى شركة الكنيسة أيضا ، من ضحوا للأوثان مرة ، لكنهم عادوا — حينما قدموا للمحاكمة ثانية واحتملوا النفى ومصادرة ممتلكاتهم .

(جـ) يقبل فى شركة الكنيسة من اعترفوا أولا بالمسيح ، ثم عادوا — وأنكروه تحت وطأة التعذيب ، ومضى ثلاث سنوات على ممارستهم أفعال التوبة .

(د) يقبل فى شركة الكنيشة ، المرضى المشرفون على الموت .

(هـ) أما بالنسبة لباقى من جحدوا الايمان ، وأبدوا رغبة فى العودة الى حضن الكنيسة فتطال مدة توبتهم ، والكنيسة تعترف بحقهم فيما بعد فى شركتها .

وقد قبلت كنيسة روما أيضا هذه القرارات ، بعد التئام مجمع كنسى ، ومصادقته عليها[١٤] .

(٣) قبيل اضطهاد فالريان :

استمرت الأوضاع على هذا النحو لمدة عام حين أعلنت لكبريانوس رؤيا تنبئه بتجدد الاضطهاد فأرسل الى كرنيليوس اسقف روما يخبره فيه بذلك ، وبأن مجمعا قد عقد فى قرطاجنة ، وقرر قبول جميع الجاحدين الراغبين فى شركة الكنيسة[١٥] . لكن هذا القرار قوبل بالاستياء من بعض المتشددين ، وأعلنوا أنفصالهم عن الكنيسة ... وقيل أن كبريانوس رفض بعد ذلك قبول الجاحدين تحت أى شروط ، واستثنى من ذلك من كان مشرفا على الموت فقط .

---

(14) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2. p. 931.

(15) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 931.

(ثانيا) فى كنيسة الأسكندرية :

فى سنة ٣٠٧م . بينما الاضطهاد المروع الذى بدأه ديوكلتيانوس وأكمله أعوانه ، كان مايزال على أشده ، رأى البابا بطرس الاسكندرى (خاتم الشهداء) ، أن الامر يتطلب وضع قوانين يقبل على هديها ، الجاحدون الراغبون فى العودة الى حضن الكنيسة ، بعد أن تقدم بعضهم وطلبوا اليه بدموع أن يحلّهم ويقبلهم فى شركة الكنيسة . وقد ضمّن منشوره الرعوى لعيد القيامة ، هذه القوانين التى ظلت مرعية فى جميع الكنائس الارثوذكسية فى العالم الى ما بعد الانشقاق . وللأسف لم نعثر على هذه القوانين الاصلية التى قيل أن البابا بطرس أيدّها بالشواهد والأدلة الكتابية ... **وفيما يلى ملخص لقوانين البابا بطرس**[١٦] ، **وفيها نلمس جُماع الحكمة الروحانية ، والمحبة الأبوية ، والمعرفة اللاهوتية :**

١ ــ جميع الذين سقطوا فى بدء الاضطهاد لشدة ما قاسوه من العذاب المريع ، وصاروا من النائحين لمدة ثلاث سنوات ، يقبلون فى شركة الكنيسة لأنهم حملوا فى أجسادهم سمات الرب يسوع . غير أنه يتعين عليهم أن يطيلوا صومهم أربعين يوما أخرى بعنف حتى يتعلموا كيف يقولون للمجرب كما قال الرب : اذهب عنى ياشيطان . للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد .

٢ ــ جميع الذين عثروا فى ايمانهم ، ولم ينلهم غير السجن فقط دون أن يعذبوا عذابا شديدا ، لكن ضعفت نفوسهم من هول السجن ورائحته الكريهة ، على الرغم مما قدمه لهم الاخوة من مساعدات سخية ، وقاموا بأعمال التوبة ثلاث سنوات ، مطالبون بالمداومة على توبتهم سنة كاملة اخرى ، يظهرون فيها التوبة الحقيقية ، قبل أن يقبلوا فى شركة الكنيسة . وذلك لكى يعلموا كيف يتوقون للخلاص من قبضة الخطية .

---

(16) The writings of the Nicene and Post-Nicene Fathers, Series 2, Vol. 14, p. 601.
Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.
، منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٣٦ ، ١٣٧ .
، ايريس المصرى : قصة الكنيسة القبطية جـ١ ص١٢٨ ، ١٢٩ . عن :
Guettée; Histoire de l'Eglise Tome 2,pp. 284-286.

٣ ــ كل الذين ارتدوا عن الايمان لمجرد الخوف والوهم فقط ، ولم يذوقوا عذابا ، مطالبون بالمداومة على التوبة أربع سنوات . فان قدموا خلالها أثمارا تليق بالتوبة ، ينظر فى أمر قبولهم فى شركة الكنيسة .

٤ ــ جميع الذين جحدوا الايمان ، ولم يعودوا طالبين التوبة ، والانضمام الى الكنيسة ، فلا يوجد قانون لهم ، بل إن الكنيسة تبكى عليهم وترثى لحالهم .

٥ ــ الذين لجأوا الى الحيلة هربا من العذاب ، ولم يشتركوا فى جحد الايمان ، ولم يبخروا للأوثان ، بل أرسلوا وثنيا ليقوم بهذا العمل بدلا منهم ، لا يحصون بين الجاحدين ، لكن عليهم أن يقدموا أثمار توبتهم فى مدة ستة شهور ، لأنهم تحايلوا على اخفاء الحقيقة ، دون أن يجهروا باخفائها .

٦ ــ العبيد الذين أجبرهم سادتهم على التبخير للأصنام عوضا عنهم ، ثم جحدوا الايمان ، ينبغى أن يبرهنوا على توبتهم سنة كاملة .

٧ ــ أما السادة الذين كانوا السبب فى سقوطهم فتعرض عليهم أعمال توبة لمدة ثلاث سنوات لأنهم مرائين ، ولأنهم أجبروا عبيدهم للتقريب للأصنام لينجوا برقابهم على حساب رقاب اخوتهم فى المسيح .

٨ ــ جميع الذين عثروا ثم عادوا فأصلحوا خطأهم فى الحال ، بأن اعترفوا بمسيحيتهم ، واحتملوا التعذيب ، يجب قبولهم فى شركة الكنيسة بدون فحص أو قصاص ، وذلك لأن الصديق يسقط سبع مرات وينهض ثانية .

٩ ــ جميع الذين قدموا أنفسهم للأخطار طواعية واختيارا ، وهيجوا الحكام عليهم ، دون أن ينتظروا القاء القبض عليهم ، أو ينتظروا حتى يروا ما يحل بهم ، لا يعاقبون بل يكتفى بلومهم وتذكيرهم ، ان المسيح ورسله لم يعملوا هكذا ، ولم يلقوا بأنفسهم فى الهلاك .

١٠ ــ أما الذين سقطوا هذه السقطة من بين الاكليروس وأرادوا العودة فلا يقبلوا ثانية فى وظائفهم الكهنوتية ، بل يقبلون كعلمانيين فى الكنيسة .

١١ ــ مسموح أن يصلى لأجل الجاحدين الذين ماتوا قبل اعلان توبتهم ، ان كان جحدهم قد نتج عما قاسوه من عذابات مرة طويلة . ونحن نشترك

مع ذويهم فى الصلاة ، طالما كانوا هم يتوبون عما اقترفوه بحرارة وتذلل .

١٢ ـــ الذين أخفوا حيثياتهم وأشخاصهم لأجل تشجيع الآخرين وتقوية ايمانهم فى أوقات الاضطهاد ، قد أتوا عملا حسنا ولا لوم عليهم .

١٣ ـــ جميع الذين افتدوا أنفسهم بالمال ، دفعوه فداء عنهم فلا يلاموا .

١٤ ـــ لا لوم على الذين نجوا بهربهم من الاضطهاد .

١٥ ـــ جميع الذين احتملوا العذابات ، وبعد أن أفقدهم العذاب النطق والحركة ، زجت أيديهم قسرا فى النار ليقربوا تقدمات نجسة ، يدرجوا فى القداس ضمن المعترفين ، ماداموا قد أتوا أفعالهم بغير أرادتهم واذا كانوا من الاكليروس يعادون الى وظائفهم كما كانوا .

(ثالثا) فى كنائس سوريا وآسيا الصغرى :

بعد أن انتهى الاضطهاد العام الكبير المعروف باسم اضطهاد ديوكلتيانوس بموت الامبراطور مكسيمينوس منتحرا سنة ٣١٣ ، واصدار قنسطنطين لمرسوم التسامح الدينى ، عقد فى مدينة انكيرا Ancyra ، عاصمة اقليم غلاطية بآسيا الصغرى سنة ٣١٤م ، مجمع للنظر فى موضوع الجاحدين . ولم يزد عدد من حضره من الأساقفة عن اثنى عشر أسقفا ، لكنهم كانوا يمثلون كل أقاليم وبلاد سوريا وآسيا الصغرى . ولذلك وان كان عدد من حضروه قليلا ، لكن كان لقراراته وزن كبير خصوصا وأنه أول مجمع عقد عقب انتهاء الاضطهاد العام ، وعالج موضوع قبول الجاحدين فى الكنيسة والتأديبات الكنسية التى توقع عليهم ، وكان هو موضوع الساعة . وقد وضع مجمع انكيرا خمسة وعشرين قانونا ، منها عشرة قوانين خاصة بالجاحدين ، وقبولهم فى شركة الكنيسة ، ووضعهم فيها ، بعد أن وضعت تأديبات كنسية متفاوتة على كل حالة[١٧] .

(17) The Nicene and Post-Nicene Fathers, Series 2, Vol. 14, pp. 62-75.



المعترفون فى الاصطلاح الكنسى ، هم المسيحيون الذين جاهدوا فى سبيل الايمان فى أزمنة الاضطهاد ، وذاقوا ألوانا من العذاب ، لا تقل عن عذابات الشهداء ، وأحيانا كانت تفوقها ، لكن الله لم يسمح أن يسفكوا دمهم من أجله ، فى الوقت الذى كانوا هم على أتم استعداد لذلك .

وكل ما عرضنا له فى حديثنا عن الشهداء ، ينطبق على المعترفين . ولذا نعرض فقط لأمثلة منهم :

(أولا) معترفون لأجل الايمان المسيحى :

عينة جماعية :

من الامثلة التى ضمنها يوسابيوس المؤرخ تاريخه عن سنة ٣٠٨ ، المعترفون الذين كانوا يعذبون بالعمل فى محجر بروفيرى بطيبة (الاقصر) . أرسل القيصر مكسيمينوس من بينهم ، سبعة وتسعين رجلا مع النساء والأطفال ، للعمل فى مناجم النحاس التى كانت فى منطقة فينو[١] بشرقى الاردن . وفى فلسطين أمر الوالى فرمليانوس ، أن يتم تعجيزهم بحرق عضلات مفصل القدم الأيسر ، وقلع العين اليمنى ، وكى قاع العين بقضيب حديدى محمى . ثم ارسالهم للعمل القاسى فى المناجم[٢] .

وفى اواخر سنة ٣٠٩ تجمع عدد كبير من المعترفين فى مناجم النحاس فى فينو ، وفى جرأة بنوا أماكن لعبادتهم ، فى المنطقة التى كانوا فيها ، وكان بينهم بعض الاساقفة والكهنة المصريين .

---

(١) فينو كانت منطقة غنية بمناجم النحاس . وهى المذكورة فى العهد القديم باسم فونون (أنظر سفر العدد ٣٣: ٤٢ــ٤٤) . وتعرف الآن باسم خربة فنان .

(٢) يوسابيوس : شهداء فلسطين ٨

وازاء هذه الجرأة أبلغ الوالى الامبراطور عنهم ، ونفى بعضهم الى قبرص ، والبعض الى لبنان ، وشتت البعض الآخر فى انحاء مختلفة من فلسطين ، وأمرهم بالعمل فى أعمال مختلفة[٣] .

يوحنا المصرى :

ويسجل يوسابيوس فى اعجاب ، خبراً عن شخص يدعى يوحنا ، وهو احد المعترفين المصريين الذى أثار اعجابه لدرجة كبيرة . أما موضع اعجاب يوسابيوس فكان قوة احتماله ، وقوة ذاكرته فى حفظ الاسفار المقدسة . فضلا عن العذابات التى احتملها ومنها : فقد بصره ، كى قدمه بالنار حتى تلفت ، وطرحه فى النار . ونستمع الآن الى يوسابيوس ، وهو يصفه :

« لقد فاق يوحنا أبناء عصرنا فى قوة الذاكرة . نقش أسفار كاملة من الكتاب المقدس — لا فى الواح حجرية كما يقول الرسول المبارك ، ولا على رق حيوانات ، ولا على ورق يبليه السوس والزمن ، بل فى ألواح قلب لحمية ، فى نفس نقية شفافة ، وفى بصيرة القلب الطاهرة ، حتى بذلك يمكنه أن يستعيد أية فقرة من الكتاب ، سواء من الناموس ، أو الانبياء أو الاسفار التاريخية أو الاناجيل ، أو كتابات الرسل ، فى أى وقت أراد ، كما من كنز ملىء بالكلمات ، واعترف بأننى قد ذهلت عندما رأيت الرجل لاول مرة . اذ كان واقفا ، وسط جماعة كبيرة يردد بعض فقرات من الكتاب المقدس . وعندما سمعت صوته فقط خيل الى أنه كان يقرأ (من كتاب) حسب العادة المتبعة فى الاجتماعات . ولكن لما اقتربت منه وأدركت ما كان يفعل ، وشاهدت جميع الباقين وقوفا حوله بأعين سليمة ، بينما كان هو لا يستخدم سوى عينى قلبه ، ومع ذلك فكان يتكلم طبيعيا كنبى ، ويفوق جدا سليمى الاجساد . كان من المستحيل أن لا أمجد الله ، وأدهش كل الدهشة ... لانه بجسمه المشوه أظهر سمو وعظمة القوة التى كانت بداخله ... »[*] .

---

(٣) يوسابيوس : شهداء فلسطين ١٣ .

(*) يوسابيوس : شهداء فلسطين ١٣ .

انبا بفنوتيوس[4] الاسقف :

تتلمذ فى شبابه للانبا أنطونيوس ، أب الرهبان فى الصحراء ، وعرف عنه التقوى ، والنسك ، والحكمة ، وطول الروح ، وسعة الاطلاع فى الاسفار المقدسة ، حتى وصفه أخوته النساك بأنه « الهيكل الحى للحكمة الالهية » ، سيم أسقفا على طيبة (الاقصر) ، فتفانى فى خدمة كنيسته ، وتعليم رعيته وفى مدة الاضطهاد الذى اثير على الكنيسة تحت حكم جالريوس ومكسيمينوس دازا ، قبض عليه واعترف اعترافا قويا بالمسيح ، فسجن وعذب كثيرا . وأخيرا قلعت عينه اليمنى ، وكوى تجويفها ، وكذا كويت جفونه بالحديد المحمى ، بترت ساقه اليسرى كما كويت أعصابه وعضلات جسمه .. وبعد كل هذه الآلام أرسل على رأس مجموعة كبيرة من المعترفين للعمل فى مناجم النحاس بفلسطين ، حيث ظل هناك لمدة أربع سنوات ، حتى أفرج عنه بعد نهاية الاضطهاد سنة ٣١١ .

عاد الى شعبه وايبارشيته ، واستأنف نشاطه الرعوى ، وكان احد الاساقفة المرموقين الذين حضروا المجمع المسكونى الاول فى نيقية سنة ٣٢٥ . وكان موضع احترام الجميع ، لا سيما الامبراطور قسطنطين ، الذى كان يستدعيه مرارا الى قصره ـــ مدة انعقاد المجمع ـــ ويحتضنه فى رقة ، ويقبل فى احترام زائد عينه التى احتمل فيها التعذيب .

اتصف بشجاعته وثباته ، ووقف الى جانب البابا اثناسيوس ، يؤازره فى صراعه مع الاريوسية . فحضر معه المؤامرة التى حاكها الاريوسيين ضده فى مجمع صور سنة ٣٣٥ . كما قيل انه كان أحد الآباء الارثوذكسيين ، الذين حضروا مجمع سرديكا سنة ٣٤٧ .

وقد أعطى موهبة اخراج الشياطين وشفاء المرضى ، فكان يفتح أعين العميان ويشفى المفلوجين .. أخيرا رقد فى الرب ، ولم يعرف تاريخ انتقاله .

---

(4) Les Saints d'Egypte, Tome 2, pp. 322-324.

القديس ابا نوب المعترف[5] :

كان راهبا ناسكا فى أحد أديرة الصعيد . تحمل عذابات كثيرة على يد أريانوس والى انصنا ، ابان اضطهاد ديوكليتانوس ثم نفاه الى الخمس مدن الغربية ، فأقام هناك محبوسا لمدة سبع سنين حتى زال الاضطهاد . وقد أفرج عنه ضمن المعترفين الذين قضى الامبراطور قسطنطين باخراجهم من السجون . وعاد الى ديره وواصل حياته النسكية .

(ثانيا) معترفون لاجل العقيدة القويمة :

(١) بسبب الهرطقة الاريوسية :

فى عهد الملك الاريوسى قنسطنس (٣٣٧ــ٣٦١) . شمل اضطهاد الاريوسيين للارثوذكسيين القطر المصرى كله . ويقول القديس اثناسيوس الرسولى ــ الذى روى لنا هذا الفصل من التاريخ ــ انه من المستحيل ان توصف العذابات التى احتملها.الاساقفة والكهنة فى سبيل العقيدة القويمة ، الذين من فرط ما صب عليهم من عذاب ، تغيرت ملامح هيئتهم ...

لقد أنذر الاريوسيون جميع الاساقفة الارثوذكسيين بالانسحاب من ايبارشياتهم ، وترك كراسيهم للاريوسيين . **ولما لم يذعنوا من أجل الحفاظ** على العقيدة القويمة ، قيدوهم بالسلاسل ونفوهم .

وهكذا نفى الاسقف آمون الى الواحه الخارجة ، والاساقفة مويس Muis وبسينوسيريس Psenosiris ، ونيلامون Nilammon وبلينيس Plenes ، ومرقس ، وأثينودورس Athenodorus نفوا الى واحة آمون (سيوة) ، وكان محكوما عليهم بالموت حرقا ... أما دراكنتيوس ، فكان نصيبه النفى الى صحراء القلزم (قرب السويس) ، وفيلون الى بابيلون ، وأدلفيوس Adelphius الى الواحة الخارجة . ونفى الى أسوان الاساقفة القدامى الشيوخ أمونيوس ، وأغاثوس وأغاثوديمون Agathodemon ، وأبوللونيوس ، ويولوجيوس ، وبفنتيوس ، وأبوللون ، وجايوس ، وفلافيوس ، وديسقوروس ، وهيراكليدس

(٥) سنكسار ٢٣ بؤونة .

Heracleides ، وبسان Psain ، ومعهم القسوس هيراكس Hierax ، وديسقوروس ، **ثم ما لبثوا أن شردوا من قفر الى قفر واشتغل كثير منهم فى المحاجر ، والبعض ذبحوا بلا شفقة ولا كرامة ...**

وليست هذه هى كل أسماء الاساقفة والقسوس الذين عذبوا ، أو استشهدوا . فان قائمة الاسماء التى دونها البابا اثناسيوس فقدت لسوء الحظ . وقد ذكر فى موضع آخر ، أسماء تسعين من الكهنة العظام ، طردوا عن كراسيهم .

أما أساقفة الخمس مدن الغربية ، فكان نصيبهم النفى الى الواحة الخارجة . على عكس أساقفة الصعيد الذين نفوا الى واحة سيوة ... وقد أوصى البابا اثناسيوس أن يكرم هؤلاء جميعا كشهداء أمجاد[٦] .

(٢) بسبب هرطقة الطبيعتين :

البابا ديسقوروس :

وهو البطريرك الخامس والعشرون من بطاركة الكرسى الاسكندرى . وتلقبه الكنيسة بطل الارثوذكسية العظيم . كان شيخا وقورا ، جمع بين الروحانية ، والعمق الدراسى اللاهوتى ، والشجاعة المسيحية ، والرغبة فى التضحية حتى بالنفس من أجل الايمان . حدث بعد وفاة الملك ثيئودسيوس الصغير ـــ الذى تلقبه الكنيسة بالملك الارثوذكسى (٤٠٨ـــ٤٥٠) ، واعتلاء عرش المملكة الملك مركيان وزوجته الملكة بولشريا ـــ فى ذلك الوقت الذى احتدم فيه الجدل حول طبيعة السيد المسيح ، أن المؤامرات كانت تدبر ضد كنيسة الاسكندرية وأساقفتها العظام ، بسعى لاون أسقف روما لدى الملك مركيان وزوجته .

عقد الملك مركيان مجمعا فى قصره بالقسطنطينية من أجل موضوع الساعة ـــ وهو طبيعة السيد المسيح ـــ دعا اليه كثيرا من الاساقفة ، كان معظمهم من النساطرة . وكان البابا ديسقوروس ضمن المدعوين ، واندهش لكثرة عدد

---

(٦) أثناسيوس الرسولى : رسائل الى المتوحدين .
Les Saints d'Egypte, Tome 2, pp. 97-99.

وللأسف لا نعرف أماكن ايبارشيات هؤلاء الاساقفة على وجه التحديد .

الاساقفة المجتمعين بلا سبب . وهو لا يدرى أن هناك مؤامرة مبيتة ضده ، لكنه لم يرهب الموقف . ولما تساءل عن السبب فى عقد المجمع . أجابه أحد الاساقفة بأن الملك يهدف الى توضيح الايمان . فقال البابا ديسقورس فى جرأة « ان الايمان لهو فى غاية الكمال ولا يعوزه شيء من الايضاح ، وهو مقرر ومثبت من الآباء أمثال اثناسيوس ، وكيرلس وغيرهما ... ولما حاول البعض أن يستميلوه ، أن يوافق على طومس لاون أسقف روما ، الذى يثبت الطبيعتين بعد الاتحاد فى شخص المسيح له المجد ، قال « ان اعتقاد البيعة ينبغى الا يزاد عليه أو ينقص منه . فالمسيح واحد بالطبع ، والجوهر ، والعقل ، والمشيئة ، كما كرز الآباء » . ثم أخذ يشرح لهم المعتقد السليم ...

وحدث أن أحد الاساقفة المجتمعين فى قصر الملك ، أخذ يوجه الكلام الى البابا ديسقوروس ، طالبا اليه أن يذعن لرغبة الملك ولا يخالفه ، كى يبقى فى منصبه . **فما كان من ديسقوروس الا أن قال له « ان الملك لا يلزمه البحث فى هذه الامور الدقيقة ، بل ينبغى عليه ان ينشغل بأمور مملكته وتدبيرها ، ويدع الكهنة يبحثون موضوع الايمان المستقيم ، فانهم يعرفون الكتب . وخير له أن لا يميل مع الهوى ، ولا يتبع غير الحق »** .

دهش الجميع من جرأته . وهنا قالت الملكة « يا ديسقورس ، لقد كان فى زمان والدتى أفدوكسيا ، انسان عنيد مثلك (تقصد يوحنا الذهبى فمه) ، وأنت تعلم أنه لم ير من جراء مخالفتها خيرا . وأنا أرى أن حالك سيكون مثله » . فأجابها بكل شجاعة « وأنت تعرفين ما جرى لوالدتك نتيجة اضطهادها لهذا القديس . وكيف ابتلاها الله بالمرض الشديد ، الذى لم تجد له دواء ، ولا علاجا حتى مضت الى قبره وبكت عليه واستغفرت الرب فعوفيت . وهاأنذا بين يديك ، فافعلى ما تريدين ، وستربحين ما ربحته أمك ... » .

كانت نتيجة هذه الاجابة الصريحة ، أن تهجمت هذه الشريرة ، ومدت يدها وصفعته صفعة شديدة ، اقتلعت ضرسين من أضراسه نظرا لشيخوخته . وما لبث أن انهال عليه بعض رجال القصر وأوسعوه ضربا . وامعانا فى الاستهزاء به ، نتفوا شعر لحيته ... أما هو فبقى صامتا محتملا وهو يقول « من أجلك نمات كل النهار » ثم جمع الاب الضرسين ، مع شعر لحيته ، وأرسلهما

الى شعبه بالاسكندرية ، مع رسالة قال فيها « هذه ثمرة جهادى لاجل الايمان . اعلموا أنه قد نالتنى آلام كثيرة فى سبيل المحافظة على ايمان آبائى القديسين » .

وفى مجمع خلقيدونية ، الذى انعقد سنة ٤٥١ بأمر الملك ، استخدم الضغط والارهاب ضد الاسقفة ، واتبعت سبل المؤامرات الدنيئة ، فكانت النتيجة أن صدر حكم المجمع على البابا ديسقوروس غيابيا بالقطع من الكهنوت واسقاط درجة الاسقفية عنه ، وذلك بعد أن كتب هو حرما لكل من يتعدى حدود الايمان المستقيم .

وقد صادق الملك على قرار المجمع ، وأصدر أمره بنفى البابا ديسقوروس الى جزيرة غاغرا بآسيا الصغرى . وبقى فى منفاه خمس سنين ، صرفها فى هداية الضالين وشفاء المرضى . وانتقل الى عالم المجد سنة ٤٥٧ .

الانبا صموئيل المعترف[٧] :

ولد فى أوائل القرن السابع المسيحى بوعد الهى لوالده الذى كان كاهنا ... أظهر منذ صباه ميلا نحو حياة الرهبنة ، فقصد برية شيهيت ، وتتلمذ على يد راهب قديس يدعى أغاثوس . وبعد أن أقام عنده ثلاث سنوات تنيح الشيخ ، فانفرد وازداد جهاده ، فقدموه قسا على كنيسة القديس مقاريوس بالاسقيط .

ولما ورد الى البرية طومس[٨] لاون ، وقرىء على مسامع الشيوخ ، غار هذا القديس غيرة للرب ، وأمسك بالطومس ومزقه ، ولعن كل من يغير الايمان المستقيم .

غضب لذلك الرسول ــ حامل الطومس وهو من رجال الحكومة ــ وأمر بضربه ، فضربوه كثيرا ، حتى أصابوا احدى عينيه ، فقلعت . ثم طردوه من الدير ، فمضى وسكن ببرية القلمون كارشاد ملاك له ، وهى البرية الكائنة

(٧) سنكسار ٨ كيهك .

(٨) رسالة لاون أسقف روما (٤٤٠ــ٤٦١) ، التى ضمنها تعاليما فاسدة بخصوص طبيعة السيد المسيح ، وقد رفضتها كنيستنا ، وحرمت كل من يقول أو يؤمن بها ، وذلك فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ، من فم البابا ديسقوروس ، بطريرك الاسكندرية ٢٥ .

جنوبى اقليم الفيوم . وهناك ابتنى ديرا . ثم نمى خبره الى المقوقس ــ والى مصر من قبل الدولة الرومانية ــ فقبض عليه . وبعد أن ضربه ضربا مبرحا ، طرده من الدير .

وقد سباه قوم من البربر[٩] ، وحاول سيده أن يستميله الى عبادته الوثنية فرفض . فأراد أن يخضعه بطريقة غير مباشرة ، عن طريق اخضاعه للشهوة الجسدية . كلفه برعاية الابل فى البرية وربط احدى رجليه مع رجل جارية ، لعل فى هذا ما يجعله يسقط ، وبالتالى يضعف . لكنه كان يزداد جهادا ، وشجاعة ، ازاء هذه التجربة .

مرض ابن سيده مرض الموت ، فشفاه القديس بالصلاة . فأراد السيد أن يكافئه ، ففك سبيه ، بناء على طلبه . عاد الى ديره واستأنف نشاطه ، واجتمع حوله تلاميذ كثيرون . أخيرا بعد جهاد حسن رقد فى الرب .

تكريم الكنيسة لهم :

للمعترفين منزلة خاصة فى الكنيسة ، فهى تذكرهم عقب الشهداء مباشرة فى تسابيحها وفى مجمع القديسين فى القداس الالهى حيث تقول :

« لان هذا يارب هو أمر أبنك الوحيد الجنس أن نشترك فى تذكار قديسيك . تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء . آباءنا الاطهار رؤساء الآباء والانبياء والرسل والمبشرين والانجيليين والشهداء **والمعترفين** وكل أرواح الصديقين الذين تكملوا فى الايمان .. » .

وتقدم سيرهم العطرة لابنائها فى السنكسار ليقتدوا بها .

وفى الكنيسة الاولى كانت تكتب أسماؤهم فى قوائم مع اسماء الشهداء والبطاركة والاساقفة والقديسين ، وتحفظ فى لوح معدنى من ضلفتين يشبه الكتاب . وتسمى هذه الالواح Diptychs . وكانت تذكر الاسماء المكتوبة فى هذه القوائم ، عقب المجمع فى القداس الالهى ، عندما يقول الشماس « القارئون

---

(٩) البربر ليسوا شعبا معينا أو جنسا خاصا . لكن كلمة بربر مرادفة لكلمة همجى .

فليقولوا أسماء آبائنا القديسين البطاركة الذين رقدوا .. »[10] .

وليس أدل على تكريم الكنيسة لهم ، من عبارات المديح التى امتلأت بها رسائل كبريانوس أسقف قرطاجنة للمعترفين المسجونين . وكمثل ، نورد بعض عبارات من رسالة القديس كبريانوس الشهيد أسقف قرطاجنة عن المعترفين يقول :

« شجاعتهم ليست أقل من شجاعة الشهداء القديسين ، ولا هم دونهم شرفا . لقد قاسوا كل ما كانوا عازمين ومستعدين أن يقاسوه ... ومن قدم آلامه وموته تحت نظر الله ، فقد احتمل كل ما أراد من عذاب ، ولم ينقصه إلا الضرب ـــ لكنه لم يعوزه الفوز والظفر . لقد بلغوا الى الموت ثابتين ، غير مهزومين فى الايمان . ومتى صح عزم الارادة ، وتم الاعتراف بالايمان ، والحبس فى السجن ، والقيود فى اليدين ، فقد تم مجد الاستشهاد ...[11] .

وفى رسالة أخرى للقديس كبريانوس ، عن سيامة أوريليوس المعترف أغنسطسا ، يقول[12] « من كبريانوس الى الكهنة والشمامسة ، وكل الشعب»... سلام .

« أيها الاخوة الاعزاء ، قد أعتدنا أن نشاوركم قبل سيامات الاكليروس ، ونفحص معكم عن سلوك كل واحد وأهليته . ولكن متى سبق أن اختار الله أحدا ، فلا حاجة بعدئذ للشهادات البشرية . **وان اخانا « أوريليوس » قد اعترف مرتين بالمسيح وصار أهلا لأعلى الدرجات الكهنوتية ... مثله يجب أن يُقيّم لا بعمره بل بما يستحقه . وقد تراءى لنا أن نرقية الى درجة أغنسطس (قارىء)** . اذ لا شىء أليق بصوت « **اعترف** » بالله اعترافا مجيدا ، من أن يجهر بكلمة الله . وبعد أن بلغ حتى الاستشهاد ، شهادة للمسيح ، صار من العدل أن يتلو الانجيل الذى يلد الشهداء ، وأن يقف على المنبر بعد أن وقف أمام المحاكم ... » .

---

(10) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 1, pp. 560-563.

(11) Cyp.: Ep., 12.

(12) Cyp.: Ep., 32.

نهاية المضطهدين

قال الرسول بولس « جميع اضطهاداتكم والضيقات التى تحتملونها بينة على قضاء الله العادل ، انكم تؤهلون لملكوت الله ، الذى لاجله تتألمون أيضا . اذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقا . وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته »[1] ولقد تمت هذه الكلمات حرفيا .. فالشهداء والمعترفون ، ذهبوا الى المجد الذى كان ينتظرهم ، أما الذين تصدوا لاضطهاد المسيحيين ، فقد حل عليهم الضيق ، وانهوا حياتهم نهاية سيئة ...

كانت هذه نتيجة طبيعية ... فالحرب لم تكن بين الوثنيين والمسيحيين ، بل بين الشيطان والله . ولم يكن الوثنيون الا آلات فى يد الشيطان ، استخدمها لتثبيت سلطانه فى العالم ، أما المسيحيون فكانوا آلات بر فى يمين الله لمجد اسمه .

كان شاول الطرسوسى (بولس الرسول) يضطهد المسيحيين ، وحينما التقى بالرب عند مشارف دمشق ، كانت كلمات الرب يسوع اليه « شاول ، شاول ، لماذا تضطهدنى ؟ » ولما استوضحه عن شخصيته أجابه « أنا يسوع الذى أنت تضطهده » (أع ٩ : ٤ ، ٥) . فلم يكن الاضطهاد موجها الى المسيحيين من أجل أشخاصهم ، بل الى الرب ذاته ، الذى آمنوا به ، وأخلصوا له الحب ، وحفظوا له العهد ...

كان لابد لله أن يظهر قوته ... انه درس لكل الاجيال ... فالله ضابط الكل يتأنى لكن لا ينسى ، ويمهل لكنه لا يهمل ، ويسلم ولكن ليس الى الانقضاء ..

كان أمرا مثيرا للالتفات بقدر ما كان مثيرا للدهشة ولتمجيد اسم الله ... ان جميع الذين قاموا على المسيحية بقصد ملاشاتها ، واضطهدوا اتباعها وعذبوهم وقتلوهم ، انتهوا الى نهايات سيئة ، وماتوا شر ميتة . حتى أن

---

(١) ٢ تس ١ : ٤ — ٧

لكتانتيوس Lactantius المدافع المسيحى ــ الذى كان وثنيا وتنصر كتب كتابا ، بعد أنتهاء عهد ديوكلتيانوس ، وزوال الاضطهاد أسماه De Mortibus Persecutorum « موت المضطهدين » ، أراد به أن يبرهن على صحة الديانة المسيحية من زاوية خاصة ، وهى أن أولئك الاباطرة الذين اضطهدوا المسيحيين ، وعذبوهم وقتلوا منهم . كانوا هدفا لاظهار الغضب الالهى .

ونحن حينما نعتمد على رواية لكتانتيوس فى هذا الجزء ، لانعتمد على رواية انسان مسيحى مغرض ، انما نعتمد على انسان ، لشهادته وزن كبير ، من حيث كونه شاهد عيان ، بالاضافة الى ثقافته العالية ، فقد عاش وسط الاضطهادات وشاهد نهايتها . كان استاذا للبلاغة ، واشتهر بتنوع معارفه ، وعذب تعبيره ، ورقة أسلوبه ، حتى دعى من المعاصرين « شيشيرون المسيحى » وحاز شهرة واسعة حتى أن الامبراطور ديوكلتيانوس نفسه ، دعاه ليقيم فى نيقوميدية مقر حكمه ، ويفتتح مدرسة هناك ... وبعد أن انقضى زمان الاضطهاد ، عهد اليه الملك قنسطنطين تعليم ابنه كريسبس Crispus ... ومع كل ذلك ، فقد اعتمدنا أيضا على روايات مؤرخين وثنيين ، كما سنشير الى ذلك فى موضعه .

جاء فى صدر كتاب لكتانتيوس :

« لقد استمع الرب للتوسلات التى رفعتها الى حضرته طوال النهار ، أيها العزيز دوناتس Donatus ، وأيضا توسلات باقى اخوتنا ، الذين باعتراف مجيد ، نالوا اكليلا أبديا ، مكافأة عن ايمانهم . انظر ! لقد باد جميع الأعداء ، وعاد الهدوء ثانية الى انحاء الامبراطورية الرومانية . والكنيسة التى اضطهدت قبلا ، نهضت ثانية . وهيكل الله الذى خرب بأيدى الاشرار ، بنى بمجد أكثر من ذى قبل .... والآن ، لقد أقام الله ــ سامع الدعاء ــ بمعونته الالهية خدامه المنطرحين والمتضايقين . أقامهم من الحضيض ، ووضع نهاية لكل مكايد الاشرار ، وكفكف دموع النائحين . أما الذين جدفوا على اللاهوت ، فقد طرحهم الى أسفل . والذين هدموا الهيكل المقدس ، سقطوا سقوطا شنيعا . والذين عذبوا الابرار ، ماتوا وسط الضربات الالهية ، بعذابات يستحقونها . فالله قد تأنى « فى عقابهم حتى ــ بالنموذجات العظيمة والعجيبة ــ يعلم

نسلهم ، أنه وحده هو الله . وأنه بالنقمة المناسبة ، ينفذ قضاءه على المستكبرين الكافرين المضطهدين »[٢] .

ثم أخذ بعد ذلك ، يستعرض نهاية كل امبراطور من الاباطرة الذين أذاقوا المسيحيين ألوانا من العسف والعذاب . نقتطف منها بعض الامثلة :

● **نيرون :**

أول من اضطهد خدام الله من الاباطرة الرومان ... صلب بطرس وذبح بولس ، وفتك بمئات المسيحيين ، بعد أن عذبهم بطرق بشعة . هذا لم ينج من العقاب الالهى لقد حرم من السلطة وهو فى عنفوان شبابه ، واختفى فجأة وهو فى سن الثانية والثلاثين (انتحر) ... ولم يعثر له على جثة أو قبر ![٣] .

● **دومتيان :**

قتل فى قصره بعد أن وقع فى قبضة اعدائه . ولم يقتصر الامر على ذلك بل لقد محى اسمه ، على الرغم من أنه شيد صروحا ضخمة ، وأعاد بناء الكابيتول وخلف آثارا كثيرة تدل على عظمته . لقد قرر مجلس الشيوخ الرومانى محو اسمه ، حتى لا يبقى له ذكر لتكريمه . كما أصدر عدة مراسيم للتشهير به حتى بعد قتله[٤] .

● **ديسيوس :**

كان كوحش مفترس ، وارتكب فظائع كثيرة ، وكأنه أقيم أمبراطورا لينتقم من كنيسة الله . لكنه فى احدى حملاته ضد المتبربرين ، سقط فى أيديهم ، وذبح هو وابنه وعدد كبير من جيشه . ولم ينل ، حتى شرف الاحتفال بموته ودفنه بالطقوس الجنائزية المعتادة ، بل أن جسده نهشته الوحوش والطيور الجارحة[٥] .

---

(2) Lactantius: De Mortibus Persecutorum, ch. 1.

(3) Lactantius, ch. 2.

(4) Lactantius, ch. 3.

(5) Lactantius, ch. 4.

- **فالريان :**

اسره الفرس أعداؤه ، وأمضى بقية حياته كعبد . وقيل أن سابور ملك الفرس الذى أسره ، عندما كان يريد أن يركب عربته ، أو يمتطى صهوة جواده ، كان يأمر باحضاره لينحنى حتى ما يضع قدمه على ظهره ليركب ... وكثيرا ما كان يحضره أمامه ويسخر منه . ولم يظهر فى الدولة الرومانية من ينتقم لأسره ومذلته ، وأنهى حياته أسيرا . وبعد هذه الحياة المخجلة ، أمر سابور فسلخوا جلده . وبعد نزع جلده عن لحمه صبغ باللون الاحمر القرمزى ووضع فى معبد آلهة الفرس تذكار للنصر العظيم الذى أحرزته فارس ، على روما[٦] .

- **أورليــان :**

ذبح ومات قبل أن تصل منشوراته ومراسيمه التى تقضى بقتل المسيحين وتعذيبهم الى الاقاليم النائية بأطراف الامبراطورية ... لقد ذبحه أصدقاؤه المقربون فى أقليم ترافيا[٧] .

- **ديوكلتيانوس :**

انتهى الى نهاية محزنة . فقد اعتزل الحكم تحت وطأة المرض واللوثة التى أصابته فى عقله . وحطمت تماثيله ، وأزيلت صوره . وعاش ليرى بعينيه احتقارا لم يشهده أحد من الاباطرة السابقين .... وتحت وطأة الغيظ والامراض الجسدية التى حلت به صمم على الموت . كان لا يقدر أن يأكل أو يرتاح ، وكان يتأوه ، وينوح ويبكى دائما . فقد بصره وأصيب بالجنون . وأخيرا فى موجة يأس وجنون معا ، أنهى حياته سنة ٣١٣ ، فى نفس السنة التى أصدر فيها قنسطنطين مرسوم التسامح الدينى للمسيحيين[٨] .

- **مكسيميانــوس :**

شريك ديوكلتيانوس فى الامبراطورية ، وحاكم القسم الغربى منها ، شنق نفسه

---

(6) Lactantius, ch. 5.

(7) Lactantius, ch. 6.

(8) Lactantius, ch. 42.

ومات منتحرا سنة ٣١٠(٩) .

● جالريوس :

هو زوج فالريا ابنة ديوكلتيانوس ، ومعاونه فى حكم الشرق . مرض مرضا خطيرا كريها ، أواخر سنة ٣١٠ . فقد ضرب بالقروح البشعة فى أجزاء جسمه السرية سرعان ما انتشرت فى كل جسمه . وبعدها أخذ الدود يأكل جسمه .. وكانت تنبعث منه رائحة نتنة جدا ، ما كان أحد يستطيع الاقتراب منه بسببها . وازاء هذا المرض الخطر المؤلم ، الذى جعله يواجه الموت ، التجأ الى اله المسيحيين . وأصدر مرسوم تسامح للمسيحيين ــ وان كانت عباراته تنم عن كبريائه ــ لكنه يطلب فيه من المسيحيين أن « يتضرعوا لالهم من أجل سلامتنا » . ومات فى مايو سنة ٣١١(١٠) .

● مكسيمينيوس دازا :

اذاق المسيحيين أشر وأفظع أنواع العذاب فى الشرق ، وخاصة فى مصر وسوريا ... اندحر بجيوشه أمام ليكينيوس سنة ٣١٣ . ويذكر يوسابيوس المؤرخ المعاصر ، أن جيشه أبيد وتنحى عنه كل حرسه ، وتركوه وحيدا ، وهربوا لحياتهم . أما هو فنزع ملابسه الملكية ، وأختلط بالناس فى جبن ، وأختبأ فى الحقول والقرى ... وعاد الى بلاده يغطيه الخزى . وفى ثورة جنونية قتل كثير من كهنة الاوثان ، الذين أوحوا اليه بدخول الحرب .

وفى ذلك الوقت، أصدر قنسطنطين وليكينيوس مرسوم التسامح من ميلان ، فأصدر هو من نيقوميدية مرسوم تسامح للمسيحيين على غرار مرسوم ميلان ، وان كان أقل منه ، من جهة الحرية التى منحها للمسيحيين . لكنه سرعان ما تعاطى سما للانتحار . ونظرا لقوة جسده ، فلم يقض عليه السم مباشرة بل مرض فظهرت عليه أعراض تشبه الطاعون ، وامتدت به الايام حتى تزداد

---

(٩) يوسابيوس ٨ : ١٣ .

(١٠) يوسابيوس ٨ : ١٦ ــ ومصدر هذه الرواية ليس المؤرخون المسيحيون وحدهم ، بل المؤرخون الوثنيون أيضا . أنظر :

Dictionary of Christian Biography, Vol. 2, p. 594.

آلامه ــ ومن شدة الآلام التى حلت به كانت تنتابه نوبات يفقد فيها عقله ، فكان يلتهم تراب الارض بشراهة .

وفى أحد النوبات صدم بعنف حائطا بجبهته ، فجحظت عيناه ، وفقد بصره . وبعد أن فقد بصره تخيل ذات مرة أنه رأى الله يحيط به خدامه بثياب بيضاء جالسين يحاكمونه . وتخيل أنه موضوع على آلة تعذيب ، وأخذ يصيح انه برىء . أخيرا أعترف بجريمته وناح ، وتضرع الى المسيح أن يرحمه . وهكذا خلال هذا النحيب ، الذى كان وكأنه صادر عن انسان يحترق حيا ، لفظ أنفاسه المذنبة ، فى أبشع صورة للموت سنة ٣١٤[١١] .

• يوليانوس الجاحد[١٢] (٣٣١ــ٣٦٣) :

نشأ مسيحيا وتلقى ثقافته فى أثينا ببلاد اليونان ، وكان زميلا للقديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس النيزينزى ، فى مدة دراسته فى أثينا ، وكان يدرس معهما الكتاب المقدس لكن ما لبث ــ بعد أن صار امبراطورا ــ أن اشتعل فيه الحماس للوثنية ، فجحد المسيحية ، واضطهد اتباعها ، وشرع يحتضن اليهود ، وحاول اعادة بناء هيكلهم بأورشليم ، لكى يثبت عدم صدق كلام المسيح النبوى الخاص بالهيكل ، انه لا يترك منه حجر على حجر الا وينقض . لكن الله الذى سبق وأنبأ ، تمم قوله ، فكانت تخرج كرات نارية من الارض وتحرق العمال الذين كانوا يحفرون الاساسات . وهكذا توقف العمل وفشل هذا البائس فى محاولته .

كان يوليانوس امبراطورا مغرورا متفلسفا ، أراد أن يتشبه بالاسكندر المقدونى الاكبر ، فى توسيع رقعة مملكته . فقام بحملة على بلاد فارس لاخضاعها . لكنه أصيب برمح من يد لم يعرف مصدرها ، استقر فى جنبه الايمن ، فسقط والدماء تنزف منه . وسمع وهو يصرخ ويقول « لقد انتصرت أيها الجليلى »[١٣] .. وهكذا مات ودفنت معه آماله ببعث الوثنية ثانية ، ولم يكمل الثانية والثلاثين من عمره .

---

(١١) يوسابيوس ٩ : ١٠ .

(12) Dictionary of Christian Biography, Vol. 3, pp. 484-516.

(١٣) يقصد السيد المسيح .

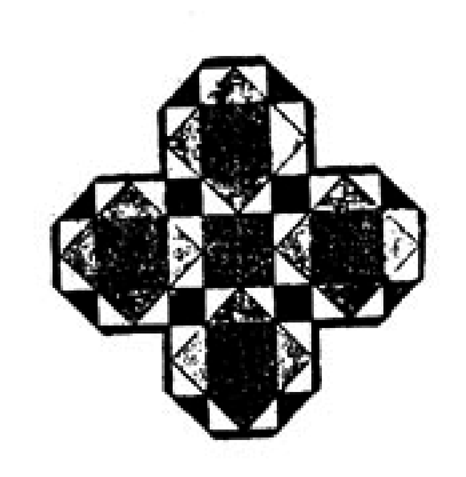
أمثلة من الولاة :

هذا عن الاباطرة . أما عن الولاة والحكام المحليين فنجد أنهم تعرضوا أيضا لنفس المصير . ومن أمثلتهم :

- **فيجيليوس ساتورنس** **Vigellius Saturnus** ، حاكم شمالى افريقيا فى زمان الامبراطور كومودس بن مرقس أوريليوس (١٨٠—١٩٢) . يقول عنه ترتليانوس أنه دفع ثمن تعذيبه للمسيحيين غالبا ، اذ فقد بصره(١٤) .

- **وأوربانوس** حاكم فلسطين ، الذى أذاق الشهداء والمعترفين فى فلسطين ألوانا من العذاب فى عهد مكسيمينوس دازا ، انقلب عليه مكسيمينوس ، وقتله(١٥) .

- وكذلك فرمليانوس الذى خلف أوربانوس ؛ وكان أكثر منه شراسة قتل بحد السيف(١٦) .



---

(14) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

(١٥) يوسابيوس : شهداء فلسطين ٧ : ٧ .

(١٦) يوسابيوس : شهداء فلسطين ١١ : ٣١ .

مكانة الشهداء فى الكنيسة (*)

« ولما فتح الختم الخامس رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم ... فأعطوا كل واحد ثيابا بيضاء ، وقيل لهم أن يستريحوا زمانا يسيرا »[١] .

للشهداء مكانة متميزة فى السماء ، فى الكنيسة المنتصرة .. اذ هم تحت المذبح ، وأعطوا ثيابا بيضا . اننا لا نعجب من ذلك ، فليس أعظم من أن يسفك الانسان دمه لاجل من يحبه « ليس حب أعظم من هذا » .. أو بحسب تعبير يوحنا فى رؤياه « ولم يحبوا حياتهم حتى الموت[٢] . لا عجب اذن ، ان رأينا الكنيسة المجاهدة تكرمهم ، وتضعهم فى منزلة خاصة فى صلواتها ، وتقدس أضرحتهم ، وذخائرهم ، وتطلب شفاعتهم ..

والكنيسة حينما تفعل ذلك انما تفعله احياء لتذكار وفاء هذا الجيش الضخم النبيل من الشهداء ، الذين لم يضنوا بدمائهم وأرواحهم فى سبيل حفظ الايمان الحى ، الذى انحدر الينا عائما على بحر من دمائهم . وهى تفعل ذلك أيضا اعترافا بالشركة غير المنفصمة بين الكنيسة المجاهدة والمنتصرة . وعلى رجاء قيامة الاجساد ، قدمت الكنيسة للشهداء ، ولذخائرهم ، احتراما يستحقونه . وهكذا تعبر كنيسة سميرنا (أزمير) عن تقديرها وحبها للشهداء فى خطابها سنة ١٥٥ الذى تروى فيه استشهاد بوليكاربوس أسقفها « لا يمكننا أن نترك المسيح الذى تألم عن خلاص العالم كله ، ولا أن نعبد غيره . اياه وحده نعبد كابن الله .

(*) فى هذا البحث ، نعالج الموضوع تاريخيا فى القرنين الثانى والثالث ، وليس فى دائرة بحثنا أن نثبته عقيديا .

(١) رؤ ٦ : ٩ ، ١١ .

(٢) رؤ ١٢ : ١١ .

اما الشهداء فنحبهم حسبما يستحقون ، من أجل حبهم الفائق لملكهم وسيدهم . كما نود أيضا أن نكون رفاقهم »[٣] .

تضع الكنيسة الشهداء فى مرتبة سابقة لجميع القديسين على اختلاف رتبهم ... هم يتقدمون البطاركة والنساك ، ولا يتقدمهم سوى العذراء الطاهرة والدة الاله ، والطغمات السمائية ، ورؤساء الآباء ، والانبياء[٤] . وتذكر الكنيسة أسماءهم فى مواضع عديدة من خدماتها ، تطوبهم ، وتطلب شفاعتهم وبركتهم :

فى الصلوات والتسابيح :

ـــ تذكرهم الكنيسة فى الابصلمودية (السنوى والكيهكى) ، وكذا فى الذكصولوجيات والابصاليات الخاصة بهم وفى الدفنار .

ـــ يذكرهم الآباء الكهنة فى تحليل الكهنة عقب صلاة نصف الليل « بشفاعة ذات الشفاعات ، معدن الطهر والجود والبركات ، سيدتنا كلنا وفخر جنسنا ، العذراء البتول الذكية مارت مريم .. وكافة الملائكة والانبياء والرسل والشهداء والقديسين والسواح والعباد والنساك والمجاهدين .. » .

ـــ ونذكرهم فى ذكصولوجية باكر عقب صلاة مزامير باكر قبل رفع البخور ، وفى أرباع الناقوس ، فى رفع بخور عشية وباكر ...

ـــ وتذكرهم الكنيسة فى البركة الختامية لصلوات رفع البخور والقداس الالهى التى يمنحها الآباء الكهنة للشعب .

ـــ وتذكرهم الكنيسة فى القداس الالهى فى بعض الالحان المستديمة (الهيتينيات) ، وأحيانا فى مرد الابركسيس ، وفى مجمع الآباء القديسين ، وفى الحان المناسبات .

---

(3) Schaff, Vol. 2, p. 82.

(٤) الرسل يسبقون الشهداء ، لكن الرسل جميعا ماتوا شهداء ، باستثناء يوحنا الحبيب ، الذى يعتبر هو الآخر شهيدا ، لاحتماله آلام الشهادة بوضعه فى خلقين زيت مغلى ، ونفيه الى جزيرة بطمس التى رأى فيها رؤياه .

ـــ وتقدم الكنيسة سيرهم للقدوة والبركة فى السنكسار الذى يتلى على المؤمنين فى كل قداس .

ذخائر الشهداء ، واضرحتهم ، واحياء تذكاراتهم :

فى المفهوم الروحى الكنسى يعتبر يوم موت الشهيد هو يوم ميلاده السماوى . وكتعبير عن هذا المفهوم يقول القديس اغسطينوس انه اذا كان يوم خروج الطفل من أحشاء أمه المظلمة ، يحتفل به كعيد لميلاده ، فبالاولى يعتبر عيدا يوم ينحل الانسان من رباطات الجسد المظلمة ، وينطلق من هذا العالم الى المجد الاسنى .

وكانت الكنيسة منذ الاجيال الاولى تحتفل بتذكار استشهاد الشهيد سنويا ـــ وكان ذلك يحدث غالبا فى كهف أو سرداب ـــ بالصلاة ، وقراءة سيرة جهاده ، وآلامه وظفره ، وتقدم القرابين ويحتفل بالعشاء السرى[٥] .

وقد درجت الكنيسة على جمع وتدوين سير الشهداء . ولكبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد رسالة أرسلها الى الكهنة والشمامسة ، بينما كان مختفيا ، يحثهم فيها على ذلك[٦] . كما حرصت الكنيسة على الاحتفاظ بأجساد الشهداء أو فى القليل بقاياهم . وبعد انتهاء زمان الاضطهاد أقيمت أضرحة خاصة دفنت فيها ، أو اقيمت كنائس على أسمائهم ، ووضعت هذه الاجساد أو الذخائر (البقايا) تحت المذبح[٧] .

ولكن حدث فى بعض الاضطهادات ، أن المضطهدين ـــ لعلمهم بحرص المسيحيين على اقتناء هذه الذخائر والاجساد ، فضلا عن أنها كانت مصدرا لبث روح الشجاعة فيهم ـــ كانوا يلقونها فى البحار والانهار ، أو يتركونها فى العراء خارج المدن تنهشها الكلاب والوحوش الضارية والطيور الجارحة . وقد تميز الاضطهاد الكبير الاخير (ديوكلتيانوس وأعوانه) ، بمثل هذه الاجراءات .

---

(5) Schaff, Vol. 2, pp. 82, 83.

(6) Cyp. Ep, 12.

(٧) استندت الكنيسة فى هذا التصرف الى ما ورد فى رؤ٦:٩ـــ١١ .

كان المسيحيون الاوائل ينظرون الى أجساد الشهداء وذخائرهم ككنوز ثمينة ... هكذا أكرمت كنيسة انطاكية بقايا أغناطيوس أسقفها الشهيد ، الذى أحرق فى روما . واعتبرت كنيسة سميرنا عظام بوليكاربوس انها أثمن من الذهب والماس . وجمع أبناء كبريانوس أسقف قرطاجنة وأصدقاؤه ، دمه فى مناديل وشيدوا هيكلا فوق قبره[8] .

يقول القديس يوحنا الذهبى فمه « لنسجد أمام بقايا الشهداء ، ونحتضن توابيتهم ، فتوابيت الشهداء يمكن أن تكسب الانسان قوة كبيرة » . ويؤكد أن عظام الشهداء تطرد الامراض وتبعد الموت .. وحيث تدفن عظام الشهداء ، تهرب الشياطين كما من نار وعذاب لا يطاق[9] .

وقد تبارت الكنائس المختلفة والاديرة فى الاحتفاظ بأجساد الشهداء وذخائرهم . وكان المسيحيون يسارعون اليها طلبا لبركتها ، ومعونة أصحابها ، حتى أن القديس باسيليوس الكبير يصفهم بأنهم ــ بعد موتهم ــ يصبحون صيادين للناس ، يجذبون ربوات منهم الى قبورهم[10] .

ومازالت كثير من الكنائس والاديرة القديمة فى العالم ــ خاصة فى مصر ــ تحتفظ بالكثير من ذخائر هؤلاء الشهداء الابرار . وكانت تفعل ذلك لغرضين ، أولهما ايمانها بينبوع البركة الكائن فيها وكانت تحدث معجزات كثيرة من هذه الاجساد والذخائر ، وثانيهما لتعلن انها على ايمان هؤلاء الشهداء الابطال .

وكمثل نقول أن أجساد الاربعين شهيدا التى احرقت بعد استشهادهم فى سبسطية بأرمينيا سنة ٣٢٠ على عهد ليكينيوس ، حفظت بكل عناية وحرص ، ووزعت على المدن المختلفة ، حيث اقيمت على اسمهم كنائس كثيرة . وقد حصلت أم القديس باسيليوس وأخته ماكرينا ، على جزء منها ، وبنيت على اسمهم كنيسة فى المكان الذى اتخذاه منسكا لهما قرب قرية أنيسى Annesi فى

(8) Schaff, Vol. 2, pp. 83, 84.

(9) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2. p. 1129.

(10) Ibid, Vol. 2, p. 1129.

البنطس[١١] .

التشفع بالشهداء :

وهذه عقيدة ايمانية انجيلية ، تمسكت بها ومارستها الكنيسة الجامعة منذ البداية ، ايمانا منها بالصلة القائمة فعلا بين أعضاء جسد المسيح السرى الواحد ، بين الذين ما زالوا يجاهدون على الارض ، والذين انطلقوا ظافرين الى السماء ، وقد تأيد كل ذلك بتعليم آباء الكنيسة القديسين ومعلميها ، عن فعالية صلوات الشهداء أمام عرش النعمة ، وبما أعلن للشهداء من رؤى قبيل استشهادهم[١٢] .

ففى زمان الاستشهاد ، وبينما كانت اعداد الشهداء كثيرة ودائمة ، كان ينظر اليهم على أنهم سفراء من الكنيسة المجاهدة على الارض الى سيدها فى السماء . وكان اخوتهم يسألونهم أن يتذكروهم ليذكروهم حينما يمثلون أمام المسيح[١٣] .

يقول القديس باسيليوس الكبير فى حديثه عن الشهيد ماماس — وهو راعى غنم استشهد فى قيصرية كبادوكية سنة ٢٧٤ — « تذكروا الشهيد ، كل الذين شاهدوه فى أحلام ، والذين استقروا فى هذا المكان واتخذوا منه معينا فى الصلوات ، وكل من عاونهم فى عملهم حينما توسلوا باسمه . كل الذين ردهم الى بيوتهم من سفر ، والذين أقامهم من مرض . وكل من شفى أطفالهم ، وأنقذهم من موت محقق ... اجمعوا الحقائق كلها معا ، وانظموا له مديحا .. وليوزع كل واحد ما لديه من معلومات عن الشهيد على من يجهل سيرته »[١٤] .

ويقول القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس (النيزينزى) عن كبريانوس

(11) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 557.

(12) Schaff, Vol. 2, p. 83.

(١٣) يوسابيوس : شهداء فلسطين ٧ .

(14) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 1129.

الشهيد « ان تراب كبريانوس مع الايمان ، يمكن أن يفعل كل شيء . ويعلم ذلك كل من خبر هذا الامر »(١٤) .

والقديس غريغوريوس أسقف نيصص فى كلامه عن الشهيد تاوضروس المشرق — وكان جسده مدفونا فى نفس الكنيسة يقول « لقد ذهب الى الله .. وهو ما زال يخرج الشياطين .. يطلب عنا من الله الاشياء النافعة لنا . لقد جعل من هذا المكان ، قاعة للاستشفاء من أمراض متنوعة »(١٥) .

والقديس باسيليوس الكبير يتكلم عن شهداء سبسطية الاربعين ، فيقول — موجها كلامه لشعبه — « أنتم دائما تبحثون عن واحد يصلى عنكم ، هوذا أربعون . اذا اجتمع أثنان أو ثلاثة باسم الرب ، هناك يكون الرب حاضرا . وان كان هناك أربعون ، فمن يشك فى حضوره ؟! **هؤلاء هم الذين يحرسون بلادنا كخط دفاع** »(١٦) .

ويقول القديس اغسطينوس « نحن لا نصلى عن الشهداء ، فهم قد أكملوا حبهم للرب أكثر من أى انسان . نحن نسألهم أن يذكروننا »(١٧) .

---

(15) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 1129.

(16) Ibid, Vol. 2, p. 1130.

(17) Ibid, Vol. 2, p. 1129.

+ ظهرت
المسيحية على مسرح
الحياة ، ديانة لا يعتد بها
ولا يؤبه لأتباعها ... لكنها
سرعان ما شدت أنظار العالم
اليها ، بتزايد عدد أتباعها ،
وسمو فضيلتهم ... وحالما استشعرت
الدولة الوثنية باخطر يتهددها ، دخلت
معها فى حرب ضروس بقصد ابادتها .

+ كان يمكن أن تصبح المسيحية شيئا آخر غير ما نراه ،
لولا أولئك الذين ثبتوا حتى الموت وقدموا حياتهم ثمنا لحبهم
لمسيحهم ... لقد بذل الرب يسوع دمه فى أورشليم عن
حياة العالم ، والخليقة كلها ... واذ آمن الشهداء بهذا .
خضبوا بدمائهم أرض المسكونة كلها ، تعبيرا عن حبهم ووفائهم .

+ ان عمل الشهداء ــ على مستوى الواقع ــ ما زال ماثلا
أمامنا بسيرهم الحية ، والصلوات التى يرفعونها عنا ،
والتى لأجلها نحن نطلب شفاعتهم .

+ ليس هذا الكتاب سجلا للشهداء
لكنه محاولة متواضعة لاظهار
فلسفتهم ، وابراز بعض
جوانب من فضيلتهم ،
وجهادهم من أجل الاله
الذى آمنوا به عن
حب ، فصار لهم كل
شىء فى حياتهم ...

الثمن ٣٢٥ قرشاً